مجاني الأدب

في

حدائق العرب

جمع

احد الآباء اليسوعيين
مدرس البيان في كلية القديس يوسف

الجزء الثالث



طبع ثالثة
في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت
سنة ١٨٨٥
برخصة معارف ولاية بيروت الجليلة ١٣٠





الباب الأول
في التوحيد

في كمالاته تعالى

١ إن الله عز وجل لم يزل ولا يزال هو الكبير المتعال خالق الأعيان
والآثار ومكور النهار على الليل والليل على النهار العالم بالخفيات
وما ينطوي عليه الأرضون والسماوات سواء عنده الجهر والإسرار
ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ألا يعلم من خلق وهو
اللطيف الخبير خلق الخلق بقدرته وأحكمهم بعلمه وخصهم
بمشيته ودبرهم بحكمته. لم يكن له في خلقهم معين ولا في
تدبيرهم مشير ولا ظهير وكيف يستعين من لم يزل غنيا لم يكن لا
يلزمه لم ولا يجاوره أين ولا يلاصقه حيث ولا يعده كم ولا
تحصره متى ولا يحيط به كيف ولا يظهره قبل ولم يفته بعد ولم
يجمعه كل وصفه لا صفة له وكونه لا أمد له ولا يخالطه الأشكال
والصور ولا يغيره الآثار والغير. ولا يجوز عليه المماسة والمقارنة
ويستحيل عليه المحاذاة والمماثلة إن قلت أين هو فقد سبق
المكان وجوده لم يفتقر وجوده إلى أين هو بعد خلق المكان غني
بنفسه كما كان قبل خلق المكان وكيف يحل في ما منه بدا وإن
قلت ما هو فلا ماهية له إذ ما موضوعة للسؤال عن الجنس والقديم

تعالى لا جنس له) وإن قلت كم هو فهو واحد فى ذاته منفرد بصفاته . وإن قلت متى كان فقد سبق الوقت كونه وإن قلت كيف هو فمن كيف الكيفية لا يقال له كيف ومن جازت عليه الكيفية جاز عليه التغيير وإن قلت هو فالهاء والواو خلقه فما تصور في الأوهام فهو بخلافه ولا تمثله العيون ولا تخالطه الظنون وتتصوره الأوهام ولا تحيط به الأفهام ولا تقدر قدره الأنام ولا تحويه مكان ولا تباريه زمان ولا تحصره أمد ولا تحصيه عدد قربه كرامة وبعده إهانة علوه من غير توقل ومجيئه من غير تنقل هو الأول والآخر والظاهر والباطن القريب البعيد . الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير واسها له بالربوبية وبما شهد به لنفسه من الأسما الحسنى والصفات العلى

(سراج الملوك للطرطوشي)

الدعا لله

٢ دعا اعرابى فقال يا عماد من لا عماد له ويا ركن من لا ركن له ويا مجير الضعفى ويا منقذ الهلكى ويا عظيم الرجاء انت الذي سبح لك سواد الليل وبياض النهار وضوء القمر وشعاع الشمس وحفيف الشجر ودوى الماء يا محسن يا مجمل اللهم إنك أنس المؤنسين المتوكلين عليك انت شاهدهم وغائبهم والمطلع على ضمائرهم وسرى لك مكشوف وانا اليك ملهوف إذا اوحشتنى الغربة

آنسني ذكرك وإذا أكب علي الغموم لجأت إلى الاستجارة بك علماً بأن أزمة الأمور كلها بيدك ومصدرها عن قضائك . فاقلبني إليك مغفوراً لي معصوماً بطاعتك باقي عمري يا أرحم الراحمين

٣ لما ولي أبو بكر الخلافة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس إني داع فأمنوا اللهم إني غليظ فليني لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم اللهم إني شحيح فسخني في نوائب المعروف قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين اللهم إني كثير الغفلة والنسيان فألهمني ذكرك على كل حال وذكر الموت في كل حين اللهم إني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني والمحاسبة لنفسي وإصلاح الساعات والحذر من الشبهات (العقد الفريد لابن عبد ربه)

٤ دعا بعضهم فقال اللهم إني أسألك يا من احتجب بشعاع نوره عن نواظر خلقه يا من تسربل بالجلال والكبرياء واشتهر بالتجبر في قدسه يا من تعالى بالجلال والكبرياء في تفرد مجده يا من انقادت

الأمورُ بأمرها طوعاً لإمره يامن قامت السماواتُ والأرضُ مجابة لدعوته يامن زين السما بالنجوم الطالعة وجعلها هادية لخلقه يامن أنار القمر المنير في سواد الليل المظلم بلطفه يامن أنار الشمس المنيرة وجعلها معاشاً لخلقه وجعلها مفرقة بين الليل والنهار لعظمته يامن استوجب الشكر بنشره سحائب نعمه أسألك بمعاقد العز من عرشك وبكل اسم هو لك سميت به نفسك واستأثرت به في علم الغيب عندك وبكل اسم هو لك اثبته في قلوب الحافين حول عرشك وأسألك بالأسماء التي تجليت بها للكليم موسى على الجبل العظيم فلما بدا شعاع نور الحجب من بهاء العظمة خرت الجبال متدكدكة لعظمتك وجلالك وهيبتك وخوفاً من سطواتك راهبة منك أنت الله فلا إله إلا أنت وأسألك بالإسم الذي فتقت به رتق عظيم جفون العيون للناظرين الذي به تدبرت حكمتك وشواهد حجج أنبيائك يعرفونك بفطن القلوب وأنت في غوامض سوائد القلوب أسألك أن تصرف عني وأهل حزانتي وجميع المؤمنين والمؤمنات جميع الآفات والعاهات والاعراض والامراض والخطايا والذنوب والشك والكفر والنفاق والشقاق والضلالة والجهل والمقت والغضب والعسر والضيق وفساد الضمير وحلول النقمة وشماتة الاعداء وغلبة الرجال انك سميع الدعاء لطيف (الكشكول لبهاء الدين العاملي)

منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب في المناجاة

٥ يا سامع الدعاء يا رافع السماء . يا دائم البقاء يا واسع العطاء .
يا عالم الغيوب يا غافر الذنوب يا ساتر العيوب . يا كاشف
الكروب يا فالق الصباح يا مخرج النبات يا جامع الشتات .
يا منشر الرفات يا فالق الصباح يا مرسل الرياح محرك
الرواح تحل في النواح يا هادي الرشاد يا ملهم السداد
يا رازق العباد يا محيي البلاد يا مطلق الأسير يا جابر الكسير .
يا مغني الفقير يا هادي الصغير يا مالك النواصي من طائع
وعاص ما عنه من مناص للعبد او خلاص . اجرني من الجحيم .
من هولها العظيم من غشها الذميم . من حرها المهيم لسكني
الجنانا . نلقى الأمانا في منزل تعالى بالحق قد توالى . بالنور قد
تلالا تلقى به الجلالا (ديوان علي)

٦ قال الاصمعي سمعت غلاما يحمد ربه بابيات من الشعر وهي هذه

يا فاطر الخلق البديع وكافلا رزق الجميع سحاب جودك هاطل
يا مسبغ البر الجزيل ومسبل الستر الجميل عميم طولك طائل
يا عالم السر الخفي ومنجز الوعد الوفي قضاء حكمك عادل
عظمت صفاتك يا عظيم فجل ان يحصى الثناء عليك فيها قائل
الذنب انت له بمنك غافر ولتوبة العاصي بحلمك قابل
رب يربي العالمين ببره ونواله ابدا اليهم واصل

نفسه وهو يسوق نحوك دائما ... مالا يكون لنفسه يتساهل
متفضل أبدا وأنت لجوده ... بقبائح العصيان منك تقابل
وإذا دجا ليل الخطوب وأظلمت ... سبل الخلاص وخاب فيها الآمل
وأيست من وجه النجاة فمالها ... سبب ولا يدنو لها متناول
يأتيك من ألطافه الفرج الذي ... لم تحتسبه وأنت عنه غافل
يا موحد الأشياء من ألقى إلى ... أبواب غيرك فهو غر جاهل
ومن استراح بغير ذكرك أو رجا ... أحدا سواك فذاك ظل زائل
رأي يلم إذا عرته ملمة ... بسوى جنابك فهو رأي مائل
عمل أريد به سواك فإنه ... عمل وإن زعم المرائي باطل
وإذا رضيت فكل شيء هين ... وإذا حصلت فكل شيء حاصل
أنا عبد سوء آبق كل على ... مولاه أوزار الكبائر حامل
قد أثقلت ظهري الذنوب وسودت ... صحفي العيوب وستر عفوك شامل
ها قد أتيت وحسن ظني شافعي ... ووسائلي ندم ودمع سائل
فاغفر لعبدك ما مضى وارزقه تو ... فيقا لما ترضى ففضلك كامل
وافعل به ما أنت أهل جميله ... والظن كل الظن أنك فاعل

٧ قال الشيخ اسماعيل الزمزمي

يا من تحل بذكره ... عقد النوائب والشدائد
يا من إليه المشتكى ... وإليه أمر الخلق عائد
يا حي يا قيوم يا ... صمد تنزه عن مضادد

أنت الرقيب على العبا   د وأنت في الملكوت واحد
أنت العليم بما ابتلـ   ـيت به وأنت على شاهد
إن الهموم جنودها   قد أصبحت قلبي تطارد
فرّج بحولك كربتي   يا من له حسن العوائد
فخفيّ لطفك يستعا   ن به على الزمن المعاند
أنت الميسر والمسبـ   ـب والمسهل والمساعد
يسّر لنا فرجا قريـ   ـبا يا إلهي لا تباعد
كن راحمي فلقد يئسـ   ـت من الأقارب والأباعد
وعلى العدى كن ناصري   لا تشمتن بي الحواسد
يا ذا الجلال وعافني   مما من البلوى أكابد
وعن الورى كن ساترا   عيبي بفضل منك وارد
يا رب قد ضاقت بي الـ   أحوال واغتال المعاند
فامنن بنصرك عاجلا   فضلا على كبد الحواسد
هذي يدي ونشيدتي   قد جئت يا رباه قاصد
فلكم إلهي قد شهد   ت لطائف لطفك من عوائد

بحمد الله والثقة به

٨ أخبر يحيى بن بسطام قال دخلت يوما مع نفر من أصحابنا على عفيرة العابدة الضريرة وكانت قد تعبدت وبكت خوفا من الله جل ثناؤه حتى عميت فقال بعض أصحابنا لرجل الى جنبه ما أشد العمى على من

كان بصيرًا فسمع عمرة قوله فقال يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا، وإني لوددت أن الله وهب لي كنه محبته وإن لم يبق مني جارحة إلا أخذها (لليمني)

قال بعض الزاهدين مشيرًا إلى حبه تعالى

هجرت الخلق طرًا في رضاكا ... وأيتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعتني في الحب إربًا ... لما حن الفؤاد إلى سواكا

قال غيره

إذا أمسى وسادي من تراب ... وبت مجاور الرب الرحيم
فهنوني أصحابي وقولوا ... لك البشرى قدمت على كريم

قال آخر

ما زال يحتقر الدنيا بهمته ... حتى ترقت إلى الأخرى به همته
رب الناس جديد القلب منكسر ... في الأرض مستتر فوق السما سمته
طوبى لعبد بحبل الله معتصم ... على صراط سوي ثابت قدمه

قال ابن الصيفي

يا طالب الطب من داء أصيب به ... إن الطبيب الذي أبلاك بالداء
هو الطبيب الذي يرجى لعافيته ... لا من يذيب لك الترياق في الماء

٩ قال علي بن أبي طالب

لبيك لبيك أنت مولاه ... فارحم عبيدًا إليك ملجاه
يا ذا المعالي إليك معتمدي ... طوبى لمن كنت أنت مولاه

طوبى لمن كان نادماً أرقاً ... يشكو إلى ذي الجلال بلواه
وما به علة ولا سقم ... أكثر من حبه لمولاه
إذا خلا في الظلام مبتهلاً ... أجابه الله ثم لباه
سألت عبدي وأنت في كنفي ... وكل ما قلت قد سمعناه
صوتك تشتاقه ملائكتي ... فذنبك الآن قد غفرناه
في جنة الخلد ما تمناه ... طوباه طوباه ثم طوباه
سلني بلا حشمة ولا رهب ... ولا تخف إنني أنا الله

١ أول مقامات الأنبياء هو اليقظة من سنة الغفلة ثم التوبة وهي الرجوع إلى الله بعد الإباق ثم الورع والتقوى لكن ورع أهل الشريعة عن المحرمات وورع أهل الطريقة عن الشبهات ثم المحاسبة وهي تعداد ما صدر عن الإنسان ذنبه وكتب نفسه وبدنه وتبن في نوعه ثم الإرادة وهي الرغبة في نيل المراد مع الكد ثم الزهد وهو ترك الدنيا وحقيقته النزوع عن المولى ثم الفقر وهو تخلية القلب عما خلت عنه اليد والفقير من عرف أنه لا يقدر على شيء ثم الصدق وهو استواء الظاهر والباطن ثم التصبر وهو حمل النفس على المكاره ثم الصبر وهو ترك الشكوى وقمع النفس ثم الرضا وهو التلذذ بالبلوى ثم الإخلاص وهو إخراج الخلق عن معاملة الحق ثم التوكل وهو الاعتماد في كل أموره على الله سبحانه وتعالى مع العلم بأن الخير فيما اختاره (لبهاء الدين العاملي)

قالَ بعضُ الشُّعرَا

يَا ربُّ هَيِّئْ لنا من أمرِنَا رشَدَا　وَاجعل مَعُونَتَكَ في عُمرِنَا مدَدَا
وَلَا تَكِلنا إلى تَدبيرِ أنفُسنا　فالنفسُ تعجِزُ عن إصلاحِ مَا فسدا

الاستغفار الى الله

١١ قَالَ أبُو حَاتِم أملَى علَينَا أعرابيٌّ يُقَالُ لَهُ مُرشِدٌ اللّهُمَّ اغفِر لي قبلَ أن لا أقدِرَ علَى استغفارِكَ حِينَ يفنى الأجلُ ويَنقطِعُ العَمَلُ أعِنّي علَى الموتِ وَكُربتِهِ وَعلَى القبرِ وَغُمّتِهِ وعلَى الميزانِ وَخِفَّتِه وعلَى الصراطِ وزَلّتِه وعلَى يَومِ القِيامه وروعتِه اغفِر لي مغفرةً عزماً لَا تُغَادِرُ ذَنباً ولَا تَدعُ كَرباً اغفِر لي جميعَ مَا تُبتُ إليكَ مِنهُ ثُمَّ عُدتُ فيه يَا ربُّ تَظَاهَرَت علَيَّ منكَ النعمُ وتَدَارَكَ عِندَكَ مني الذُّنُوبُ فلكَ الحمدُ علَى النعمِ التي تَظَاهرَت وَأستغفرُكَ لِلذُّنُوبِ التي تدارَكَت وأمسيتُ عَن عذَابِي غنياً وأصبحتُ إلَى رَحمتِكَ فَقيرًا اللّهُمَّ إنّي أسألُكَ نجاحَ الأمَلِ عِندَ انقطَاعِ الأجل اللّهُمَّ اجعل خيرَ عملي ما وَلِيَ أجلي اللّهُمَّ اجعلني مِنَ الذِين اذَا أعطيتَهُم شكَرُوا وَإذَا ابتليتَهُم صَبَرُوا وَإذَا اذكَرتَهُم ذكَرُوا وَاجعل لِي قلباً تَوّاباً أوّاباً لَا فاجِراً وَلَا مُرتاباً اجعلني مِنَ الذينَ اذا أحسَنُوا ازدادُوا وَاذَا أساؤوا استغفَرُوا أللهم لَا تُحقِق علَيَّ العذَابَ وَلَا تقطع بيَ الأسبابَ وَاحفظني في كُلِّ مَا تُحيطُ به شفقتي وتأتي مِن وَرَائِهِ سُبحتي وَتَعجِزُ عنهُ قُوّتِي ادعُوكَ دُعاءَ ضعيفٍ عَمَلُهُ مُتظَاهِرَة ذُنُوبُه ضنينٍ علَى نفسِهِ دُعاءَ مَن بَدَنُه

ضعف وَمِنّة عاجِزة قد انتهت عِدته وَخلِقت جدته. وتم ظموه
اللهمّ لا تُخيبني وَأنا ارجوك. وَلا تعذبني وانا ادعُوك الحمدُ لِلهِ عَلى
طُول السنة وَحُسن الساعة وَفسح العُروق وإساعة الريق وتأخر
الشدايد والحمدُ لله على حِلمه بعدَ علمه وَعلى عفوه بعد قدرته
اللهمّ إني لا أعُوذ بك من الفقر إلا اليك وَمن الذل إلا لك وَاعُوذ
بك ان أقول زورًا أو أغشى فجُورًا او اكُون بك مغرورًا واعُوذ بك
من شماتة الاعدا وعُضال الدا وخيبة الرجا (لابن عبد ربه)

١٢ قال احمدُ بن الأقليشي مُستعطفًا

أسيرُ الخطايا عِند بابك وَاقفُ له عَن طريق الحق قلبٌ مُخالفُ
قديمًا عصى عمدا وَجهلًا وغِرة ولم ينههُ قلبٌ مِن اللهِ خائفُ
تزيدُ سنوهُ وَهوَ يزداد ضلةً فها هُوَ في ليل الضلالةِ عاكفُ
تطلّع صُبحُ الشيب وَالقلبُ مُظلمٌ فما طاف منهُ من سنَى الحق طائفُ
ثلاثون عَامًا قد تولت كأنها حُلومٌ تقضت او بُرُوقٌ خَواطِفُ
وجاء المشيبُ المنذرُ المرء انهُ اذا رحلت عنهُ الشبيبة تالفُ
فيا أحمدُ الخوانُ قد أدبر الصبا وناداك مِن سن الكُهولة هاتفُ
فهل أرقَ الطرف الزمانُ الذي مضى وابكاه ذنبٌ قد تقدم سالفُ
فجُد بالدمُوع الحمر حُزنا وحسرة فدمعُك ينبي ان قلبَك آسفُ

قال آخرُ

الهَ الخلق قد عظمت ذنُوبي وسامح ما لعفوك من مُساركُ

أجِرْ يا سيدي عبداً فقيراً ... أناخ ببابك العالي وَدَارِكْ

قال غيره

وإني لأدعو الله أسألُ عفوه ... واعلمُ أنّ الله يعفو ويغفر
لئن أعظمَ الناسُ الذنوبَ فإنها ... وإن عظُمت في رحمةِ اللهِ تصغرُ

١٣ قال أبو القاسم بن الخطيب مُستغفراً

يا مَن يرى ما في الضمير ويسمعُ ... أنت المُعَدُّ لكلِ ما يُتوقّعُ
يا مَن يُرجى للشدائدِ كلِّها ... يا مَن إليه المشتكى والمفزعُ
يا مَن خزائنُ رزقهِ في قولِ كُن ... أمنُن فإن الخيرَ عندكَ أجمعُ
ما لي سوى فقري إليكَ وسيلةٌ ... فبالافتقارِ إليكَ فقري أدفعُ
ما لي سوى قرعي لبابكَ حيلةٌ ... فلئن رُدِدتُ فأيَّ بابٍ أقرعُ
ومَن الذي أدعو وأهتفُ باسمه ... إن كان فضلُك عن فقيرِك يُمنعُ
حاشا لجودِكَ أن يُقنِّطَ عاصياً ... ألفضلُ أجزلُ والمواهبُ أوسعُ

١٤ قال ابنُ الفرضي

أسيرُ الخطايا عند بابكَ واقفٌ ... على وجلٍ مما به أنت عارفُ
يخافُ ذنوباً لم يغِب عنكَ غيبُها ... ويرجوكَ فيها فهو راجٍ وخائفُ
فيا سيدي لا تُخزني في صحيفتي ... إذا نُشرت يومَ الحسابِ الصحائفُ
وكن مؤنسي في ظلمةِ القبر عندما ... يصُدُّ ذوو القربى ويجفو المؤالفُ
لئن ضاق عني عفوكَ الواسعُ الذي ... أُرجي لإسرافي فإني لتالفُ

العالم العقلي

١٥ من القول المحكي عن أفلاطون الإلهي أنه قال ربما خلوت بنفسي كثيرا عند الرياضات وتأملت أحوال الموجودات المجردة عن الماديات وخلعت بدني جانبا وصرت كأني مجرد بلا بدن عار عن الملابس الطبيعية فأكون داخلا في ذاتي لا أعمل غيرها ولا أنظر فيما عداها وخارجا عن سائر الأشياء فحينئذ أرى في نفسي من الحسن والبهاء والسنا والضيا والمحاسن الغريبة العجيبة الأنيقة ما أبقى معه متعجبا حيرانا باهتا فأعلم أني جزء من أجزاء العالم الأعلى الروحاني الكريم الشريف وأني ذو حياة فعالة ثم ترقيت بذهني من ذلك العالم إلى العوالم الإلهية والحضرة الربوبية فصرت كأني موضوع فيها معلق بها فوق العوالم العقلية النورية فأرى كأني واقف في ذلك الموقف الشريف وأرى هناك من البهاء والنور ما لا تقدر الألسن على وصفه ولا الأسماع على قبول نعته فإذا استغرقني ذلك الشأن وغلبني ذلك النور والبهاء ولم أقو على احتماله هبطت من هناك إلى عالم الفكرة فحينئذ تحجب الفكرة عني ذلك النور فأبقى متعجبا أني كيف انحدرت من ذلك العالم وعجبت كيف رأيت نفسي ممتلئة نورا وهي مع البدن كهيئتها فعندها تذكرت قول مطريوس حيث أمرنا بالطلب والبحث عن جوهر النفس الشريف والارتقاء إلى العالم العقلي (لها الذيل)

ألبابُ الثاني
في الزهدِ

في الخوف

١٦ قال عليٌّ الا إن عبادَ الله المخلصين لمن رأى أهلَ الجنة في الجنة فاكهين وأهلَ النارِ في النار معذبين شرورُهم مأمونة وقلوبُهم محزونة وأنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا أياما قليلة لعقبى راحة طويلة أما بالليل فصفُّوا أقدامهم في صلاتهم تجري دموعهم على خدودهم يجأرون إلى ربهم ربنا ربنا يطلبون فكاكَ رقابهم وأما بالنهار فعلماء حلماء بررة أتقياء كأنهم القداح (القداحُ السهامُ يريدُ في ضمرها) ينظرُ إليها الناظرُ فيقولُ مرضى وما بالقوم من مرضٍ (وقالَ منصورُ بنُ عمارٍ) في مجلس الزهد ان لله عبادًا جعلوا ما كتبَ عليهم من الموتِ مثالًا بين أعينهم وقطعوا الأسبابَ المتصلة بقلوبهم من علائق الدنيا فهم أنضاء عبادة حلفاء طاعة قد صبغوا خدودهم بوابلِ دموعهم وافترشوا جباههم في محاريبهم يناجون ذا الكبرياء والعظمة في فكاكِ رقابهم

زهد النعمان بن امرئ القيس

١٧ إنَ النعمانَ بنَ امرئ القيس الأكبرِ الذي بنى الخورنقَ والسديرَ أشرفَ على الخورنقِ يومًا فأعجبهُ ما أوتي من الملكِ والسعةِ ونفوذِ

الاَمرِ وَاقبالِ الوُجُوهِ عَلَيه قَالَ لِأَصحابِهِ هَل أُوتِيَ أَحَدٌ مِثلَ مَا أُوتيتُ فَقَالَ لَهُ حكيمٌ مِن حُكَماءِ أصحابه هٰذَا الذي أُوتيتَ شَيْءٌ لَم يَزَل وَلَا يَزُول ام شَيْءٌ كان لِمَن قَبلَكَ زَالَ عنهُ وَصَارَ اليكَ قالَ بَل شَيْءٌ كَانَ لِمَن قَبلِي زَالَ عنهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَسيَزُولُ عَنِي قالَ فَسُرِرتَ بِشَيءٍ تَذهَبُ عَنكَ لَذَّتُهُ وَتَبقَى تَبِعَتُهُ قَالَ فَأَينَ المَهرَبُ قَالَ إِمَّا ان تُقيمَ وتَعمَلَ بِطَاعةِ اللهِ او تَلبَس أمساحًا وَتلحَقَ بِجَبلٍ تَعبُدُ رَبَّكَ فِيهِ وتَفِرَّ من النَّاسِ حَتَى يأتيكَ اجَلُكَ قَالَ فَإِذَا فَعلتُ ذلكَ فما لِي قَالَ حَيَاةٌ لَا تَموتُ وَشَبابٌ لا تَهرَمُ وَصِحَّةٌ لَا تَسقَمُ ومُلكٌ جَدِيدٌ لَا يَبلَى قَالَ فأَيُّ خيرٍ فيما هي واللهِ لَأَطلُبَنَّ عَيشًا لا يَزُولُ ابدًا فَانخلَعَ مِن مُلكِهِ وَلَبِس الامساحَ وَسَاحَ في الارضِ وَتَبِعَهُ الحكِيمُ وَجَعلَا يَسيحان وَيَعبُدَانِ الله تَعالى حَتى مَاتَا وفيه يقولُ عديُّ بنُ زيدٍ

وَتَفكَّر رَبُّ الخَوَرنَقِ إذ اشـــرَفَ يَومًا وَلِلهُدَى تَفكِيرُ
سرّهُ مَالُهُ وكَثرَةُ ما يَمـــلِكُ والبَحرُ مُعرِضًا وَالسَّدِيرُ
فَارعَوَى قلبُهُ وقَالَ فَمَا غِبـــطةُ حَيٍّ إلَى المَمَاتِ يَصيرُ
ثُمَّ بَعدَ الفلاحِ والمُلكِ وَالنعـــمةِ وَارتهُم هُنَاكَ القُبُورُ
ثُمَّ صَارُوا كأنَّهم وَرَقٌ جَفَّ م فَألوَت بِهِ الصَبا والدَّبُورُ

عدي بن زيد والنعمان

١٨ رُوِيَ أَنَ النُّعمانَ بنَ المُنذِرِ خَرَجَ مُتَصَيِّدًا وَمعَهُ عَدِيُّ بنُ زَيدٍ

فقرأ الشجرة فقال عدي بن زيد أيها الملك أتدري ما تقول هذه الشجرة قال لا قال فإنها تقول

من رآنا فليحدث نفسه أنه موف على قرب زوال
فصروف الدهر لا تبقى لها ولما تأتي به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليها فدم وجياد الخيل تجري بالجلال
عمروا الدهر بعيش حسن أمن دهرهم غير عجال
عصف الدهر بهم فانقرضوا وكذاك الدهر حالا بعد حال

قال) ثم جاوزا الشجرة فمرا بمقبرة فقال له عدي أتدري ما تقول هذه المقبرة قال لا قال فإنها تقول

أيها الركب المخبو ن على الأرض المجدونا
كما أنتم كذا كنا كما نحن تكونونا

فقال النعمان قد علمت أن الشجرة والمقبرة لا تتكلمان وقد علمت أنك إنما أردت عظتي فجزاك الله عني خيرا فما السبيل الذي تدرك به النجاة قال تدع عبادة الأوثان وتعبد الله وحده قال وفي هذا النجاة قال نعم قال فترك عبادة الأوثان وتنصر جيدا وأخذ في العبادة والاجتهاد (للطرطوشي)

ذلة الدنيا وزوالها

١٩ (من المنهج) أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع وإن

الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع. ألا وإن اليوم المضمار، وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار. أفلا تائب من خطيئته قبل منيته ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه. ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل. فمن عمل في أيام أمله قبل حضور أجله نفعه عمله ولم يضرره أجله، ومن قصر في أيام عمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضره أجله. ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها. ألا وإنه من لا ينفعه الحق يضرره الباطل ومن لا يستقيم به الهدى تجر به الضلال إلى الردى. ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد. وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل. تزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا

٢٠ (عن نوف البكالي) قال: رأيت أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر إلى النجوم فقال: يا نوف أراقد أنت أم رامق؟ قلت: بل رامق يا أمير المؤمنين. قال: يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا وترابها فراشا وماءها طيبا والدين شعارا والدعاء دثارا ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح (نهج الدين)

الراهب الجرجاني مع الشيخ عمر الصقلي

٢١ قال الشيخ عمر: مررت براهب وهو في صومعته فجرى بيني

وبينه مؤانسة . فقلت له يا راهب لمن تعبد قال أعبد الله الذي خلق العالم بقدرته وألف بطانة بحكمته وقد حوت عظمته كل شيء لا تبلغ الالسن وصف قدرته ولا العقول لج رحمته له الشكر على ما تفضل فيه من نعمه التي صحت بها الابصار . ووعت بها الأسماع ونطقت بها الألسن وسكنت بها العروق وامتزجت بها الطبائع فقلت يا راهب ما أفضل الحكمة قال خوف الله . قلت وما أكمل العقل قال معرفة الإنسان بقدره قلت ما يعين على التخلص من الدنيا . قال ان تجعل نفسه يومك ابعضاء أملك . قلت وما حملك على أن عقلت على نفسك في هذه الصومعة قال لأحبس هذا السبع عن الناس (وأوما بيده إلى لسانه) قلت من اين تعيش قال من تدبير اللطيف الخبير الذي خلق الرحى وهو يأتيها بالطحين قلت لم لا تزايل الدنيا وتخالطها قال لأن الاشيا الموبقة بأسرها تسكم والسلامة من ذلك إنما تكون في الوحدة قلت وكيف صبرت على الوحدة قال لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت إليها من نفسك قلت كيف لبست السواده قال لان الدنيا دار مأتم واهلها في حداد وإذا حزنت لبست السواد قلت كيف تذكر الموت قال ما اطرف طرفه عين إلا ظننت اني ميت قلت ما لنا نحن نكره الموت قال لانكم عمرتم دنياكم واخربتم آخرتكم فانتم تكرهون النقلة من العمران

إلى الخراب قلت يا راهب عظني فقال املع الصفات النظر
إلى محله الأمواب. وفي بعير الساعات والآجلات وإن شعت
حارة فكن كا لك المحمول مثل ذلك ولا بس من لا بسالك.
وأحسن سريرتك. تحسن الله علانيتك واعلم ان من خاف الله
اخاف منه كل شيء ومن لم يخف الله خاف من كل شيء
واطلب العلم لعمل به ولا تطلبه للتباهى او تمارى به السفهاء. وإياك
والاهواء فإنها موبقة والهرب الهرب من الجهل والهرب الهرب
مما يمدح الحساب فتحسبها وندم السيئات فتركتها ولا تشرب
المسكر فان عاجله غرامة وعاقبته ندامة ولا تجالس من تشملك
بالكلام ويرين لك الخطأ ونوقعك في هذه الهموم وسرأ منك
ودلب طلبك ولا تشبه في طعامك وشرابك ولباسك بالعظما
ولا في مشيك بالجبابره وكن ممن يرجى خيره ولا تكن ممن يخاف
شره واعلم ان من احبه الله ابتلاه ومن صبر رضي الله عنه
وإذا اعتللت فاكثر من ذكر الله وحمده وشكره وإياك والنميمة فإنها
تزرع في القلوب الضغائن وتفرق بين المحبين وانظر ما استحسنته
من غيرك فاسلكه لنفسك وما انكرته من غيرك فتجنبه وارض للناس
ما ترضاه لنفسك فإنه كمال الوصال والصلاح في الدين والدنيا
وقال إني استودعك لله واقرئ عليك السلام ثم انه نهض إلى
صلاته فسمعته يقول إلهنا تقدس اسمك باتي ملكوتك يكون

مَشِيئَتُكَ فِي السَّمَاءِ كَذٰلِكَ عَلَى الأَرضِ ارزُقنا الكَفَافَ يَوماً بِيَوم اعفر لنا خطايانا وآثامنا . وَلَا تدخلنا في التجارب وخلصنا من إبليس لنسبحك ونقدسك ونحمدك إلى دهر الداهرين ثم جعل يقول أيضا أللهم إن رحمتك كعظمتك . اللهم ان نعمك اعظم من رجائنا فضلك افضل من آمالنا اللهم اجعلنا شاكرين لنعمائك حتى تشتغل بذكرك جوارحنا وعلى قلوبنا اللهم اعنا على أن نحذر من سخطك ونسعى في طاعتك ورضاك أللهم وهبنا العمل بما نفوز به من ملكوتك من أجل انه ينبغي لك العز والسلطان والقدرة قال الشيخ فاستحسنت ذلك منه وسألته أن يدعو لنا وانصرفت وأنا معجب من حسن مقاله (اسواق الاشواق للبقاعى)

٢٢ وقد قيم الزاهد رأيت راهباً على باب بيت المقدس فقلت له اوصني فقال كن كرجل احتوشته السباع فهو خائف مذعور يخاف ان يسهو فتفترسه او يلهو فتنهشه فليله ليل مخافة إذا أمن فيه المغترون ونهاره نهار حزن اذا فرح فيه البطالون ثم إنه ولى وتركني فقلت زدني فقال ان الظمآن يقنع بيسير الماء

٢٣ ان الحاسة الجلدية اذا كانت وقفة برمد ونحوه فهي محرومة من الأشعة الفايضة من الشمس كذلك البصيرة إذا كانت موقفة بالهوى واتباع الشهوات والاختلاط بأبناء الدنيا فهي محرومة من ادراك الانوار القدسية محجوبة عن ذوق اللذات الإنسية ولله در من قال

ذا مُربعٍ ذا مُصيفٍ   ذا مُحمصٍ ذا مُحرِمٍ
لا يشكرون لما وُجِدوا   لا يصبرون لما عُدِموا
أهواءَ نفوسهم عَبَدوا   والنفسُ لعابدها صنمُ

(لبهاء الدين)

قال محمدُ بنُ الحسن الحميري

عجبتُ لمبتاع الضلالة بالهدى   وللمشتري دنياه بالدين أعجبُ
وأعجبُ من هذين من باع دينه   بدنيا سواه فهو من ذين أعجبُ

٢٤ قال الحسن ابن آدم إنك أسير الدنيا رضيت من لذاتها بما ينقضي ومن نعيمها بما يمضي ومن ملكها بما ينفد تجمع لنفسك الأوزار ولأهلك الأموال. فإذا مت حملت أوزارك إلى قبرك وتركت أموالك لأهلك. أخذه أبو العتاهية فقال

أبقيت مالك ميراثا لوارثه   فليت شعري ما أبقى لك المالُ
القوم بعدك في حال تسرهم   فكيف بعدهم دارت بك الحالُ
ملوا البكاء فما يبكيك من أحد   واستحكم القيل في الميراث والقالُ

قال ابن عبد ربه

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة   إذا اخضر منها جانب جف جانبُ
هي الدار ما الآمال إلا فجائع   عليها ولا اللذات إلا مصائبُ
فكم سخنت بالأمس عين قريرة   وقرت عيون دمعها الآن ساكبُ
فلا تكتحل عيناك فيها بعبرة   على ذاهب منها فإنك ذاهبُ

وقال ابن عمران

أف لدنيا قد شغفنا بها جهلاً وعقلاً للهوى متبع
فتانة تخدع طلابها فلا تكن ممن بها تخدع
أضغاث أحلام إذا حصلت او كوميض البرق مهما لمع

٢٥ (من خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب) ايها الناس إنما انتم خلف ماضين وبقية المتقدمين كانوا اكثر منكم بسطة واعظم سطوة أزعجوا عنها اسكن ما كانوا اليها فغدرت بهم أوثق ما كانوا بها فلم تغن عنهم قوة عشيرة ولا قبل منهم بذل فدية فارحلوا نفوسكم بزاد مبلغ قبل ان تؤخذوا على فجاءة فقد غفلتم عن الاستعداد وجف القلم بما هو كائن فحاسبوا نفسكم قبل ان تحاسبوا ومهدوا لها قبل ان تعذبوا وتزودوا للرحيل قبل ان تزعجوا فانما هو موقف عدل وقضاء حق ولقد ابلغ في الإعذار من تقدم في الإنذار

٢٦ (ومن كلامه) الدنيا دار بلاء ومنزل قلعة وعناء قد نزعت منها نفوس السعداء وانتزعت بالكره من أيدي الأشقياء فأسعد الناس فيها أرغبهم عنها وأشقاهم بها ارغبهم فيها هي الغاشة لمن انتصحها والمغوية لمن اطاعها والهالك من هوى فيها طوبى لعبد اتقى فيها ربه ونصح نفسه وقدم توبته وأخر شهوته من قبل ان تلفظه الدنيا إلى الآخرة فيصبح في بطن غبرا مدلهمة ظلماء لا يستطيع ان يزيد في حسنة ولا ان ينقص من سيئة ثم ينشر فيحشر إما إلى

جنة يدوم نعيمها أو نار لا ينفد عذابها

٢٧ من كلام بعض البلغاء الدنيا إن أقبلت بلت وإن أدبرت برت او أطنبت نبت أو أركبت كبت او أبهجت هجت او أسعفت عفت أو أينعت نعت او اكرمت رمت أو عاونت ونت أو ماحنت حنت او سامحت محت او صالحت لحت أو وصلت صلت او مالت لمت أو وفرت فرت او روحت وحت او نوهت وهت أو ولهت لهت أو بسطت سطت (لبها الدين)

قال علي بن ابي طالب

ذهب الذين عليهم وجدي وبقيت بعد فراقهم وحدي
من كان بيتك في التراب وبينه شبران فهو بغاية البعد
لو نشرت للخلق اطباق الثرى لم تعرف المولى من العبد
من كان لا يطأ التراب برجله يطأ التراب بناعم الخد

٢٨ وقد روي ان عليا كتب الى معاوية هذه الابيات

اما والله إن الظلم شوم ولا زال المسيء هو الظلوم
إلى الديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في الحساب إذا التقينا غدا عند المليك من الظلوم
ستنقطع اللذاذة عن أناس من الدنيا وتنقطع الهموم
لأمر ما تصرفت الليالي لأمر ما تحركت النجوم
سل الايام عن أمم تقضت ستخبرك المعالم والرسوم

يَرُومُ الخلدَ فِي دَارِ المنَايَا فَكم قد رَامَ مِثلكَ مَا يَرُومُ
يَنَامُ وَلم تنم عَنكَ المنَايَا تنبه لِلمنية يَا نَؤُومُ
لهوتَ عَنِ الفنَاء وَأنتَ تفنَى فَمَا شيءٌ مِنَ الدُّنيا يَدُومُ

قالَ بعضُهُم

عَجبتُ لِمن جَدَّ فِي شَأنِهِ لجرِّ الرَّجَاء وَبادِ الأَمل
يُؤمِلُ مَا لَم يُقَدَّر لَهُ وَيضحكُ منه دُنُوُّ الأجل
يَقولُ سَأفعَلُ هذَا غدًا وَدُون غدٍ لِلمنايا عمَل

قَالَ آخرُ

عَجبتُ لِمَيْتٍ يُخلفُ بعدهُ لِوارِثه مَا كَانَ يجمعُ مِن كسبِ
حَوَوا مَالهُ ثُمَّ استهلُّوا لِقبره ينادي بكَا تحتهُ ضحكُ القلب

قَالَ غيرُهُ

واللهِ لَو كَانتِ الدُّنيَا بأجمعها تبقى علينا وَيأتي رِزقُهَا رغدا
ما كَانَ مِن حَقِّ حُرٍّ أن يَذِلَّ لهَا فكيف وَهِيَ مَتاعٌ يضمحِلُّ غدا

قَالَ آخرُ

إِنَّمَا هَذِهِ الحَيَاةُ مَتَاعٌ فَالجهُولُ الجهُولُ مَن يَصطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتَ والمؤمَّلُ غَيبٌ ولكَ السَّاعَةُ الَّتِي أنتَ فِيهَا

٢٩ أورد ابنُ خلِّكَانَ عَن بعضِهِم

عيبُ الدُّنيا لِطالِبِهَا واستراحَ الزاهدُ الفطِنُ
كُلُّ ملكٍ نالَ زخرفَهَا حَسبُهُ مِمَّا حَوَى كَفَنُ

يقتني مالًا ويتركه في كلا الحالين ممتحن
أملي كوني على ثقة من لقاء الله مرتهن
أكره الدنيا وكيف بها والذي تحوي به وثن
لم تدم فضلًا على أحد فلماذا الهم والحزن

وأنشد آخر

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر وان أم أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوك الـروم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تجبى إليه والخابور
شاده مرمرًا وجلله كلسًا فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الـملك عنه فبابه مهجور

قال غيره

تأمل في الوجود بعين فكر ترى الدنيا الدنية كالخيال
ومن فيها جميعًا سوف يفنى ويبقى وجه ربك ذي الجلال

قال آخر

دنياك شيئان فانظر ما ذلك الشيئان
ما فات منها فحلم وما بقي فأماني

٣ إستنشد المتوكل أبا الحسن علي بن محمد فقال إني لقليل الرواية في الشعر فقال لا بد فأنشده

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

واستنزلوا بعد عزٍ عن معاقلهم   وأودعوا حفرًا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخٌ من بعدِ ما دفنوا   أين الأسرّةُ والتيجانُ والحللُ
أين الوجوهُ التي كانت منعّمةً   من دونها تضربُ الأستارُ والكللُ
فأفصح القبرُ عنهم حين ساءلهم   تلك الوجوهُ عليها الدودُ ينتقلُ
قد طالما أكلوا دهرًا وما شربوا   فأصبحوا بعد طولِ الأكلِ قد أُكلوا
وطالما كنزوا الأموالَ وادخروا   فخلّفوها على الأعداء وارتحلوا
وطالما شيّدوا دورًا لتحصنهم   ففارقوا الدورَ والأهلينَ وانتقلوا
أضحت مساكنُهم وحشًا معطّلةً   وساكنوها إلى الأجداثِ قد رحلوا
سل الخليفةَ إذ وافت منيّتُهُ   أين الجنودُ وأين الخيلُ والخولُ
أين الكنوزُ التي كانت مفاتحها   تنوءُ بالعصبةِ المقوينَ لو حملوا
أين العبيدُ الأُلى أرصدتهم عددًا   أين العديدُ وأين البيضُ والأسلُ
أين الفوارسُ والغلمانُ ما صنعوا   أين الصوارمُ والخطيّةُ الذُّبلُ
أين الكماةُ ألم يكفوا خليفتهم   لما رأوهُ صريعًا وهو يبتهلُ
أين الكماةُ أما حاموا أما غضبوا   أين الحماةُ التي تُحمى بها الدُّولُ
أين الرماةُ ألم تمنع بأسهمهم   لما أتتك سهامُ الموتِ تنتصلُ
هيهات ما منعوا ضيمًا ولا دفعوا   عنك المنيّةَ إذ وافى بها الأجلُ
ولا الرُّشى دفعتها عنك لو بذلوا   ولا الرُّقى نفعت شيئًا ولا الحيلُ
ما ساعدوك ولا واساك أقربُهم   بل أسلموكَ لها يا بئسَ ما فعلوا
ما بالُ قبرِكَ لا يأتي به أحدٌ   ولا يطوفُ به من بينهم رجلُ

مَا بَالُ قَصرِكَ وَحشاً لَا اَنِيسَ بِهِ يَغشَاكَ مِن كَنَفِهِ الرَّوعُ وَالوَهَلُ
مَا بَالُ ذِكرِكَ مَنسِيّاً وَمُطَّرَحاً وَكُلُّهُم بِاقتِسَامِ المَالِ قَد شُغِلُوا
لَا تُنكِرَنْ فَمَا دَامَت عَلَى مَلِكٍ وَلَا اَنَاخَ عَلَيهِ المَوتُ وَالوَجَلُ
وَكَيفَ يَرجُو دَوَامَ العَيشِ مُتَّصِلاً وَرُوحُهُ بِحِبَالِ المَوتِ مُتَّصِلُ
وَجِسمُهُ لِنُبَاتِ الرَّدى عَرَضٌ وَمُلكُهُ زَائِلٌ عَنهُ وَمُنتَقِلُ

(ويُروى هذه القصيدة في ديوان علي بن ابي طالب)

حفظ الحواس

٣١ قَالَ المُعلَّى الصُّوفيُّ شَكَوتُ إِلَى بَعضِ الزُّهادِ فَسَاداً أَجِدُهُ فِي قَلبِي . فقالَ هَل نظرت إِلَى شيءٍ فتاقت إِليهِ نفسُكَ قُلتُ نعم قَالَ احفظ عينيك فإنكَ إن اطلقتَهُمَا أوقعاكَ في مكروهٍ وإن ملكتَهُمَا مَلَكتَ سائرَ جوارحِكَ (قال) مُسلِمٌ الخواصُ لِمُحمدِ بنِ عَلِيٍّ الصُّوفيِّ أوصني فقالَ أُوصيكَ بتقوى الله في أمركَ كلِّهِ وَايثارِ ما يُحبُّ عَلَى محبتِكَ وإيَّاكَ والنظرَ إِلَى كلِّ ما دعاكَ اليهِ طرفُكَ وَتَشَوَّفَ اليهِ قلبُكَ فإنهُ ان ملكاكَ لم تملكْ شيئاً مِن جوارحِكَ حتى تبلغَ بِهِ امَا تطالبانكَ بهِ وَان ملكتَهُما كنتَ الداعيَ لهُمَا إِلَى مَا أَردتَ فلم يعصيا لَكَ أمراً وَلَا يَرُدَّا لَكَ قولاً (قال بعضُ الحكماءِ)
إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جعلَ القلبَ اميرَ الجسدِ وَمَلِكَ الاعضاءِ فجميعُ الجوارحِ تنقادُ لهُ وَكُلُّ الحواسِّ تطيعُهُ وهُوَ مُدبِّرُهَا ومُصرِّفُهَا وقائدُهَا وسائقُهَا وبارادتِهِ تنبعثُ وَفي طاعتِهِ تنقلبُ ووزيرُهُ العقلُ وعاضدُهُ

الفهم وَرائِدهُ العيان وَطَليعتُهُ الأذنان وَهُما في الفعل سَوَاء لَا يكتمان أمرا ولَا تطويان دونه سرا (يريد العين والأذن)

الدهر وحوادثه

٣٢ لقي رَجُل حكيما فقال كيف ترى الدهر قال يُخلق الأبدان وَيُجدد الآمال وَيقرب المنية ويُباعد الأمنية قال فما حال أهله قال من ظفر منهم تعب ومن فاته نصب قال فما يغني عنه قال قطع الرجاء منه قال فأي الأصحاب أبر وأوفى . قال العمل الصالح وَالتقوى قال فأيهم أضر وأردى . قال النفس وَالهوى قال فأين المخرج قال سلوك المنهج (زهر الآداب للقيرواني)

٣٣ قال بعض الحكماء أف للدهر ما أكدر صفاءه وأخبث راحته وأعدى أيامه ولياليه وقيل تسار الدهر في الأخذ أسرع من تميمه في البذل لا يعطي بهذه إلا ارتجع بتلك وقال آخر الدهر لا يؤمن يومه وَيخاف غده يصرع بديه ويجرح يده وقيل الدهر يعز ويمر ويسوء من حيث يسر وقال آخر الدهر لا يصفي فيه المواهب حتى تخللها المصائب ولا تصفو فيه المسارب حتى يكدرها الشوائب (وفي فصل لابن المعتز) هذا زمان متلون الأخلاق متداعي البنيان موقظ الشر منيم الخير مطلق أعنة الظلم حابس روح العدل قريب الأخذ من الإعطاء والكآبة من البهجة والمقطوب من البشر مر الثمرة بعد الجنى فاصبر على النفوس

بكُرتبهِ مُسبح عَلَى الأَحسَام بوَحسَبهِ لَا ىطِقُ إِلّا بِالشَّكوى . وَلَا تَسكُتُ إِلاعَلى عَصص وبأوَى (وَمِثلُهُ فصلٌ لِلصاحِبِ) ألزمانُ حَديدُ الظُّفرِ لِيمُ الطعمِ حُلوُ المَوردِ مُرُّ المصدَرِ اَرُهُ عِىد المرءِ كأثرِ السىفِ فِى الصرِيبَه وَالَّلسبِ فِى القَرِىسَهِ (وَلِشَمسِ المَعالِى قابُوسٍ) الدهرُ شرٌّ كُلُّهُ مُفصلُهُ وَمُجمَلُهُ إن اصحكَ ساعةً ابكى سَنةً وإن أتى بِسَيِّئةٍ جعلها سُنةً ومن أَرادَ مِنهُ غيرَ هٰذا سيره اراد مِنَ الاعمَى عبا بَصيرةً ومَن ابتغى مِنهُ الرِعايَه . ابتغى مِنَ الغُولِ الهدايَه

(طرايف اللطايف للمقدسى)

قال بعضُهُم

يا طالَما طال حِرصُ الناسِ فِى حَذَرٍ ... عَلَى الحَياةِ وضاعَ الحِرصُ والحذرُ

قد غرَّهم زُخرُفُ الدنيا وبَهجتُها ... يعمّ الغُصونُ ولكن بِسما الثمرُ

قالَ آخرُ

ما أَنتَ إلا كَزرعٍ عِند خُضرَتِهِ ... بِكلِ شيءٍ مِن الآفاتِ مَقصُودُ

وإِن سَلِمتَ مِنَ الآفاتِ اجمعِها ... فَأنتَ عِند كَمالِ الامرِ مَحصُودُ

قَال بعضُهُم يذكُرُ فجائع الدهرِ

واصبحتُ كالبازِى المُنتَّفِ رِيشُهُ ... يَرَى حَسَراتٍ كُلَّما طارَ طائرُ

يَرى خرقاتِ الجوِّ يخرقن فِى الهوا ... فَيَذكُرُ رِيشا مِن جناحيهِ وافِرُ

وَقد كانَ دَهرًا فِى الرِياضِ مُنَعَّمًا ... عَلَى كُلِ ما يَهوى مِنَ الصيدِ قادِرُ

إلَى اَن اصابَتهُ مِنَ الدهرِ نكبَةٌ ... فاصبحَ مقصُوصَ الجناحينِ حاسِرُ

قال غيره

فِي الدهر تخرب الأُمَمُ والحاصلُ بِــهُ لهم ألمُ
سحائبه ومصائبه أمواجُ زواخر تلتطم
والعمرُ تسيرُ مسيرَ الشمس فليس تقرُّ له قدم
قدمان له تسعى بهما فضحى ودُجى ضوءٌ ظُلَمُ
والناسُ بحُلم حالتهم فإذا ذهبوا ذهب الحُلُمُ
صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ بهمُ بِهمُ هيمٌ لهمُ بِهم
فرقوا فِرقًا فرقوا فرقًا ومضوا طرقًا لا تلتئم

قال آخر

وما الدهرُ إلا سُلَّمٌ فبقدرِ ما يكونُ صعودُ المرء فيهِ هُبوطُهُ
وهيهاتُ ما فيــهِ نزولٌ وإنما شروطُ الذي ترقى إليه سقوطُهُ
فمن كان أعلى كان أوفى تهشُّما ووفاءً بما قامت عليــهِ شروطُهُ

ذكر الموت

٣٤ قال ابن المعتز

نسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ ساعةٍ وأيامُنا تُطوى وهنَّ مراحِلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقًّا فإنهُ إذا ما تخطَّتهُ الأمانيُّ باطلُ
فما أقبحَ التفريطَ في زمن الصبا فكيف بهِ والشيبُ في الرأس شاعِلُ
ترحَّل من الدنيــا بزادٍ من التُّقى فعُمرُكَ أيامٌ تُعدُّ قلائلُ

وقال أبو العتاهية في وصف الموت

كأنّ الأرض قد طُويت علينا   وقد أُحرجتُ بما في يده
كأني صرتُ منفردًا وحيدًا   وبُرهبا لذلك ما علما
كأن الباكيات سلين قومًا   ولا نُعي البكاء على شدنا
ذكرنَ منيتي فعصت نفسي   الا اسعد أخيكَ يا أخانا

وقال غيره

أتلهو بين باطيةٍ وزيرٍ   وأنت من الهلاك على شفير
فيا من غرّه أملٌ طويلٌ   يؤديهِ الى أجلٍ قصير
أتفرحُ والمنيةُ كلَّ يومٍ   تُريك مكانَ قبرك في القبور
هي الدنيا فإن سرّتك يومًا   فإن الحزنَ عاقبةُ السرور
ستُسلبُ كلّ ما جمعت منها   كعاريةٍ تُردُّ الى المعير

٣٥ وقال بعضهم عن انسانٍ ميت

صفّوا خدي على لحدي صفوهُ   ومن عفر التراب فوسدوهُ
وشقّوا عنهُ أكفانًا رقاقًا   وفي الرمس البعيد فغيبوهُ
فلو أبصرتموهُ اذا تقضّى   صبيحةُ ثالثٍ أنكرتموهُ
ولو سالت نواظرُ مقلتيهِ   على وجناتهِ لرفضتموهُ
وقد نادى البلى هذا فلانٌ   هلمّوا فانظروا هل تعرفوهُ
حبيبكُمُ وجاركُمُ المفدى   تقادمَ عهدهُ فنسيتموهُ

قال بعضهم

من كان يعلمُ أن الموتَ مدركهُ   والقبرَ مسكنهُ والبعثَ مخرجهُ

وأيهُ مَن جنّاتٍ ستدخلُهُ   يومَ القيامه او نارٍ ستلفحُهُ
فكُلُّ شيءٍ سوى التقوى به سمجٌ   وما أقامَ عليهِ منهُ أسمجُهُ
ترى الذي اتخذَ الدنيا لهُ سكنا   لم يدرِ أنّ المنايا سوف تزعجُهُ

وقالَ آخرُ مُشتَوِهٌ إلى الموتِ

جزى اللهُ عنا الموتَ خيرًا فإنّهُ   أبرُّ بنا مِن كلِّ برٍّ وأرأفُ
يُعجّلُ تخليصَ النفوسِ من الأذى   ويُدني مِنَ الدارِ التي هي أشرفُ

وقالَ عروةُ

مَن كانَ يرجو أن يعيشَ فإنّني   أصبحتُ أرجو أن أموتَ فأُعتقا
في الموتِ ألفُ فضيلةٍ لو أنها   عُرفت لكانَ سبيلُهُ أن يُعشقا

وقالَ بعضهم

ما لي مررتُ على القبورِ مُسلّما   على الرميمِ فلم يرُدّ جوابي
يا صاحِ ما لكَ لا تُجيبُ مُناديا   أنكرتَ بعدي خُلّةَ الاصحابِ
قال الرميمُ وكيفَ لي بجوابكم   وأنا رهينُ جنادلٍ وترابِ
أكلَ الترابُ محاسني فنسيتكم   وحُجبتُ عن أهلي وعن أحبابي

٣٦ وقالَ آخرُ

إستعدّي يا نفسُ للموتِ واسعي   لنجاةٍ فالحازمُ المستعدُّ
قد تبيّنتِ أنّهُ ليسَ للحيّ   خلودٌ وما مِنَ الموتِ بُدُّ
إنّما أنتِ مُستعيرةٌ ما سو   فَ تردّينَ والعواري تُردُّ
أنتِ تسهينَ والحوادثُ لا تسهو   وتلهينَ والمنايا تُجِدُّ

اىُّ مِلكٍ فِى الأَرضِ أَو أىُّ حَظٍ لامرىءٍ حَظُّـهُ مِنَ الأَرضِ لَحْدُ
لا يُرجى المَاءُ فِى مَعدِنِ المو تِ وَدَارٍ حُتُوفُهَا لكَ وِردُ

التوبة الى الله

٣٧ قال عنترة

سَلَوتُ عنِ الاحبَّـه والمُدَام وَمِلتُ عن التَّهتُّكِ وَالهُيَام
وَسلَّمتُ الأُمورَ إلى إلهى وَوَدعتُ الغوايَةَ بِالسَّلَام
ومِلتُ إلَى اكتسَابِ ثوابِ ربى وَقِدمًا طَالَ عَزمى بالغَرَام
وَمَا انَا بعدَهَا مُعطى عِنانى الـهَوَى لكِى يُرى بِيَدى زِمَامِى
أَبعدَ الشَّيبِ وهو أخو سُكُونٍ يلوحُ بانْ أَميلَ إلى الغَرَامِ
فَشُربُ الراحِ بَعضُ سَدَاهُ دَاءٌ وَلَو مِن راحتى تَدرُ الْغَمَام
فكم أحرَبتُ فى مَيدَانِ لهوٍ خُيُولَ هوىً وَكَم ضُربَت خِيَامى
سَأَوِى الكأسَ بِيسًا وَصَدًّا وإن حَابَ بُقَابِلُ بِابتِسَام
عَزَمتُ على الرُّجوعِ عَن المَناهى وَمِثلى من يَدُومُ عَلَى اعتِزَام

٣٨ صعد الوليد بن يزيد المنبر فخطب القوم بالشعر فقال

الْحَمدُ لله ولي الحَمدِ أَحمَدُهُ فى يُسرِنا وَالجَهدِ
مَن يُطع الله فقد اصابا او يَعصِه أو الضَمير خابا
كتابُه لما بقى لديكُم حَيٌّ صَحيحٌ لايزالُ فيكُم
انكُم مِن بَعد ان زلُّوا عن قصده او نَهجه ضلُّوا
لا تتركن نصحى فإنى ناصحُ إن الطريقَ فاعلمن واضحُ

مَن نبي الله محمد عن النبي ... يوم الحساب صائرًا الى الهدى
ان التقى أفضل شيء في العمل ... أرى جماع البر فيه قد دخل
خافوا الجحيم إخوتي لعلكم ... يوم اللقا تجزوا ما سركم
قد قيل في الأمثال لو علمتم ... فانتفعوا بذاك إن عقلتم
ما يزرع الزارع يومًا يحصده ... وما تقدم من صلاح تجده
فاستغفروا ربكم وتوبوا ... فالموت منكم فاعلموا قريب

(الأغاني)

٣٩ قال بعضهم

حتّام أنت بما تلهيك مشتغل ... عن نهج قصدك من خمر الهوى ثمل
تمضي من الدهر بالعيش الذميم إلى ... كم ذا التواني وكم تغري بك الأمل
وتدعي طرق القوم معرفة ... وأنت منقطع والقوم قد وصلوا
فانهض إلى ذروة العلياء مبتدرًا ... عزمًا لترقى مكانًا دونه زحل
وإن طربت فقد حاورت مكرمة ... تلقاؤها بثنا الله متصل
وإن قصدت بهم وجدًا فأحسن ما ... تنال عليك قضى من وجده الرجل

٤٠ قال بهاء الدين العاملي في كتاب رياض الأرواح

ألا يا خائضًا بحر الأماني ... هداك الله ما هذا التواني
أضعت العمر عصيانًا وجهلًا ... فمهلًا أيها المغرور مهلًا
مضى عصر الشباب وأنت غافل ... وفي ثوب العمى والغي رافل
إلى كم كالبهائم أنت هائم ... وفي وقت الغنائم أنت نائم

وَطَرفُكَ لَا يُرَى إلا طَمُوحَا وَنَفسُكَ لَم تَزَل أَبَدًا جَمُوحَا
وَقَلبُكَ لَا يَفِيقُ عَنِ المَعَاصِي فَوَيلَكَ يَومَ تُؤخَذُ بِالنَوَاصِي
هِلَالُ الشَيبِ نَادَى فِي المَفَارِق يَحِيُّ عَلَى الذَهَابِ وَأَنتَ غَارِق
بِبَحرِ الإثمِ لَا تُصغِي لِوَاعِظ وَإن أَطرَى وَأَطنَبَ فِي المَوَاعِظ
وَقَلبُكَ هَائِمٌ فِي كُلِّ وَادِ وَجَهلُكَ كُلَّ يَومٍ فِي ازدِيَادِ
عَلَى تَحصِيلِ دُنيَاكَ الدَنِيَّه مُجِدًّا فِي الصَبَاحِ وَفِي العَشِيَّه
وَجُهدُ المَرءِ فِي الدُنيَا شَدِيدُ وَلَيسَ يَنَالُ مِنهَا مَا يُرِيدُ
وَكَيفَ يَنَالُ فِي الأُخرَى مَرَامَه وَلَم يَجهَد لِمَطلَبِهَا قُلَامَه

٤١ قَالَ بَهَاءُ الدِينِ زُهَيرٌ

نَزَلَ المَشِيبُ وَإِنَّهُ فِي مَفرِقِي لَأَعَزُّ نَازِل
وَبَكَيتُ إذ رَحَلَ الشَبَا بُ فَآهِ آهِ عَلَيهِ رَاحِل
بِاللّهِ قُل لِي يَا فُلَا نُ وَلِي أَقُولُ وَلِي أُسَائِل
أَتُرِيدُ فِي السَبعِينَ مَا قَد كُنتَ فِي العِشرِينَ فَاعِل
هَيهَاتَ لَا وَاللهِ مَا هَذَا الحَدِيثُ حَدِيثَ عَاقِل
قَد كُنتَ تُعذَرُ بِالصِبَا وَاليَومَ ذَاكَ العُذرُ زَائِل
مَنَّتكَ نَفسُكَ بَاطِلًا وَإِلَى مَتَى تَرضَى بِبَاطِل
قَد صَارَ مِن دُونِ الَّذِي تَرجُوهُ مِن مَرَحٍ مَرَاحِل
ضَيَّعتَ ذَا الزَمَنَ الطَوِيلَ وَلَم تَفُز فِيهِ بِطَائِل

ألبابُ الثالثُ

في المراثي

رثاء داود الطائي

٤٢ لمّا ماتَ داوُدُ الطائيُّ تكلّمَ ابنُ السمّاكِ مُثنيًا عليهِ فقال إنَّ
داوُدَ نظرَ إلى ما بينَ يدَيهِ من آخرتِهِ فأعشى بصرُ القلبِ بصرَ العينِ
فكأنّهُ لم ينظرْ إلى ما إليهِ تنظرُونَ وكأنّكم لم تنظرُوا إلى ما إليهِ
نظرَ وأنتم منهُ تعجبُونَ وهُوَ منكُم يتعجّبُ فلمّا رآكُم مفتُونينَ
مغرُورينَ قد أذهلَتِ الدُّنيا عقُولَكُم وأماتت بحبّها قلُوبَكُم استوحشَ
منكُم فكُنتَ إذا نظرتَ إليهِ حسبتَهُ حيًّا وسطَ أمواتٍ يا داوُدُ ما
أعجبَ شأنَكَ بينَ أهلِ زمانِكَ أهنتَ نفسَكَ وإنّما تُريدُ إكرامَها
وأتعبتَها وإنّما تُريدُ راحتَها أخشنتَ المطعمَ وإنّما تُريدُ طيّبَهُ
وأخشنتَ الملبسَ وإنّما تُريدُ لينَهُ ثُمّ أمتَّ نفسَكَ قبلَ أن تموتَ وقبرتَها
قبلَ أن تُقبرَ وعذّبتَها قبلَ أن تُعذَّبَ سجنتَ نفسَكَ في بيتِكَ ولا
مُحدّثَ لها ولا جليسَ معها ولا فراشَ تحتَكَ ولا سترَ على بابِكَ ولا
قلّةَ تُبرّدُ فيها ماءَكَ ولا صحفةَ يكونُ فيها غداؤُكَ وعشاؤُكَ يا داوُدُ ما
تشتهي منَ الماءِ باردَهُ ولا منَ الطعامِ طيّبَهُ ولا منَ اللباسِ لينَهُ بلى
ولكن زهدتَ فيهِ لما بينَ يديكَ فما أصغرَ ما بذلتَ وما أحقرَ ما
تركتَ في جنبِ ما رغبتَ وأمّلتَ لم تقبلْ منَ الناسِ عطيّةً ولا من

الإخوانِ هدِيَّةً فلمَّا مُتَّ شهرتكَ ربّك بمصابك وألبسك رداءَ عملك.
فلو رأيت من حضرك علمتَ أنّ ربّك قد أكرمك (لابن عبد ربّه)

رثاء الاسكندر

٤٣ مختارٌ من قول الحكماء عند وفاةِ الإسكندرِ لمّا جُعل في تابوتٍ
مِن ذهب بمقدم إليه أحدُهم فقال كان الملكُ يخبأ الذهبَ وقد
صار الآن الذهبُ يخبأه وتقدّمَ إليهِ آخرُ فقالَ قد طافَ الأرضَ
وملكها ثمّ جُعلَ منها في أربعةِ أذرُعٍ (ووقف عليهِ آخرُ) فقالَ
أنظر إلى حُلم النائم كيف انقضى إلى ظلِّ الغمامِ وقدِ انجلى
(ووقفَ عليهِ آخرُ) فقال ما لك لا تُقِلُّ عضواً مِن أعضائكَ وقد
كنت تستقلُّ مُلكَ العباد (وقال آخرُ) ما لكَ لا ترغبُ بنفسك
عن ضيقِ المكانِ وقد كنت ترغبُ بها عن رحبِ البلاد (وقال آخرُ)
أماتَ هذا الميتُ كثيراً من الناسِ لئلّا يموتَ وقد ماتَ الآن (وقالَ
آخر) ما كان أقبح إفراطك في التجبّرِ أمس مع شدّة خضوعك
اليومَ (قالت بنتُ دارا) ما علمت أنّ غالبَ أبي يُغلَبُ (وقال رئيسُ
الطبّاخين) قد نُضِدت النضائدُ وأُلقيتِ الوسائدُ ونُصبت الموائدُ
ولستُ أرى عميد المجلس (للهمذاني)

٤٤ قالَ ابنُ عبدِ ربّه يرثي ولدهُ

واكبدا قد تقطعت كبدي قد حرقتها لواعجُ الكمد
ما مات حيٌّ لميتٍ أسفاً أعذرَ من والدٍ على ولدِ

يا رَحْمَةَ الله حاوِري جَدَثاً دفنتُ فيهِ حُشاشَتي بِيَدي
وَنَوِّري ظُلمةَ القُبورِ عَلَى مَن لم يَصِل ظُلْمُهُ إلَى أَحَدِ
مَن كَانَ خلواً من كُلِّ بائقة وَطيبِ الرُّوح طَاهِر الجَسَدِ
يا مَوتُ يَحيى لَقَد ذَهَبتَ بِهِ لَيسَ بِزُمَّيلةٍ وَلا نَكِدِ
يَامَوتَهُ لو اقلت عثرته يا يَومَهُ لَو تَرَكتَهُ لِغَدِ
يامَوتُ لَو لَم تَكُن تُعاجِلُهُ لَكانَ لا شَكَّ بَيضة البَلَدِ
أَو كُنتَ اخَّرتَ فِي الزَّمانِ لَهُ حازَ العُلا واحتوَى عَلَى الأَمَدِ
أيُّ حُسامٍ سَلَبتَ رَونَقَهُ وَأيِّ رُوحٍ سَلَلتَ مِن جَسَدِ
وَأيِّ ساقٍ قَطَعتَ مِن قَدَمٍ وَأيِّ كَفٍّ أزلتَ مِن عَضُدِ
يا قَمَراً اجحَفَ الخُسوفُ بِهِ قَبلَ بُلوغِ السَّواءِ فِي العُدَدِ
أيُّ حَشاً لَم يَذُب لَهُ أَسَفاً وَأيُّ عَينٍ عَلَيهِ لَم تَجُدِ
لا صَبرَ لِي بَعدَهُ وَلا جَلَدٌ فُجِعتَ يا صَبرُ فِيهِ والجَلَدِ
لَولَم أَمُت بَعدَ مَوتِهِ كَمَداً لَحَقَّ لِي أَن أَموتَ مِن كَمَدي
يا لَوعَةً لا يَزالُ لاعجُها يَقدَحُ نارَ الأسَى عَلَى كَبِدي

٤٥ وقال فيه أيضاً

لا تَبتَغ بُكيَّ الأَفارِق السَّكَنا وَلا امَلَّا فَرَحاً إلَّا امَلَّا حَزَنا
لَهفِي عَلَى مَيِّتٍ ماتَ السُّرورُ بِهِ لَو كانَ حَيّاً لَأَحيا الدِّينَ والسُّنَنا
إذا ذَكَرتُكَ يَوماً قُلتُ وَاحزَنا وَمَا يَرُدُّ عَلَيكَ القَولُ واحَزَنا
يا سَيِّدي وَمُراحَ الرُّوحِ في جَسَدي هَلَّا دَنا المَوتُ مِنِّي حِينَ مِنكَ دَنا

حتى تمرّ بنا في قعر مظلمةٍ لحدٍ ويلبسنا في واحدٍ كما
يا أطيب الناس روحاً ضمّه بدنٌ أستودع الله ذاك الروح والبدنا
لو كنت أعطي به الدنيا معاوضةً منه لما كانت الدنيا له ثمنا

٤٦ قال الحسن بن هانئ في الأمين

طوى الموت ما بيني وبين محمدٍ وليس لما تطوي المنيّة ناشرُ
وكنتُ عليه أحذرُ الموت وحده فلم يبقَ لي شيء عليه أحاذرُ
لئن عمرت دورٌ بمن لا أحبّه لقد عمرت ممن أحبّ المقابرُ

ومات ابنٌ لأعرابي فاشتدّ حزنه عليه وكان الأعرابي يُكنى به فقيل له لو صبرت لكان أعظم لثوابك فقال

بأبي وأمي من عبأتُ حنوطه بيدي وفارقني بماء شبابه
كيف السلوّ وكيف أنسى ذكره وإذا دُعيتُ فإنما أُدعى به

وقال آخر يرثي أخاه

أخٌ طالما سرّني ذكرهُ فقد صرتُ أشجى إلى ذكرهِ
وقد كنتُ أغدو إلى قصرهِ فقد صرتُ أغدو إلى قبرهِ

٤٧ قالت الخنساء ترثي أخاها

أعينيّ جودا ولا تجمُدا ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجريّ الجوادا ألا تبكيان الفتى السيّدا
طويلُ النجاد رفيعُ العماد ساد عشيرته أمردا
يحمّله القومُ ما عالهم وإن كان أصغرهم مولدا

خضوعُ الضيوفِ إلى بابه يرى أفضلَ الكسبِ أن يُحمدا

وقالت أختُ الوليد بن طريف ترثي أخاها المذكور

أيا شجرَ الخابورِ مالكَ مورقًا كأنّكَ لم تجزعْ على ابن طريفِ
فتى لا يُريدُ العزَّ إلا من التقى ولا المالَ إلا من قنًا وسيوفِ
فقدناهُ فقدانَ الربيعِ فليتنا فديناهُ من ساداتنا بألوفِ
خفيفٌ على ظهرِ الجوادِ إذا عدا وليسَ على أعدائهِ بخفيفِ
عليكَ سلامُ اللهِ وقفًا فإنّني أرى الموتَ وقّاعًا بكلِّ شريفِ

قال ابنُ معتوق يرثي علي بن أبي طالب

حزني عليهِ دائمٌ لا ينقضي وتصبّري منّي عليّ تعذّرا
وارحمتاهُ لصارخاتٍ حولَهُ تبكي لهُ ولوجهها لن تسترا
مُلقى على وجهِ الترابِ تظنّهُ داودَ في المحرابِ حينَ تسوّرا
لهفي على الهاوي الصريعِ كأنّهُ قمرٌ هوى من أوجهِ فتكوّرا
لهفي على تلكَ البنانِ تقطّعت لو أنّها اتّصلت لكانت أبحرا
لهفي على العباسِ وهوَ مجدّلٌ عرضت منيّتهُ لهُ فتعثّرا
لحقَ العمادُ حبيبَهُ ولطالما في شأوهِ لحقَ الكرامَ وعثّرا

٤٨ وقال الأصمعي

لعمرُكَ ما الرزيّةُ فقدُ مالٍ ولا فرسٌ يموتُ ولا بعيرُ
ولكنّ الرزيّةَ فقدُ حرٍّ يموتُ لموتهِ خلقٌ كثيرُ

وقال الصفدي

يا غائباً في الثرى تبلى محاسنه   الله يوليك غفراناً وإحساناً
إن كنت جرعت كأس الموت واحدة   ففي كل يوم أذوق الموت أحياناً

رثى بعض الشعراء القاضي الباقلاني البصري

أنظر إلى جبل تمشي الرجال به   وانظر إلى القبر ما يحوي من الصلف
وانظر إلى صارم الإسلام مغمداً   وانظر إلى درة الإسلام في الصدف

قال بعضهم

أفي كل يوم لي خليل مودع   لقد جئت أن أبقى بغير خليل
ولا بد يوماً أن تجيء منيتي   وتفرد مني صاحبي ودخيلي

قال آخر يرثي أخاه

كان يوم فارقني حبيب   زرت ذوي المودة أجمعا
وكان على الزمان أخي حبيب   نعما لي وكنت له نعما
فإن يفرح بمصرعه الأعادي   فما نلقى لهم متخشعا

قال إبراهيم الصولي يرثي ابناً له مات يافعاً مترعرعاً

كنت السواد لمقلتي   فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت   فعليك كنت أحاذر

٤٩ كان ابن بسام يرثي علي بن يحيى المنجم

قد زرت قبرك يا علي مسلماً   ولك الزيارة من أقل الواجب
ولو استطعت حملت عنك ترابه   فلطالما عني حملت نوائبي

قال العتبي في ابن له توفي صغيراً

إن تكن مات صغيرًا فالأسى غيرُ صغيرِ
كان ريحاني فأمسى وهو ريحانُ القبور
غرسته في تراب البلى أيدي الدهورِ

قال غيرُه

لقد لامني عند القبورِ على البكا رفيقي لتذراف الدموع السوافكِ
فقال أتبكي كلَّ قبرٍ رأيتهُ لقبرٍ ثوى بين اللوى فالدكادكِ
فقلتُ له إن الشجا يبعثُ الشجا فدعني فهذا كلهُ قبرُ مالكِ

قال آخر

لكلِّ أناسٍ مقبرٌ بفنائهم فهم ينقصون والقبورُ تزيدُ
وما إن يزالُ رسمُ دارٍ قد اخلقت وبيتٌ لميتٍ بالفناء جديدُ
همُ جيرةُ الأحياء أما جوارُهم فدانٍ وأما الملتقى فبعيدُ

٥٠ قال الغطمّش الضبي

إلى اللهِ أشكو لا إلى الناس أنني أرى الأرض تبقى والأخلاءُ تذهبُ
أخلاي لو غيرُ الحمامِ أصابكم عتبتُ ولكن ما على الموتِ معتبُ

قال آخر

أجاري ما أزدادُ إلا صبابة إليك وما تزدادُ إلا تنائيا
أجاري لو نفسٌ فدت نفس ميتٍ فديتُك مسرورا بنفسي وماليا
وقد كنتُ أرجو أن أملاك حقبةً فحال قضاءُ الله دون رجائيا
ألا فليمت من شاء بعدك إنما عليك من الأقدار كان حذاريا

٥١ وقال أبو الشعب العبسي في خالد القسري وهو أسير

ألا إن خير الناس حيًّا وهالكًا ... أسير ثقيف عندهم في السلاسل
لعمري لئن عمّرتم السجن خالدًا ... وأوطأتموه وطأة المتثاقل
لقد كان يبني المكرمات لقومه ... ويعطي اللُّهى في كل حق وباطل
فإن تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه ... ولا تسجنوا معروفه في القبائل

قالت صفية الباهلية

كنا كغصنين في جرثومة سمقا ... حينًا بأحسن ما تسمو له الشجر
حتى إذا قيل قد طالت فروعهما ... وطاب فيآهما واستنظر الثمر
أخنى على واحدي ريب الزمان وما ... يبقي الزمان على شيء ولا يذر
كنا كأنجم ليل بيننا قمر ... يجلو الدجى فهوى من بيننا القمر

٥٢ وقال التيمي في منصور

لهفي عليك كلهفة من خائف ... يبغي جوارك حين ليس مجير
أمّا القبور فإنهن أوانس ... بجوار قبرك والديار قبور
عمّت فواضله فعمّ مصابه ... فالناس فيه كلهم مأجور
يثني عليك لسان من لم توله ... خيرًا لأنك بالثناء جدير
ردّت صنائعه إليه حياته ... فكأنه من نشرها منشور
فالناس مأتمهم عليه واحد ... في كل دار رنّة وزفير
عجبًا لأربع أذرع في خمسة ... في جوفها جبل أشم كبير

(الحماسة لأبي تمام)

ألبابُ الرَّابِعُ
فِي الحِكَم

٥٣ قيل لَا تستصغرنَّ أمر عدوّك إذا حاربتَهُ لِأَنَّكَ إن ظفرتَ به لم تُحمد وإن ظفر بك لم تُعذر والضعيفُ المحترسُ مِنَ العدوّ القوي أقربُ إلى السلامةِ مِنَ القويّ المُغترِّ بالعدوّ الضعيفِ وقيلَ العدُوُّ المحتقرُ ربّما أسدَ كالغصن النضر ربّما صار شوكًا وقيل لَا تأمننَّ العدُوَّ الضعيفَ أن يورطك فالرُّمحُ قد يُقتَلُ به وإن عدِمَ السنانَ والزُّجَّ قال الموسويُّ

ألفتلُ يصغرُ وهو أعظمُ ما رأت مِن المعوصِ

٥٤ يُقالُ إنَّ ابنَ القرِّيّة دخل على الحجّاجِ وقال لهُ ما الكُفرُ فقال ألبطرُ بالنعمةِ واليأسُ مِنَ الرحمةِ فقال ما الرضاءُ فقال القُنوعُ بعطاءِ الله تعالى والصبرُ على المكارهِ فقالَ ما الصبرُ فقال كظمُ الغيظِ والاحتمالُ لِما لَا يُرادُ قال ما الحلمُ فقال إظهارُ الرحمةِ عندَ القُدرةِ والرضاءِ عندَ الغضبِ قالَ ما الكرمُ فقال حفظُ الصديقِ وقضاءُ الحقوقِ قال ما الحميّةُ فقالَ الوقوفُ على رأسِ مَن هو دونكَ فقالَ ما الشجاعةُ فقالَ الحملةُ في وجوهِ الأعداءِ والكفّارِ والثباتُ في موضعِ الفرارِ وإرضاءُ الرجالِ قال ما العدلُ قال تركُ المرادِ وصحّةُ السيرةِ والاعتقادِ فقالَ

ما الإنصاف قال المساواة عند الدعاوى بين الناس فقال ما الذل قال الفزع عند حلول البلاء والاستكبار من قلة الرزق . فقال ما الحرص . قال حدة الشهوة عند الرجاء فقال ما الأمانة قال قضاء الواجب فقال ما الخيانة قال التراخي مع القدرة فقال ما الفهم قال التفكر وإدراك الأشياء على حقائقها (للعراقي)

٥٥ (فائدة جامعة ولمعة ساطعة ومقالة نافعة عن علي بن أبي طالب) قال للمؤمن على أخيه المؤمن ثلاثون حقاً لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو يغفر زلته ويرحم عبرته ويستر عورته . ويقيل عثرته . ويقبل معذرته ويرد غيبته . ويديم نصيحته ويحفظ خلته ويرعى ذمته ويعود مرضته ويشهد ميتته ويجيب دعوته ويقبل هديته ويكافئ صلته ويشكر نعمته . ويحسن نصرته ويحفظ حرمته ويقضي حاجته ويقبل شفاعته ولا يخيب مقصده . ويشمت عطسته ويرشد ضالته ويرد سلامه . ويطيب كلامه . ويبر إنعامه . ويصدق أقسامه وينصره ظالماً بردّه عن ظلمه ومظلوماً بإعانته على أخذ حقه . ويواليه ولا يعاديه ولا يخذله ولا يسلمه ويحب له من الخير ما يحب لنفسه . ويكره له من الشر ما يكره لنفسه فلا يترك واحداً منها إلا طالبه به يوم القيامة (الترغيب للأصبهاني)

٥٦ قال حكيم المؤمن شريف ظريف لطيف لا لعان ولا نمام ولا مغتاب ولا قتات ولا حسود ولا حقود ولا بخيل ولا محتال يطلب

من الخراب اعلاها ومن الأخلاق اسناها إن سلك مع اهل الآخرة كان أورعهم غضيض الطرف سخي الكف لا يرد سائل ولا يبخل بنائل متواصل الأحزان مترادف الإحسان يزن كلامه ويحرس لسانه ويحسن عمله ويكثر في الحق أمله مناسب على ما فاته من تضييع اوقاته . كأنه ناظر إلى ربه مراقب لما يخشى له لا يرد الحق على عدوه ولا يقبل الباطل من صديقه كثير المعونه قليل المؤنه عطف على اخيه عند عسرته لما مضى من قديم صحبته فهذه صفات المؤمن الخالص (للدميري)

٥٧ (من كلام الملوك الجاري مجرى الأمثال) قال أردشير إذا رغب الملوك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعه (افريدون) الايام صحائف آجالكم فخلدوها احسن اعمالكم (أنو شروان الملك) إذا كثر ماله مما يأخذ من رعيته كان كمن يعمر سطح بيته مما يقتلعه من قواعد بنائه (ابرويز) أطع من فوقك يطعك من دونك . قال ابن المعتز

كم فرصة ذهبت فعادت غصة تشجي بطول تلهف وتندم

لما عزم المنصور على الفتك بأبي مسلم فزع من ذلك عيسى بن موسى فكتب اليه

إذا كنت ذا رأي فكن ذا تدبر فإن فساد الرأي أن تتعجلا

فاجابه المنصور

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكُن ذا عزيمةٍ   فإنَّ فسادَ الرأيِ أن تترددا
ولا تُمهلِ الأعداءَ يوماً بغُدوةٍ   وبادِرهُم أن يملكوا مثلها غدا
(المُعتَصِمُ) إذا نصر الهوى بطلَ الرأيُ   (للمرواني)

٥٨ (قال أيوبُ بنُ القِرِّيَّة) الناسُ ثلاثةٌ عاقلٌ وأحمقُ وفاجرٌ فالعاقلُ الدينُ شريعتُه والحلمُ طبيعتُه والرأيُ الحسنُ سجيّتُه إن سُئل أجابَ وإن نطق أصابَ وإن سمع العلمَ وعى وإن حدّث روى وأما الأحمقُ فإن تكلّم عجل، وإن حدّث ذهل وإن استُنزل عن رأيه نزلَ فإن حُمل على القبيح حَمل وأما الفاجرُ فإن ائتمنتَه خانك، وإن حدّثته شانك وإن وثقتَ به لم يرعَك وإن استُكتِم لم يكتُم وإن عُلِّم لم يعلَم وإن حدّث لم يفهم وإن فُقِّه لم يفقه

٥٩ دخل رجلٌ على هشامٍ فقال يا أميرَ المؤمنين احفظ عني أربعَ كلماتٍ فيهن صلاحُ مُلكِك واستقامةُ رعيتك قال ما هن قال لا تعِدَنَّ عِدَةً لا تثق من نفسك بإنجازها ولا تغرّنك المرتقى وإن كان سهلاً إذا كان المنحدرُ وعراً واعلم أن للأعمال جزاءً فاتقِ العواقبَ وأن للأمور بغتاتٍ فكُن على حذرٍ قال عيسى بن دأب فحدّثت بهذا الحديث المهديَّ وفي يده لقمة قد رفعها إلى فيه فأمسكها وقال ويحك أعِد عليَّ فقلتُ يا أميرَ المؤمنين أسِغ لقمتك فقال حديثك أعجبُ إليَّ   (للعروضي)

أربعةُ أشياءَ سُمٌّ قاتلٌ وأربعةُ أشياءَ دِرياقُها الدنيا سُمٌّ قاتلٌ

والزهد فيها درياقه . والمال سمّ قاتل والزكاة درياقه والكلام
سمّ قاتل وذكر الله درياقه وملك الدنيا سمّ قاتل والعدل درياقه

٦٠ قال بعضهم الصوم ثلاث درجات صوم العموم وصوم
الخصوص وصوم خصوص الخصوص فأما صوم العموم فهو كف
البطن عن الشهوة وأما صوم الخصوص فهو كف السماع والبصر
واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام وأما صوم
خصوص الخصوص فصون القلب عن الهموم الدنية والأفكار
الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية (الكنز المدفون)

٦١ (فصل) من نوادر بزرجمهر حكيم الفرس (قال) أصحبني
الصحابة ووعظني الوعاظ شفقة ونصيحة وتأدبا فلم يعظني أحد مثل
شيبي ولا نصحني مثل فكري ولقد استضأت بنور الشمس وضوء
القمر فلم أستضئ بضياء أضوأ من نور قلبي وملكت الأحرار
والعبيد فلم يملكني أحد ولا قهرني غير هواي وعاداني الأعداء
فلم أر أعدى إليّ من نفسي إذا جهلت واحترزت لنفسي بنفسي من
الخلق كلهم حذرا عليها وشفقة فوجدتها أسرّ الأنفس لنفسها
ورأيت أنه لا يأتيها الفساد إلا من قبلها وزاحمني الصاحب فلم يزحمني
مثل الخلق السوء ووقعت من بعد البعد وأطول الطول فلم أقع في
شيء أضر عليّ من لساني ومشيت على الجمر ووطئت على الرمضاء
فلم أر نارا أحرّ عليّ من غضبي إذا تمكن مني وطالبني الطلاب فلم

يدركني مدرك مثل إساءتي . وطرقت ما الداء القاتل ومن أين يأتيني فوجدته من معصية ربي سبحانه واتمست الراحة لنفسي فلم أجد شيئا أروح لها من تركها ما لا يعنيها وركبت البحار ورأيت الأهوال فلم أر هولا مثل الوقوف على باب سلطان جائر وتوحشت في البرية والجبال فلم أر أوحش من قرين السوء وعالجت السباع والضباع والذئاب وعاشرتها وعاشرتني وغلبتها فغلبني صاحب الخلق السوء وأكلت الطيب وشربت المسكر فلم أجد شيئا ألذ من العافية والأمن وتوسطت الشياطين والجبال فلم أجزع إلا من الإنسان السوء . وأكلت الصبر وشربت المر فلم أر شيئا أمر من الفقر وشهدت الحروب ولقيت الجيوش وباشرت السيوف وصارعت الأقران فلم أر قرنا أغلب من المرأة السوء وعالجت الحديد ونقلت الصخر فلم أر حملا أثقل من الدين وطلبت فيما يذل العزيز ويكسر القوي ويضع الشريف فلم أر أذل من ذوي فاقة وحاجة ورشقت بالنشاب ورجمت بالحجارة فلم أر أنفذ من الكلام السوء يخرج من فم مطالب بحق وعذبت السجن وشددت في الوثاق وضربت بعمد الحديد فلم يهدمني شيء مثل ما هدمني الغم والهم والحزن واصطنعت الإخوان وانتخبت الأقوام للعدة والشدة والنائبة فلم أر شيئا أجر من الكرم عندهم وطلبت الغنى من وجوهه فلم أر أغنى من القنوع وتصدقت بالذخائر فلم أر صدقة أنفع من رد ذي

ضلالةٍ إلى هُدًى ورأيتُ الوحدةَ والغربةَ والمذلةَ فلم ارَ أذلَّ من مقاساة الجارِ السوء وسددتُ الدَّيانَ لأعزبه وادكر فلم أرَ سرقاً ارفعَ من اصطناعِ المعروفِ ولبستُ الكسى الفاخرة فلم البس شيئاً مثلَ الصلاحِ وطلبتُ احسنَ الأشياء عند الناسِ فلم ار شيئاً احسنَ من حُسنِ الخلقِ

٦٢ (فصلٌ) من حِكمِ سابق الهدى من كتابهِ الذي سمّاهُ منتحل الجواهرِ للملكِ ابنِ فابوس الهدى يا أيها الوالي اتق عذابَ الزمان واخش تسلُّطَ الأيام ولُؤمَ عامة الدهرِ واعلم انّ للأعمالِ جزاءً فاتقِ العواقبَ وللايام عدوات فكن على حذرٍ والزمانُ مدياتٌ مُسولٍ فاحذر تقلُّبهُ لينُ الكره مخف سطوتهُ سريعُ الغدرِ فلا تأمن دولتَهُ واعلم انَّ من لم يُداوِ نفسهُ من سقام الآثام في ايامِ حياتهِ فما ابعدهُ من الشفا في دارٍ لا دوا لهُ فيها ومن ادلَ حواسهُ واستعبدها فيما تقدمُ من خيرِ نفسه بانَ فضلهُ وظهر نبلهُ ومن لم يضبط نفسهُ وهي واحدةٌ لم يضبط حواسهُ وهي خمسٌ وإذا لم يضبط حواسهُ مع قلتها وذلّها صعُب عليهِ ضبطُ الاعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم فكانت عامةُ الرعيه في نواحي البلاد واطراف المملكةِ ابعد من الضبطِ فليبدأ الملكُ بسلطانهِ على نفسه فليس من عدوٍ احقَّ من ان تبداهُ بالقهر من نفسه ثم تشرع في قهرِ حواسه الخمس لانَ قوةَ الواحدةِ منهنَّ دونَ صواحباتها قد تأتي على النفسِ

القوية الجدرة فكيف اذا اجتمعت خمس أنفس على واحدة واعلم أن لكل واحدة منهن شرا ليس للأخرى فامهرها يسلم من شرها وانما يهلك الحيوان بالشهوات ألا ترى أن الفراش يكره الشمس فيسكن من حرها وتحمله ضياء النار فيدنو منها فتحرقه والظبي على نفار قلبه وشدة حرصه ينصت لسماع الملاهي فيمكن القانص من نفسه . والسمك في البحر يحمله لذة الطعم أن يبلعه فيحصل الصنارة في جوفه يكون فيه حتفه

٦٣ يحسن بالملك أن يشبه تصاريف تدبيره بطباع ستة أشياء الغيث والشمس والقمر والريح والنار والأرض والماء والموت فاما سنة (الغيث) فتواتره في اربعة أشهر من السنة ومنفعته لجميع السنة كذلك ينبغي للملك ان يعطي جنده وأعوانه اربعة اشهر بتدبيرا لتمام السنة فيحمل رفعهم ووضعهم في الحي الذي يستوجبونه بمنزلة واحدة كما يسري المطر بين كل اكمة وشرف وغائط مستفل ويعم كلا من ما به يقدر حاجته ثم يستحي الملك في الثمانية اشهرا حقوقه من غلاتهم وخراجهم كما يحيي الشمس بحرها وحده فعليها يداوه الغيث في اربعة اشهر الإمطار واما سنة (الريح) فإن الريح لطيفة المداخل تسرح في جميع المنافذ حتى لا تفوتها مكان كذلك الملك ينبغي ان تولج في قلوب الناس بجواسيسه وعيونه لا يخفون عنه شيئا حتى يعرف ما يأمرون به في سرهم واسرارهم

وَكالقمرِ) إذا استهلّ تمامهُ فأضاء واعتدل نورهُ على الخلقِ وسرّ الناسُ ضوءهِ ينبغي أن تكون سمحهِ ودينهِ وإشراقهِ في محاسنهِ وإيناسهِ رعيتهُ ببشرهِ فلا يخص شرها دون وضع عدلهِ (وكالنارِ) على أهلِ الدعارة والفسادِ (وكالارض) على كتمانِ السرِ والاحتمالِ والصبرِ والامانه (وكفاقهِ الموتِ) في الثوابِ والعقابِ يكون ثوابهُ لا يقصرُ عن اقامه حدٍ ولا يتجاوزهُ (وكالماء) في لينهِ لمن لاينهُ وهدمهِ وابتلاعهِ عظيمَ الشجرِ لمن حادَّهُ (للطرطوشي)

اشعار حكميه

٦٤ قال ابنُ عربشاه

السيلُ يقلعُ ما يلقاهُ من شجرٍ بين الجبالِ ومنهُ الصخرُ ينفطرُ
حتّى يوافي عبابَ البحرِ تبصرهُ قد اضمحل فلا عينٌ لهُ أثرُ

وقال أيضًا

والشرُّ كالنارِ يبدو حين تقدحهُ شرارهُ فإذا بادرتهُ خمدا
وإن توانيتَ عن إطفائهِ كسلًا أرى قبائلَ تسوي الهلكَ والكمدا
فلو تجمعَ اهلُ الارض كلهمُ لما افادوك في اخمادها أبدا

وقال ايضا

ارى الناسَ يولون الغنيَّ كرامةً وإن لم يكن اهلا لرفعهِ مقدارِ
ويلوون عن وجهِ الفقيرِ وجوههم وإن كان أهلًا ان يلاقى بإكبارِ
بنو الدهرِ جاءتهم احاديثُ جمهُ فما صححوا الا حديثَ ابن دينار

٦٥ قال عنترة

لا تسألي ما عشت عمرك إلا · بالذي أنت ترتضيه لنفسك
ذاك عن الصواب فالزمه فيما · تبتغيه في كل أنساء حبسك

قال آخر

لا يخدعنك حسن القصر تنزله · فضيلة الشمس ليست في منازلها
لو زيدت الشمس في أبراجها مئة · ما زاد ذلك شيئا في فضائلها

قال عنترة

إن الكثير إذا هوى وأطاعه · قوم هووا معه فضاع وضيعا
مثل السفينة إن هوت في لجة · غرقت وتغرق كل من فيها معا

قال آخر

ازرع جميلا ولو في غير موضعه · فلا يضيع جميل أينما زرعا
إن الجميل وإن طال الزمان به · فليس يحصده إلا الذي زرعا

قال أبو أحمد بن ماهان الخزاعي

اقض الحوائج ما استطعـ · ـت وكن لهم أخيك فارج
فلخير أيام الفتى · يوم قضى فيه الحوائج

٦٦ قال القطامي الشاعر النصراني

قد يدرك المتأني بعض حاجته · وقد يكون مع المستعجل الزلل
وقد تفوت على قوم حوائجهم · مع التراخي وكان الرأي لو عجلوا

وقال آخر

وَإيَّاكَ والأمرَ الذي إن توسّعت مواردُهُ ضاقت عليك المصادرُ
فما حسنٌ أن يعذرَ المرءُ نفسَهُ وليس له من سائرِ الناسِ عاذرُ

وقال محمدُ بن بشير

لأن أزجي عند العُرى بالخلق وأجتزي من كثير الزاد بالعلق
خيرٌ وأكرمُ لي من أن أرى مننًا معقودةً للئام الناس في عنقي
إني وإن قصرت عن همتي جدتي وكان ما لي لا يقوى على خُلُقي
لتاركٌ كل أمرٍ كان يلزمني عارًا وتشرعني في المنهل الرنق

٦٧ وقال أيضاً

ماذا يكلفك الروحات والدلجا البرّ طورًا وطورًا تركب اللججا
كم من فتى قصرت في الرزق خطوته ألفيته بسهام الرزق قد فلجا
إن الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر يفتق منها كل ما ارتتجا
لا تيأسن وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا
فقدر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقًا عن غرة زلجا
ولا يغرنك صفو أنت شاربه فربما كان بالتكدير ممتزجا

٦٨ قال المتنبي

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدرِ الكرام المكارمُ
وتعظمُ في عينِ الصغيرِ صغارُها وتصغرُ في عين العظيمِ العظائمُ

قال آخر

فقر الفتى تذهب أنواره كما اصفرار الشمس عند المغيب

إن غاب لا يذكر بين الورى وما له في قومه من نصيب

يجول في الأسواق مستخفيا وفي الفلا يبكي بدمع صبيب

والله ما الإنسان في أهله إذا ابتلي بالفقر إلا غريب

قال ناهض الكلابي

ألم تر أن جمع القوم يخشى وأن حريم واحدهم مباح

وأن القدح حين يكون فردا فيهصر لا يكون له اقتداح

قال آخر

ما من الحزم أن تقارب أمرا تطلب العذر منه بعد قليل

فإذا ما هممت بالشيء فانظر كيف منه الخروج بعد الدخول

٦٩ كتب علي إلى ابنه حسن

أحسن بني واعلم ومؤدب فافهم فإن العاقل المتأدب

واحفظ وصية والد متحنن يغذوك بالآداب كيلا تعطب

أبني إن الرزق مكفول به فعليك بالإجمال فيما تطلب

لا تجعلن المال كسبك مفردا وتقى إلهك فاجعلن ما تكسب

كفل الإله برزق كل بريّة والمال عارية تجيء وتذهب

والرزق أسرع من تلفت ناظر سببا إلى الإنسان حين تسبب

ومن السيول إلى مقر قرارها والطير للأوكار حين تصوب

أبني إن الذكر فيه مواعظ فمن الذي بعظاته يتأدب

وَاعبُد إلهك ذا المعارج مُخلصاً وانصب إلى الأمثال فيما تضرب
وإذا مررت بآية مخشية تصف العذاب ودمع عينيك يسكب
يا من يعذب من تشاء بعدله لا تجعلني في الذين تعذب
إني أبوء بذنبي وخطيئتي هذا وهل إلا إليك المهرب
وإذا مررت بآية في ذكرها وصف الوسيلة والنعيم المعجب
فاسأل إلهك بالإنابة مخلصاً دار الخلود سؤال من يتقرب
واجهد لعلك أن تحل بأرضها وتنال ملك كرامة لا تسلب
بادر هواك إذا هممت بصالح خوف الغوالب إذ تجيء وتغلب
وإذا هممت بسيء فاغمض له كأنك على أولاده تتحدب
والضيف أكرم ما استطعت جواره حتى يعدك وارثاً يتنسب
واجعل صديقك من إذا آخيته حفظ الإخا وكان دونك يضرب
واطلبهم طلب المريض شفاءه ودع الكذوب فليس ممن يصحب
يعطيك ما فوق المنى بلسانه ويروغ عنك كما يروغ الثعلب
واحذر ذوي الملق اللئام فإنهم في النائبات عليك ممن يحطب
يسعون حول المرء ما طمعوا به وإذا نبا دهر جفوا وتغيبوا
ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي والنصح أرخص ما يباع ويوهب

٧ وكتب له أيضاً

عليك ببر الوالدين كليهما وبر ذوي القربى وبر الأباعد
ولا تصحبن إلا تقياً مهذباً عفيفاً زكياً منجزاً للمواعد

وَكُفَّ الأذى وَاحفظ لسانك واتّقي | فديتكَ في ودِّ الخليلِ المُساعدِ
وَنافس ببذلِ المالِ في طلبِ العُلى | بهمّةِ محمودِ الخلائقِ ماجدِ
وَكُن وَاثقاً بالله في كلِ حادثٍ | يَصُنكَ مدى الأيّام من عينِ حاسِدِ
وَبالله فاستعصم وَلا ترجُ غيرَهُ | وَلا تكُ في النعماءِ عنهُ بجاحِدِ
وَغُضَّ عن المكروهِ طرفَكَ واجتنب | أذى الجارِ وَاستمسك بحبلِ المحامِدِ
وَلا تبنِ في الدنيا بناءَ مؤمّلٍ | خُلودا فما حيٌّ عليها بخالِدِ
وَكُلُّ صديقٍ ليس في الله ودّهُ | فنادِ عليهِ هل به من مُزايدِ

٧١ وقال أيضاً

قدِّم لنفسكَ في الحياة تزوُّدا | فلقد تفارقُها وأنتَ مُودّعُ
وَاهتمَّ للسفرِ القريبِ فإنّهُ | أنأى من السفرِ البعيدِ وَأشنعُ
واجعل تزوُّدكَ المخافةَ وَالتُّقى | فلعلَّ حتفكَ في مسائكَ أسرعُ
وَاقنع بقوتكَ فالقناعةُ هو الغنى | وَالفقرُ مقرونٌ بمن لا يقنعُ
وَاحذر مُصاحبةَ اللئامِ فإنّهم | منعوكَ صفوَ ودادهم وَتصنّعوا
أهلُ المودةِ ما أنلتَهُمُ الرضا | وَإذا منعتَ فسمُّهم لكَ مُنقعُ
لا تُفشِ سرّاً ما استطعتَ إلى امرئٍ | يُفشي إليكَ سرائراً يستودعُ
فكما تراهُ بسرِّ غيركَ صانعاً | فكذا بسرّكَ لا محالةَ يصنعُ
لا تبدأنّ بمنطقٍ في مجلسٍ | قبلَ السؤالِ فإنّ ذلكَ يشنعُ
فالصمتُ يُحسنُ كلَّ ظنٍّ بالفتى | ولعلّهُ خرقٌ سفيهٌ أرقعُ
ودعِ المزاحَ فربَّ لفظةِ مازحٍ | جلبت إليكَ بلابلاً لا تُدفعُ

وَحِفاظَ جارٍ لا تُضيِّعهُ فإنَّهُ ... لا يَبلُغُ الشرفَ الجسيمَ مُضيِّعُ
وَإذا أساءَ إليكَ ذو الإساءةِ عثرةً ... فأقِلْهُ إنَّ ثوابَ ذلكَ أوسعُ
وَإذا ائتُمِنتَ على السرائرِ فاخفِها ... واستُرْ عُيوبَ أخيكَ حينَ تطَّلعُ
لا تجزعَنَّ مِنَ الحوادثِ إنَّما ... خَرْقُ الرجالِ على الحوادثِ يجزعُ
وَأَطِعْ أباكَ بكلِّ ما أوصَى بهِ ... إنَّ المطيعَ أباهُ لا يتضعضعُ

٧٢ وقالَ أيضاً

صُنِ النفسَ واحملها على ما يَزينُها ... تعِشْ سالماً والقولُ فيكَ جميلُ
ولا تُرِيَنَّ الناسَ إلّا تجمُّلا ... نَبا بكَ دهرٌ أو جفاكَ خليلُ
وَإن ضاقَ رِزقُ اليومِ فاصبرْ إلى غدٍ ... عسَى نكباتُ الدهرِ عنكَ تزولُ
يَعِزُّ غنيُّ النفسِ إن قلَّ مالُهُ ... ويغنَى غنيُّ المالِ وهوَ ذليلُ
ولا خيرَ في ودِّ امرئٍ متلوِّنٍ ... إذا الريحُ مالَتْ مالَ حيثُ تميلُ
جَوادٌ إذا استغنيتَ عن أخذِ مالِهِ ... وعندَ احتمالِ الفقرِ عنكَ بخيلُ
فما أكثرَ الإخوانَ حينَ تعدُّهم ... ولكنَّهم في النائباتِ قليلُ

٧٣ وما أحسنَ ما أنشدهُ صالحُ بنُ عبدِ القدّوسِ قالَ

ألمرءُ يجمعُ والزمانُ يُفرِّقُ ... ويظلُّ يرقَعُ والخطوبُ تُمزِّقُ
ولأَن يُعادي عاقلًا خيرٌ لهُ ... مِن أن يكونَ لهُ صديقٌ أحمقُ
فارغبْ بنفسكَ أن تُصادِقَ أحمقًا ... إنَّ الصديقَ على الصديقِ مُصدَّقُ
وزِنِ الكلامَ إذا نطقتَ فإنَّما ... يُبدي عقولَ ذوي العقولِ المنطِقُ
وَمِنَ الرجالِ إذا استوتْ أحلامُهُم ... مَن يُستشارُ إذا استُشيرَ فيُطرِقُ

حَتّى تحلَّ بكلِ وَادٍ قلبُهُ فترى ويعرفُ مَا تقولُ فتنطقُ
لا ألفينّكَ ثاوِيًا فِي غربةٍ إنَّ الغريبَ بكلِ سهمٍ يُرشقُ
مَا النَّاسُ إلا عَامِلانِ فعاملٌ قد ماتَ مِن عطشٍ وآخر يغرقُ
وَالنَّاسُ فِي طلبِ المَعَاشِ وَإنَّمَا بالجدِ يُرزقُ مِنهم مَن يُرزقُ
لَو يُرزقونَ النَّاسُ حسبَ عقولِهِم ألفيتَ أكثرَ من ترى يتصدقُ
لكنَّهُ فضلُ المليكِ عليهِم هذا عليهِ مُوسعٌ ومُضيقُ
وَإذَا الجنازةُ والعروسُ تلاقيَا ورأيتَ دمعَ نوائحٍ يترقرقُ
سكتَ الذي تبعَ العروسَ مُبهتًا ورأيتَ من تبعَ الجنازةَ ينطقُ
وَإذا امرؤٌ لسعتهُ أفعى مرةً تركتهُ حينَ يجرُّ حبلٌ يفرقُ
بقيَ الذِينَ إذا يقولُوا يكذبُوا وَمضى الذينَ إذَا يقولُوا يصدقُوا

٧٤ قَالَ دينُ بنُ عبدِ اللهِ

لِكُلِ ضيقٍ مِنَ الأمورِ سَعَه وَالصُّبحُ واللّيلُ لَا فَلاحَ مَعَه
مَا بَالُ مَن سرّهُ مُصَابُكَ لَا يملكُ شيئًا لِامرِهِ وزعه
أذُدْ عنْ حوضهِ ويدفعُني يا قومُ من عاذري مِنَ الخُدعَه
قد يجمعُ المَالَ غيرُ آكلِهِ ويأكلُ المالَ غيرُ مَن جمَعَه
ويقطعُ الثوبَ غيرُ لابسِهِ ويلبسُ الثوبَ غيرُ مَن قطَعَه
فاقبلْ مِنَ الدهرِ ما أتاكَ بهِ مَن قرّ عينًا بعيشهِ نفعَه
وَصِلْ حِبَالَ البعيدِ إن وَصلَ الحبلَ وأقصِ القريبَ ان قطعَه
ولا تُعادِ الفقيرَ علّكَ ان تركعَ يومًا والدهرُ قد رفعَه

ألبابُ الخامِسُ

فِي الامثالِ

فصل من نوادر كلام العرب

٧٥ (من حِكَم أكثم بن صيفي) وهٰذا رجلٌ كان لهُ عقلٌ وحِلمٌ ومعرفةٌ وتجربةٌ وقد تلقَّوا عنهُ حكماً لطيفةً وألفوا فيها تصانيف فمن حِكَمهِ قالَ مَن فسدت بطانتهُ كان كمن غصَّ بالماء أفضلُ من السؤّالِ ركوبُ الاهوالِ مَن حسدَ الناسَ بدأ بمضرةِ نفسه ألعديمُ مَن احتاجَ إلى لئيمٍ . مَن لم يعتبر فقد خسرَ ما كلُّ عثرةٍ تُقالُ ولا كلُّ فرصةٍ تُنالُ قد يُشهرُ السلاحُ في بعض المزاحِ رُبَّ عتقٍ شرٌّ من رِقٍّ اتبْ مُزرٍ بنفسكَ إن صَحِبتَ مَن هو دونكَ ليس مَن جادَ الجهولُ بذي معقولٍ . مَن جالسَ الجهالَ فليستعِدَّ لقيلٍ وقالٍ المزاحُ يُورِثُ الضغائنَ عيشكَ خيرٌ من ثمنِ عمرِكَ مَن جدَّ المسيرَ ادركَ المنزلَ جارُ الرجلِ الجوادِ كمُجاوِرِ البحرِ لا يخافُ العطشَ . مَن طلبَ منَ اللئيمِ حاجةً كانَ كمن طلبَ السمكَ في المفازة عِدَةُ الكريمِ نقدٌ وعِدَةُ اللئيمِ تسويفٌ الأيّامُ فرائِسُ الانامِ قد يكسرُ النوافِسُ في بعضِ النوافِسِ مَن اعزَّ نفسهُ اذلَّ فلسهُ من سلكَ الجددَ امِنَ العِثارَ (للطرطوشي)

نبذ من كلام الزمخشري والبستي

٧٦ من تلم عادته ما يحب فليتوقع عادة ما يكره لا تشرب السم
اتكالا على ما عندك من الترياق لا تكن ممن تلعن إبليس في
العلانية وتواليه في السر عادات السادات سادات العادات
اللطف رشوة من لا رشوة له من تاجر الله لم توكس بيعته ولم
تبخس ربحه أدوية الدنيا تقصر عن سمومها ونسيمها لا يفي بسمومها
من زرع الإحن حصد المحن لا بد للفرس من سوط وإن كان
بعيد الشوط شعاع الشمس لا يخفى ونور الحق لا يطفى أعمالك
ميتة إن لم تصحبها بنية لا يجد الأحمق لذة الحكمة كما لا يلتذ
بالورد صاحب الزكام طوبى لمن كانت حاجة عمره كفايته
ولبست أعماله بصاحبته أفضل ما ادخرت التقوى وأجمل ما لبست
الورع وأحسن ما اكتسبت الحسنات كفى بالظفر شفيعا للمذنب
أحق الناس بالزيادة في النعم أشكرهم لما أوتي منها ظهر العتاب
خير من مكنون الحقد قال الجدار للوتد لم تشقني فقال سل
من يدقني من نصر الحق قهر الخلق ربما كان حتف امرئ في ما تمنى

ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره

١٧ إنما كانت العرب أكثر أمثالها مضروبة بالبهائم فلا يكادون
يذمون ولا يمدحون إلا بذلك لأنهم جعلوا مساكنهم بين السباع
والأحناش والحشرات فاستعملوا التمثيل بها فقالوا أشجع من أسد

وَأَخَنُ مِنَ الصَافِرِ . وَأَمضى من ليثِ عِفرينَ وَأَحذرُ مِن غُرابٍ .
وأَبصرُ من عُقابٍ . وَأَزهى مِن ذُبابٍ وَأدلُّ مِن فَرَاشٍ وَأَسمَعُ مِن
فَرَسٍ وأَنوَمُ من فَهدٍ وأعَقُّ مِن ضَبٍّ . وَأَخنُ مِن صِفرِدٍ وَأَضرع
مِن سِنَّورٍ وَأَسرَقُ مِن زَبابةٍ وَأَصبَرُ من عَوْدٍ وَأَظلَمُ مِن حَيَّةٍ .
وَأَخَسُّ من نَابٍ وَأَكذَبُ من فَاختَـةٍ . وأغرُ من بيضِ الأَنوقِ
وأَجوَعُ مِن كَلبةِ حَوملٍ وَأَعزُّ مِنَ الأَبلَقِ العَقوقِ (الصَّافرُ
الصغيرُ مِنَ الطَّيرِ وَالعَودُ المُسِنُّ من الجمَالِ والأَنوقُ طائرٌ يُقالُ
إِنهُ يَبيضُ فى الهَواءِ وَالزَبابةُ الفأرةُ يسرِقُ دُودَ الحَريرِ وَفاختــةُ
طَيرٌ يطيرُ بالرُّطبِ فى غيرِ أَيامِهِ)
(مَا ضُرِبَ به المثلُ مِن غيرِ الحيوانِ) قَالُوا اهدَى مِن النجمِ
وَأَجوَدُ مِنَ الديمِ وَأَصبَحُ مِنَ الصُّبحِ وَأَسمَحُ مِن البَحرِ . وأَنورُ من
النَّهارِ وامضى مِن السَّيلِ وَأَحمُى من دجلة وأحسن مِن دُميــةٍ
وَأَنزَهُ مِن رَوضةٍ وَأَوسَعُ مِنَ الدَهناء وَآنَسُ من جدولٍ وَأَصفى
مِن قرار حَاجرٍ وَأَوحَشُ مِن مفازةٍ . وَأَثقــلُ مِن جَبلٍ وأَبقَى مِنَ
الوحى فى صُمِ الصلابِ وَأَخفُّ من رِيشِ الحَوَاصِلِ (لابن عبد ربهِ)
٧٨ أَشعارٌ جارِيَةٌ مجرى المَثلِ وَهىِ لِشُعَرا مُختلفين
أَخاكَ اخاكَ إن مَن لا أَخَالهُ كساعٍ الى الهيجا بغير سلاحِ
إِذا كانَ غيرُ اللهِ للمرءِ عُدةً أَتتهُ الرزايا مِن وُجوهِ المكاسِبِ
إِذا ما أتيتَ الأَمرَ من غيرِ بابهِ ضَلَلتَ وإن تقصد الى البابِ تهتدى

إذا لم تكن عندي نوالٌ لطالبٍ وإن كان لي مالٌ فأنت صديقي
إذا أنت لم تعلم طبيبك كل ما تسوؤك أبعدتُ الدواء عن السقم
ان احتقت ما في الزمان الآتي فقس على الماضي من الأوقات
إذا لم يفن قول النصيح قبول فإن معاريض الكلام فضول
أرى ماءً وبي عطشٌ شديدٌ ولكن لا سبيل إلى الورود
اذا رمت أن تصفي لنفسك صاحباً فمن قبل أن تصفي له الود ابصيه
ألم تر أن السيف يزري بقدره إذا قيل هذا السيف أمضى من العصا
إن الأمور إذا تدنت لزوالها فعلامة الإدبار فيها تظهرُ
اذا ساء فعلُ المرء ساءت ظنونُه وصدق ما يعتادُه من توهم
ان تجد عيباً فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا
تفرقت غنمي يوماً فقلتُ لها يا ربِّ سلط عليها الذيب والضبعا
ترقب جزا الحسنى إذا كنت محسناً ولا تخش من سو إذا انت لا تسي
الخيرُ لا يأتيك متصلاً والشرُّ تسبقُ سيله المطرُ
ذِكرُ الفتى عمرُهُ الثاني وحاجتُهُ ما فاته وفضولُ العيش أشغالُ
ذو الفضل لا يسلمُ من قدح وان غدا أقومَ من قدح
الرأيُ تصدأ كالحسام لعارض يطرا عليه وصقلُهُ التذكيرُ
سكناهُ وحسهُ لحياً فأبدى الكير عن خبث الحديد
عفافُكَ غيٌّ إنما عفةُ الفتى إذا عف عن لذاته وهو قادرُ
غلامٌ أتاهُ اللؤمُ من شطر نفسه ولم يأته من شطرِ أمٍ ولا أبِ

فَقَال قُم قلتُ رِجلي لا تُطاوعني … فقال خُذ فلسُ كيمي لا تؤاتيني

ولا تحمل الحسنَ الدليلَ على الفتى … فما كلُّ مصقولِ الحديدِ يمانِ

فالدرُّ وهو أجلُّ شيءٍ يقتنى … ما حطَّ قيمتهُ هوانُ الغائصِ

فدع ذلك إن صدقا وإن كذبا … فما احتيالك في شيءٍ وقد فلا

لا تحقرنَّ مضيما خسن بزته … وهل يروق دفينا جودةُ الكفنِ

لا ترجُ شيئا خالصا نفعهُ … فالغيثُ لا يخلو من العيثِ

لا تغرَّنكَ هذه الأوجهُ الغرُّ … فيارُبَّ حيَّةٍ في رياضِ

لا تحسب المجدَ تمرا أنت آكلُهُ … لن تبلغ المجدَ حتى تلعق الصَّبِرا

لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى … حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ

لا تحقرن شأنَ العدو وكيدهُ … ولربَّما صرعَ الأسودَ الثعلبُ

لعلَّ عتبكَ محمودٌ عواقبهُ … وربَّما صحَّت الأجسادُ بالعِللِ

ماذا لقيتُ من الدنيا وأعجبُها … أني بما أنا باكٍ منهُ محسودُ

ما لقويٍّ عن ضعيفٍ غنى … لا بدَّ للسهمِ من الريشِ

من ليس يخشى أسود الغاب إن زأرت … فكيف يخشى كلاب الحي إن نبحت

لا يحملُ الحقدَ من تعلو به الرتبُ … ولا ينالُ العلى من طبعهُ الغضبُ

المرءُ يحيا بلا ساقٍ ولا عضدٍ … ولا يعيشُ بلا قلبٍ ولا أدبِ

نبني كما كانت أوائلنا … تبني ونفعلُ مثلما فعلوا

وقد يكسفُ المرءَ من دونهُ … كما يكسفُ الشمسَ جرمُ القمر

ولا تقربِ الأمرَ الحرامَ فإنهُ … حلاوتهُ تفنى ويبقى مريرُها

وَلَو لَبِسَ الحِمارُ ثِيابَ خَزٍّ — لَقالَ النّاسُ يا لَكَ مِن حِمارِ
وَإِذا افتَقَرتَ إِلى الذَّخائِرِ لَم تَجِد — ذُخراً يَكونُ كَصالِحِ الأَعمالِ
وَإِنّي أَرى في عَينِكَ الجِذعَ مُعرِضاً — وَتَعجَبُ إِن أَبصَرتَ في عَيني القَذى
وَما أَقبَحَ التَّفريطَ في زَمَنِ الصِّبا — فَكَيفَ بِهِ وَالشَّيبُ لِلرَّأسِ شامِلُ
وَتَشَتُّتُ الأَعداءِ في آرائِهِم — سَبَبٌ لِجَمعِ خَواطِرِ الأَحبابِ
وَكُلُّ جَديدٍ قَد يَؤُولُ إِلى بِلىً — وَكُلُّ امرِئٍ يَوماً يَصيرُ إِلى كانا
وَإِذا كانَتِ النُّفوسُ كِباراً — تَعِبَت في مُرادِها الأَجسامُ
وَماذا أُرَجّي مِن حَياةٍ تَكَدَّرَت — وَلَو قَد صَفَت كانَت كَأَحلامِ نائِمِ
وَلَم أَرَ مِثلَ الشُّكرِ جُنَّةَ فارِسٍ — وَلا مِثلَ حُسنِ الصَّبرِ جُنَّةَ لابِسِ
وَفي السَّما نُجومٌ ما لَها عَدَدٌ — وَلَيسَ يُكسَفُ إِلّا الشَّمسُ وَالقَمَرُ
وَنارٌ إِن نَفَختَ بِها أَضاءَت — وَلَكِن أَنتَ تَنفُخُ في رَمادِ
وَإِنّي رَأَيتُ الحُزنَ لِلحُزنِ ماحِياً — كَما خُطَّ في القِرطاسِ سَطرٌ عَلى سَطرِ
وَيُمكِنُ وَصلُ الحَبلِ بَعدَ انقِطاعِهِ — وَلَكِنَّهُ يَبقى بِهِ عُقدَةُ الرَّبطِ
وَعَينُ الرِّضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ — كَما أَنَّ عَينَ السُّخطِ تُبدي المَساوِيا
وَإِذا كانَ مُنتَهى العُمرِ مَوتاً — فَسَواءٌ طَويلُهُ وَالقَصيرُ
وَإِذا أَرادَ اللهُ نُصرَةَ عَبدِهِ — كانَت لَهُ أَعداؤُهُ أَنصارا
وَمَن يَنشَب في العَداوَةِ كَفَّهُ — بِأَكرَمِهِ فَهوَ لا شَكَّ هالِكُ
يَهوى الثَّناءَ مُبَرِّزٌ وَمُقَصِّرٌ — حُبُّ الثَّناءِ طَبيعَةُ الإِنسانِ
يَقولونَ لي أَهلاً وَسَهلاً وَمَرحَباً — وَلَو ظَفِروا بي ساعَةً قَتَلوني

الباب السادس
في أمثال عن ألسنة الحيوانات

البازي والديك

٧٩ باز وديك تساطرا فقال البازي للديك ما أعرف أقل وفاء منك لأصحابك قال وكيف قال تؤخذ بيضة وتحضنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأيديهم حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا طرت من هنا إلى هنا وصحت وعلوت على حائط دار كنت فيها سنين طرت منها إلى غيرها وأما أنا فأوخذ من الجبال وقد كبر سني فتخاط عيني وأطعم الشيء اليسير وأساهر فأمنع من النوم وأنسى النوم والنومين ثم أطلق على الصيد وحدي فأطير إليه وآخذه وأجيء به إلى صاحبي فقال له الديك ذهبت عنك الحجة أما لو رأيت بازين في سفود النار ما عدت لهم وأنا في كل وقت أرى السفافيد مملوءة ديوكا فلا تكن حليما عند غضب غيرك (ابن الدين)

برغوث وبعوضة

٨ حكي أنه اجتمع برغوث وبعوضة فقالت البعوضة للبرغوث إني لأعجب من حالي وحالك أنا أفصح منك لسانا وأوضح بيانا وأرجح ميزانا وأكثر طيرانا ومع هذا فقد أصير في

الجوع، وحرمني الهجوع. ولا ازال عليله مجهودة، ممتدة عن الطريق مطرودة وأنت تأكل وتشبع وفي نواعم الأبدان ترتع فقال لها البرغوث انت بين العالم مطلقة وعلى رؤسهم ممتدة وأنا قد توصلت الى قوتي بسبب سكوني

اللبوة والغزال والقرد

٨١ حكي ان لبوة كانت ساكنة بغابة وبجوارها غزال وقرد قد ألف جوارها واستحسنت عشرتهما وكان لتلك اللبوة شبل صغير قد شغفت به حبا وقرت به عينا وطابت به قلبا وكان لجارها الغزال اولاد صغار وكانت اللبوة تذهب كل يوم تبتغي قوتا لشبلها من الدواب وصغار الحيوان وكانت تمر في طريقها على اولاد الغزال وهن يلعبن بباب جحرهن فحدثت نفسها يوما باقتناص واحد فيحصل له قوت ذلك اليوم وتستريح فيه من الذهاب ثم اقلعت عن هذا العزم لحرمة الجوار ثم عاودتها الشرة ثانيا مع ما تجده من القوة والعظم واكد ذلك ضعف الغزال واستلامه لامر اللبوة فأخذت طلاميهم ومضت فلما علم الغزال داخله الحزن والقلق ولم يقدر على إظهار ذلك وشكا لجاره القرد فقال له هون عليك فلعلها تقلع عن هذا ونحن لا نستطيع مكاشفتها ولعلي ان أذكرها عاقبة العدوان وحرمة الجيران فلما كان الغد احدت طلاميا ثانيا فلقيها القرد في طريقها فسلم عليها وحياها وقال لها إني لا آمن

عَلَيكَ عَاقِبَةَ البغي وإساءة الجوارِ. فقال له وهل افتناصي لِاولادِ الغزالِ. إلّا كافتناصي من أطرافِ الجبالِ وما أنا تاركه فوقي وقد ساقه القدرُ الى بابِ بيتي. فقال لها الفردُ هكذا اغترَّ الفيلُ بعظيم جثته ووفورِ قوتِهِ فبحثَ عن حتفِهِ بظلفِهِ. وأوبقهُ البغي رغمَ أنفِهِ فقالتِ القنبرةُ كيفَ كانَ ذلكَ. قال الفردُ ذكروا أن قنبرةً كانَ لها عشٌ فباضت وفرخت فيهِ وكانَ في نواحي تلكَ الارضِ فيلٌ وكانَ له مشربٌ يترددُ إليه وكان يمرُّ في بعضِ الأيامِ على عشِ القنبرةِ ففي ذاتَ يومٍ أرادَ مشربهُ فعمدَ إلى ذلِكَ العُشِ ووطئهُ وهشم أركانهُ وأتلفَ بيضها واهلكَ فراخها فلما نظرتِ القنبرةُ إلى ما حل بعشها ساءها ذلكَ وعلمت انهُ مِنَ الفيلِ فطارت حتى وقعت على راسهِ باكيةً وقالت له أيها الملكُ ما الذي حملكَ على أن وطئتَ عشي وهشمتَ بيضي وقتلتَ افراخي وأنا في جواركَ افعلتَ ذلكَ استصغاراً لحالي وقلة مبالاةٍ بأمري. قال الفيلُ هو كذلكَ فانصرفتِ القنبرةُ إلى جماعةِ الطيورِ فشكت إليهم ما نالها من الفيلِ فقالت لها الطيورُ وما عسانا أن نبلغَ مِنَ الفيلِ ونحن طيورٌ فقالت للعقاعقِ والغربانِ إني أريدُ منكم ان تسيروا معي إليه فتفقؤوا عينيه فأنا بعد ذلِكَ احتالُ عليهِ بحيلةٍ أخرى فأجابوها إلى ذلِكَ ومضوا إلى الفيلِ ولم يزالوا بهِ يتجاذبونه بينهم وينقرون عينيه الى أن فقؤوهما وبقي لا يهتدي إلَى طريقِ مطعمه ولا مشربهِ فلمّا علمت

ذلك جاءت إلى نهر فيه ضفادع فشكت ما نالها من الفيل فقالت
الضفادع ما حيلتنا مع الفيل ولسنا كفوءه وأين نبلغ منه قالت
القبرة أحب منكن أن تذهبن معي إلى وهدة بالقرب منه فتنققن
وتضججن بها فإذا سمع أصواتكن لم يشك أن بها ماء فيكب نفسه فيها.
فأجابتها الضفادع إلى ذلك فلما سمع الفيل أصواتهن في قعر الحفرة
توهم أن بها ماء وكان على جهد من العطش فجاء مكبا على طلب الماء
فسقط في الوهدة ولم يجد مخرجا منها فجاءت القبرة ترفرف على
رأسه وقالت له أيها المغتر بقوته الصائل على ضعفي كيف رأيت عظم
حيلتي مع صغر جثتي، وبلادة فهمك مع كبر جسمك وكيف رأيت
عاقبة البغي والعدوان، ومسالمة الزمان فلم يجد الفيل مسلكا لجوابها
ولا طريقا لخطابها فلما انتهى القرد في غاية ما صار به لأسوة من
الملل أوسعه انتهارا واعرض عنه استكبارا ثم إن الغزال اتكلت
عما بقي من أولادها تبغي لها حجرا آخر وإن اللبوة خرجت ذات
يوم تطلب صيدا وتركت شبلها. فمر به فارس فلما رآه حمل عليه فقتله
وسلخ جلده وأخذه وترك لحمه وذهب فلما رجعت اللبوة ورأت شبلها
مقتولا مسلوخا رأت أمرا فظيعا فامتلأت غيظا وناحت نوحا عاليا
وداخلها هم شديد فلما سمع القرد صوتها أقبل عليها مسرعا فقال لها
وما دهاك قالت اللبوة مر صياد بشبلي ففعل به ما ترى قال
لها لا تجزعي ولا تضجري وانصفي من نفسك واصبري عن غيرك

كما صبر عبرك عليك . فكما يدين الفتى يدان وجزاء الدهر عبرات ومن يدر حبًا في أرض فبقدر بدره يكون الثمر . والجاهل لا يبصر من أين تأتيه سهام الدهر وإن حقًا عليك أن لا تجزعي من هذا الأمر وأن تدرعي له بالرضا والصبر فقالت اللبوة كيف لا أجزع وهو قرة العين وواحد القلب وزهرة الفكر وأي حياة تطيب لي بعده . فقال لها القرد أيتها اللبوة ما الذي كان يغذيك ويعشيك قالت لحوم الوحوش قال القرد أما كان لتلك الوحوش التي كنت تأكليها آباء وأمهات قالت بلى قال القرد فما بالنا لا نسمع لتلك الآباء ولا الأمهات صياحًا وصراخًا كما سمع منك ولقد انزل بك هذا الأمر جهلك بالعواقب وعدم تفكرك فيها وقد نصحتك حين جرت على الجوار . وأخجب نفسك العار . وجاوزت بقوتك حد الإنصاف . وسطوت على الظباء الضعاف فكيف وجدت طعم مخالفة الصديق الناصح . قالت اللبوة وجدته مر المذاق ولما علمت اللبوة أن ذلك بما كسبت يداها من ظلم الوحوش رجعت عن صيدها ورمت نفسها باللوم وصارت تقنع بأكل النبات وحشيش الفلوات (بستان الاذهان للسراوي)

ساعه

وهو مثل من تمنعه الفكر في مستقبل الأمر عن الانتفاع بالحاضر

٨٢ حكي أن ساعة قديمة كانت ركوزه في مطبخ احد الدهاقين

مُدَّةَ خمسين سنةً مِن دُونِ أن يبدُوَ منها أدنى سَببٍ يُكدِّرهُ غيرَ أنها في صَبيحةِ ذاتِ يومٍ مِن أيامِ الصيفِ وقفت عن الحركةِ قبل أن يستيقظَ أصحابُ المحلِ فتغيّر منظرُ وجهها بسببِ ذلكَ ودُهشَ وتبلّبَ العقاربُ جمودها وودّت لو تبقى على حالهِ سيرها الأولى وتعذّبَ الدوالبُ عديمةَ الحركةِ لِمَا شملها مِنَ التعجبِ وأصبحَ الثقلُ واقفًا لا يُبدي ولا يُعيدُ وَرَامَ كلُّ آلةٍ أن تحمل الذنب على أخيها وطفِق الوجهُ يبحثُ عن هذا الوقوفِ وبينما كانت الدوالبُ والعقاربُ تبرئُ نفسها بالتمسّنِ إذا صوتٍ خفيٍ سُمِعَ من الدقّاقِ بأسفلِ الساعةِ يقولُ هكذا انى أقرّ على نفسي بأنّي أنا كنتُ علةَ هذا الوقوفِ وسأبيّنُ لكُم سببَ ذلكَ لِسكونِكُم وإقناعِكُم أجمعين والحقّ أقولُ انّي مللتُ مِنَ الدقّ فلمّا سمعت الساعةُ مقالتهُ كادت تتميّزُ مِنَ الغيظ وقالَ لهُ الوجهُ وهُوَ رافعٌ يديهِ تبًّا لك مِن سالكٍ ذي كسَلٍ فأجابَهُ الدقاقُ لا بأس بذلكَ يا سيدي الوجهَ لا جرمَ انكَ ترفعتَ هذه الحالُ إذ قد رفعتَ على نفسكَ كما هُوَ معلومٌ لدى الجميعِ وانهُ يسهلُ عليكَ أن تدعُوَ غيركَ كسلًا ونسبتهُ إلى التواني فإنكَ قد قضيتَ عُمرَكَ كُلّهُ بغيرِ شغلٍ ولم يكن لكَ فيهِ مِن عملٍ إلا التحديقُ في وجوهِ الناسِ والانشراحُ برؤيةِ ما يحدثُ في المطبخِ أرأيتَ لو كنتَ مِثلي في موضعٍ ضيّقٍ مظلمٍ كهذا وتعتبرُ حالتكَ كُلّها بين مجيءٍ وذهابٍ يومًا بعدَ يومٍ

وعاما بعد عام فقال له الوجه أو ليس في موضعك طاقة تنظر منها فقال الدقاق بلى ولكنها مظلمة على أنه وإن تكن لى طاقة فلا أتجاسر على التطلع منها حيث لا يمكن لى الوقوف ولو طرفة عين والحاصل أنى مللت هذا الحال وإن استزدتني شرحا فإني أخبرك بما سبب لي الضجر من شغلي. وذلك أني حسبت في صباح هذا اليوم كمية المرار التي أغدو وأروح فيها مدة أربع وعشرين ساعة فعظم ذلك علي. وقد يمكن تحقيق ذلك بمعرفة أحد الجلوس الذين فوق. فبادر عقرب الدقائق إلى العدد وقال بديها إن عدد المرار التي ينبغي لك فيها المجيء والذهاب في هذه المدة الوجيزة إنما تبلغ ستا وثمانين ألفا وأربع مئة مرة. فقال الدقاق هو هكذا قيل (والحالة هذه وقضى قد رفعت لكم) ثم قال إن مجرد التفكر في هذا العمل لا يوجب عناء وتعبا لي ثابته على أني حين شرعت في ضرب دقائق ذلك اليوم في مستقبل الشهور والأعوام زالت مني قوتي ووهن عظمي وعزمي وما ذلك بغريب وبعد تحلاب ستي عمدت إلى الوقوف كما ترون فكاد الوجه في أثناء هذه المكالمة أن لا يتمالك عنه ولكنه كظم غيظه وحافظه بحلم وقال يا سيدي الدقاق العزيز إني لفي عجب عظيم من انقلاب شخص فاضل نظيرك لمثل هذه الوساوس بغتة نعم إنك قلت في عمرك أعمالا حسنة كما علمنا نحن كلنا أيضا وإن

المفكر في هذه الأشغال وحده يوجب الماء عن أن أظل مباشرتها ليست كذلك فألتمس منك أن تسدي إلى معروفك بأن تدق الآن ست دقات ليتضح مصداق ما قلت . فرضي الدقاق بهذا ودق ست دقات جريا على عادته فقال له الوجيه حينئذ ناشدتك الله هل أبدى لك ما باشرته الآن نصبا وتعبا فقال الدقاق كلا فإنني لم أشعر بست دقات . ولا عن بين دقه بل عن ألوف وألوف ألوف فقال له الوجيه صدقت ولكنه ينبغي لك أن تعلم هذا الأمر الضروري وهو أنك حين تفكر في هذه الألوف بلحظة واحدة فإن الذي يجب عليك فيها إنما هو مباشرة دقة واحدة لا غير . ثم مهما لزمك بعده من الدق يفسح الله لك في أجل لإتمامه فقال الدقاق أشهد أن كلامك هذا حاك في وأمالني فقال الوجيه عسى بعد ذلك أن تعود بأجمعنا إلى ما كنا فيه من العمل لأننا إذا بقينا كذلك تظل أهل المنزل مستغرقين في النوم إلى الظهر ثم إن الأثقال التي لم تكن وضعت قط بالجملة ما برحت تغري الدقاق على الشغل حتى أخذ في مباشرة خدمته كما كان وجدد شرعت الدوالب في الدوران وطفقت العقارب تسير حتى إذا ظهر شعاع الشمس في المطبخ المعلق من كوة فيه امتلأ الوجه صفاء والتحلى بسمة كأن لم يكن شيء مما كان فأما صاحب المنزل فلما نزل إلى المطبخ لفطوره نظر إلى الساعة المركوزة فقال إن

السَّاعَةَ الَّتِي تَجِيءُ تَأَخَّرَتْ فِي السَّيْرِ لِئَلَّا تَمْحُوَ الاثْنَيْنِ دَقِيقَةً

قِرْدٌ وَغَيْلَمٌ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا

٨٣ زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا يُقَالُ لَهُ مَاهِرٌ كَانَ مَلِكَ الْقِرَدَةِ وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَهَرِمَ فَوَثَبَ عَلَيْهِ قِرْدٌ شَابٌّ مِنْ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ مَكَانَهُ. فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى السَّاحِلِ فَوَجَدَ شَجَرَةَ تِينٍ فَارْتَقَى إِلَيْهَا وَاتَّخَذَهَا لَهُ مُقَامًا. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا إِذْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ تِينَةٌ فِي الْمَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِيقَاعًا فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَيَرْمِي فِي الْمَاءِ فَأَطْرَبَهُ ذَلِكَ فَأَكْثَرَ مِنْ طَرْحِ التِّينِ فِيهِ وَكَانَ ثَمَّ غَيْلَمٌ كُلَّمَا وَقَعَتْ تِينَةٌ أَكَلَهَا فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ ظَنَّ أَنَّ الْقِرْدَ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَجْلِهِ فَرَغِبَ فِي مُصَادَقَتِهِ وَأَنِسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ وَأَلِفَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ وَطَالَتْ غَيْبَةُ الْغَيْلَمِ عَلَى زَوْجَتِهِ فَجَزِعَتْ عَلَيْهِ وَشَكَتْ ذَلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا وَقَالَتْ قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ عَرَضَ لَهُ عَارِضُ سُوءٍ فَاغْتَالَهُ فَقَالَتْ لَهَا إِنَّ زَوْجَكِ بِالسَّاحِلِ قَدْ أَلِفَ قِرْدًا وَأَلِفَهُ الْقِرْدُ فَهُوَ مُؤَاكِلُهُ وَمُشَارِبُهُ وَمُجَالِسُهُ ثُمَّ إِنَّ الْغَيْلَمَ انْطَلَقَ بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةَ الْحَالِ مَهْمُومَةً فَقَالَ لَهَا مَا لِي أَرَاكِ هَكَذَا فَأَجَابَتْهُ جَارَتُهَا إِنَّ قَرِينَتَكَ مَرِيضَةٌ مِسْكِينَةٌ وَقَدْ وَصَفَ لَهَا الْأَطِبَّاءُ قَلْبَ قِرْدٍ وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ فَقَالَ هَذَا أَمْرٌ عَسِرٌ مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبُ قِرْدٍ وَنَحْنُ فِي الْمَاءِ وَلَكِنْ سَأُشَاوِرُ صَدِيقِي ثُمَّ

انطلق إلى ساحل البحر فقال له القرد يا أخي ما حبسك عني قال له الغيلم ما ثبطني عنك إلا حيائي كيف أجازيك على احسانك إلي وإنما أريد الآن أن تتم هذا الإحسان بزيارتك لي في منزلي. فإني ساكن في جزيرة طيبة الفاكهة كثيرة الأثمار فاركب ظهري لأسبح بك. فرغب القرد في ذلك ونزل فامتطى مطا الغيلم حتى اذا سبح به ما سبح عرض له قبح ما أضمر في نفسه من الغدر فنكس راسه فقال له القرد ما لي أراك مهتماً فقال الغيلم إنما همي لأني ذكرت ان قرينتي شديدة المرض وذلك يمنعني عن كثير مما أريدان أبلغه من الإكرام والإلطاف قال القرد إن الذي أعرفه من حرصك على كرامتي يكفيك مؤنة التكلف قال الغيلم أجل ومضى بالقرد ساعة ثم توقف به ثانية فساء ظن القرد وقال في نفسه ما احتباس الغيلم وبطوءه الا لأمر ولست آمنا ان يكون قلبه قد تغير علي وحال عن مودتي فأراد بي سوءاً فإنه لا شيء أخف واسرع تقلباً من القلب ويقال ينبغي للعاقل أن لا يغفل عن التماس ما في نفس أهله وولده وإخوانه وصديقه عند كل امر وفي كل لحظة وكلمة وعند القيام والقعود وعلى كل حال وإنه إذا دخل قلب الصديق من صديقه ريبة فليأخذ بالحزم في التحفظ منه ويتفقد ذلك في لحظاته وحالاته فإن كان ما ظن حقاً ظفر بالسلامة وإن كان باطلا ظفر بالحزم ولم يضره ثم قال للغيلم ما الذي

نَفْسُكَ . وَمَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى .
قَالَ يُهِمُّنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنْزِلِي فَلَا تَلْقَى أَمْرِي كَمَا أُحِبُّ لِأَنَّ زَوْجَتِي
مَرِيضَةٌ . قَالَ الْقِرْدُ لَا تَهْتَمَّ فَإِنَّ الْهَمَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَلَكِنِ
الْتَمِسْ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ فَإِنَّهُ يُقَالُ
يَبْذُلُ ذُو الْمَالِ مَالَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ فِي الصَّدَقَةِ . وَفِي وَقْتِ الْحَاجَةِ .
وَعَلَى الزَّوْجَةِ . قَالَ الْغَيْلَمُ صَدَقْتَ . وَإِنَّمَا قَالَتِ الْأَطِبَّاءُ إِنَّهُ لَا دَوَاءَ
لَهَا إِلَّا قَلْبُ قِرْدٍ . فَقَالَ الْقِرْدُ فِي نَفْسِهِ وَاسَوْءَتَاهُ لَقَدْ أَدْرَكَنِي الْحِرْصُ
وَالشَّرَهُ عَلَى كِبَرِ سِنِّي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ مُوَرَّطٍ وَلَقَدْ صَدَقَ الَّذِي
قَالَ يَعِيشُ الْقَانِعُ الرَّاضِي مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا . وَذُو الْحِرْصِ وَالشَّرَهِ
يَعِيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ وَإِنِّي قَدِ احْتَجْتُ الْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي
الْتِمَاسِ الْمَخْرَجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْلِمَنِي
حَتَّى كُنْتُ أَحْمِلُ قَلْبِي مَعِي . وَهَذِهِ سُنَّةٌ فِينَا مَعَاشِرَ الْقِرَدَةِ إِذَا خَرَجَ
أَحَدُنَا لِزِيَارَةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلَّفَ قَلْبَهُ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ لِنَنْظُرَ
إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرَمِ الْمَزُورِ وَمَا قُلُوبُنَا مَعَنَا قَالَ الْغَيْلَمُ وَأَيْنَ قَلْبُكَ
الْآنَ قَالَ خَلَّفْتُهُ فِي الشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَارْجِعْ بِي إِلَيْهَا حَتَّى آتِيَكَ
بِهِ فَفَرِحَ الْغَيْلَمُ بِذَلِكَ وَرَجَعَ بِالْقِرْدِ إِلَى مَكَانِهِ فَلَمَّا قَارَبَ
السَّاحِلَ وَثَبَ الْقِرْدُ عَنْ ظَهْرِهِ فَارْتَقَى الشَّجَرَةَ فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى الْغَيْلَمِ
نَادَاهُ يَا خَلِيلِي احْمِلْ قَلْبَكَ وَانْزِلْ فَقَدْ غَضَّبْتَنِي فَقَالَ الْقِرْدُ هَيْهَاتَ
وَلَكِنَّكَ احْتَلْتَ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ وَاسْتَدْرَكْتُ

فارطاً أمري. وقد قيل الذي يفسده الحلم، لا يصلحه إلا العلم. قال العالم صدقت. إلا ان الرجل الصالح يعرف بزلته، وإذا أذنب ذنباً لم يستحي ان يؤدب، وإن وقع في ورطة امكنه التخلص منها كالرجل الذي يعثر على الارض وعلى الأرض ينهض ويعتمد. فهذا مثل الرجل الذي يطلب الحاجة فإذا ظفر بها أضاعها (كليله ودمنه)

الضبعة والرجل

٨٤ قال المدائني خرج فتيان في صيد لهم، فأثاروا ضبعة فمرت وتبعوها فلجأت الى بيت رجل فخرج إليهم بالسيف مسلولا فقالوا له يا عبد الله لم تمنعنا من صيدنا قال إنها استجارت بي فخلوا بينها وبينه فنظر إليها فإذا هي مهزولة مضرورة فجعل يسقيها اللبن صبوحاً وغبوقاً وعقوا حتى سمنت وحسنت حالها فبينما هو ذات يوم راقداً عدت عليه فبقرت بطنه وشربت دمه فقال ابن عم له

ومن يصنع المعروف في غير اهله يلاقي الذي لاقى مجير ام عامر
أعد لها لما استجارت بقربه مع الأمن البان اللقاح الدرائر
فأشبعها حتى إذا ما تمكنت فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من توجه معروفاً إلى غير شاكر

اسد وذئب وغراب وابن آوى وجمل

وهو مثل من يعاشر من لا يساركه حتى يهلك نفسه

٨٥ زعموا ان أسداً كان في اجمة مجاوراً لأحد الطرق المسلوكة وكان

لَهُ أصحابٌ ثلاثةٌ ذئبٌ وغرابٌ وابنُ آوى وإنَّ رُعاةً مرّوا بذلك الطريق ومعهم جمالٌ فتخلّف منها جملٌ فدخل تلك الأجمة حتى انتهى إلى الأسدِ فقال له أبو فراسٍ من أين أقبلت قال من موضع كذا قال فما حاجتك قال ما تأمرني به الملك. قال تقيم عندنا في السعة والأمن والخصب فلبث عنده زمانا طويلا ثم إن الأسد مضى في بعض الأيام لطلب الصيد فلقي فيلا عظيما فقاتله قتالا شديدا وأفلت منه مثقلا مثخنا بالجراح يسيل منه الدمُ وقد أنشب الفيلُ فيه أنيابهُ فلم يكد يصلُ إلى مكانه حتى رزح لا يستطيعُ حراكا وحرم طلب الصيد فلبث الذئبُ والغرابُ وابنُ آوى أياما لا يجدون طعاما لأنهم كانوا يأكلون من فضلات الأسد وفواضلهِ فأجهدهم الجوعُ والهزالُ وعرف الأسدُ ذلك منهم فقال لقد جهدتم واحتجتم إلى ما تأكلون. فقالوا إنه لا تهمنا أنفسنا لكنا نرى الملك على ما نراه فليتنا نجد ما يأكلهُ ويصلحُ به قال الأسدُ ما أشكُّ في نصيحتكم ولكن انتشروا لعلكم تصيبون صيدا فأتونا به فيصيبكم ونصيبني منهُ فخرج الذئبُ والغرابُ وابنُ آوى من عند الأسد فتنحّوا ناحيةً وائتمروا فيما بينهم وقالوا ما لنا ولهذا الآكلِ العشبِ الذي ليس شأنُه من شأننا ولا رأيُه من رأينا ألا نزيّنُ للأسد فيأكلهُ ويطعمنا من لحمه قال ابنُ آوى هذا مما لا نستطيعُ ذكرهُ للأسد لأنهُ قد أمّن الجملَ وجعل له من ذمّه

قال الغراب أنا أكفيكم الأسد ثم انطلق فدخل على الأسد فقال له هل أصبتم شيئا قال الغراب إنما يصيب من يسعى ويبصر ونحن فلا سعي لنا ولا بصر لما بنا من الجوع ولكن قد وفقنا لرأي واجتمعنا عليه فإن وافقنا الملك فنحن له مجيبون . قال الأسد وما ذاك قال الغراب هذا الجمل آكل العشب المتمرغ بيننا من غير منفعة لنا منه ولا رد عائدة ولا عمل يعقب مصلحة فلما سمع الأسد ذلك غضب وقال ما أخطأ رأيك وما أعجز مقالك وأبعدك من الوفاء والرحمة وما كنت حقيقا أن تجترئ على بهذه المقالة وتستقبلني بهذا الخطاب مع ما علمت من أني قد أمنت الجمل وجعلت له من ذمتي أولم يبلغك أنه لم يتصدق متصدق بصدقة هي أعظم أجرا ممن أمن نفسا خائفة وحقن دما مهدورا وقد أمنته ولست بالغادر به قال الغراب إني لأعرف ما يقول الملك ولكن النفس الواحدة يفتدى بها أهل البيت وأهل البيت تفتدى بهم القبيلة والقبيلة يفتدى بها أهل المصر وأهل المصر فدى الملك وقد نزلت بالملك الحاجة وأنا أجعل له من ذمته مخرجا على أن لا يتكلف ذلك ولا يليه بنفسه ولا يأمر به أحدا ولكنا نحتال عليه بحيلة لنا وللملك فيها صلاح وظفر فسكت الأسد عن جواب الغراب عن هذا الخطاب فلما عرف الغراب إقرار الأسد أتى أصحابه فقال لهم قد كلمت الأسد في أكله الجمل على أن نجتمع نحن والجمل لدى حضرته

فذكر ما أصابه وتوجع له اهتماما بما بأمره وحرصا على صلاحه .
وعرض كل واحد منا نفسه عليه فيرده الآخران ويسفهان رأيه
ويبين الضرر في أكله . فإذا فعلنا ذلك سلمنا كلنا ورضي الأسد
عنا ففعلوا ذلك وتقدموا إلى الأسد فقال الغراب قد احتجت أيها
الملك إلى ما يقوتك ونحن أحق أن نهب أنفسنا لك فإنا بك نعيش
فإذا هلكت فليس لأحد منا بقاء بعدك ولا لنا في الحياة من خيرة
فليأكلني الملك فقد طبت بذلك نفسا فأجابه الذئب وابن آوى
أن اسكت فلا خير للملك في أكلك وليس فيك شبع . قال ابن
آوى لكن أنا أشبع الملك فليأكلني فقد رضيت بذلك وطبت
عنه نفسا فرد عليه الذئب والغراب بقولهما إنك منتن قذر . قال
الذئب إني لست كذلك فليأكلني الملك عن طيب نفس مني
وإخلاص طوية فاعترضه الغراب وابن آوى وقالوا قد قالت
الأطباء من أراد قتل نفسه فليأكل لحم ذئب فظن الجمل أنه
إذا عرض نفسه على الأكل التمسوا له عذرا كما التمس بعضهم
لبعض فيسلم ويرضى عنه الأسد فقال لكن أنا في للملك شبع
وري ولحمي طيب هني وبطني نظيف فليأكلني الملك ويطعم
أصحابه وحشمه . فقد سمحت بذلك طوعا ورضا فقال الذئب
والغراب وابن آوى لقد صدق الجمل وكرم وقال ما درى ثم
إنهم وثبوا عليه ومزقوه (كليلة ودمنة)

الجدي السالم والذئب النادم

٨٦ حُكيَ أنهُ كانَ في بعضِ الغياضِ لذئبٍ وجارٌ وأهلٌ وجارٌ فخرجَ يوماً لطلبِ صيدٍ ونصبَ لذلكَ شباكَ الكيدِ وصارَ يجولُ ويصولُ ولا يقعُ على محصولٍ فأثّرَ فيهِ الجوعُ واللغوبُ وأذنبَ الشمسُ للغروبِ فصادفَ بعضَ الرعيانِ يسوقُ قطيعاً من الضأنِ وفيها بعضُ جديانٍ فهمَّ عليها لشدَّةِ الجوعِ بالهجومِ ثمَّ أدركهُ من خوفِ الراعي الوجومُ لأنهُ كانَ متيقظاً ومن الذئبِ على ماسيهِ متحفظاً فحملَ براثنهُ من بعيدٍ والحرصُ والشرهُ يزيدُ والراعي سائقٌ والذئبُ عائقٌ فتخلفَ جديٌ غبيٌ غفلَ عنهُ الراعي الذكيُّ فأدركهُ الذئبُ النشيطُ وأطمعهُ بأملٍ بسيطٍ ونشرَ نفسهُ بالظفرِ وطارَ بالفرحِ واستبشرَ فلما رأى الجديُ الذئبَ علمَ أنهُ أصيبَ بيومٍ عصيبٍ وظفرٍ فصابَ البلا من قوسهِ بأوفرِ نصيبٍ فتداركَ نفسهُ بنفسهِ واستحضرَ حيلهُ جأشهِ وحدسهِ وعلمَ أنهُ لا ينجيهِ من تلكَ الورطةِ الوبيلهْ إلّا مَعينُ الخداعِ والحيلهْ وأذكرهُ مذكرُ الخاطرِ ما قالَ الشاعرُ

ولكن أخو الحزمِ الذي ليس نازلاً بهِ الخطبُ إلّا وهوَ للقصدِ مُبصِرُ

فتقدَّمَ بجاشٍ صليبٍ وقبّلَ الأرضَ بينَ يدي الذئبِ وقالَ لهُ يُحيّكَ الراعي لجنابكَ داعي يسلّمُ عليكَ وقد أرسلني إليكَ نشكرُ صداقتكَ وشفقتكَ . وحشمتكَ ومراعاتكَ ويقولُ قد تركَ بحسنِ

آبائك عادة أجدادك وآبائك فلم يعرض لمواشيه وحفظت بطرك صغار حواشيه . وقد حصل لصغارها الشبع وأمنت بجوارك الجوع والفزع وحصل الأمن من الجزع فشمل جوارك وعفافك أحسن مشمول لأن صغار ماشيته شبعت ورويت وانتعشت وقويت . فأراد مكافأتك وطلب مصادقتك ومصافاتك فأرسلني إليك لتأكلني وأوصاني أن أطربك بما أبي فإني حسن الصوت في الغنا وصوتي يزيد بهوة الغداء فإن اقتضى رأيك الأسعد عشتك غناء نسي أبا إسحاق ومعبد وهو شي لم يعرفه آباؤك وأجدادك وما ناله أعمامك وأولادك يقوي كرمك وشهوتك وقدمك ونطيب مأكلك وتنسي مأملك وإن صوتي اللذيذ ألذ للجائع من جدي حنيذ وخبز سميد وللعطشان من قدح نبيذ فرأيك أعلى وامتثالك أولى فقال الذئب لا بأس وإلا فمن ما نذالك فرفع الجدي عقيرته ورأى في الصراخ خيرته . وأنشد

وعصفور الحشا يهوى جراده كما عشق الخروف أبو جماده

فاهتز الذئب طربا ومال عجبا وعجبا وقال أحسنت يا زين الغنم ولكن هذا الصوت في الغم فارفع صوتك في الزير قد أخجل البلابل والزرازير . وزدني بأنغمي وغن لي ما يلي قولي

أمر هذا الزمان عجيب بالجمع بين المنى وبيني

ولكن هذا بابٌ سدّ الحداء في أوج الحسنى فاغتنم الجدي الفرصة
وأراح بباطه العصه وصرخ صرخة أخرى أذكر الطامة الكبرى
ورفع الصوت كمن عاين الموت وخرج من داره الحجار إلى العراق
وكاد تحصل له من ذلك الا بعاق وقال

فقوا ثمّ انظروا حالي أبو مدقة اكالي

فسمعه الراعي تستدو فأقبل بالمطرق تعدو فلم تشعر الذئب الذاهل
وهو يحس السماع غافل إلا والراعي بالعصا على قفاه نازل
فرأى الذئب العدمه في النجاه وأخذ في طريق النجاه وترك الجدي
وأفلت ونجا من سيف الموت المصلت وصعد إلى تل يتلفت اذ
تفلت واقبل يعض يديه ندامة ويخاطب نفسه بالملامة ويقول
أيها العاقل الذاهل الأحمق الجاهل متى كان على سماط السرحان
ألقمر والأوزان وأي جد لك فاي أو أب مفسد جاني كان لا
يأكل إلا بالمغاني وعلى صوت المثالث والمثاني فلولا أنك عدلت
عن طريقه آبائك ما فاتك لذيذ عشائك ولا أمسيت جائعا
ساوى وبجمره فوات الفرصة تتكوى ثم بات يحرق ضرسه وبابه
ويخاطب نفسه لما نابه

وعاجز الرأي مضياع لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

فأر وهر

٨٧ كان رجل فقير عنده هرٌ رباه وأحسن مأواه وكان القط قد

عرف منه الشفقة . وألف منه المودة والمعه فكان لا يبرح من بيته . ولا يسعى لطلب قوته فحصل له الهزال وتغير حاله من امر وحال فلا عدم صاحبه ما يعديه . ولا له قوة على الاصطبار نفسه إلى ان عجز عن الصيد وصار يسخر به من أراذل الفار عمرو وزيد وكان في ذلك المكان . مأوى لرئيس الجرذان وبجواره بحرين سمان فاجترأ الجرذ لضعف أبي عروان وسكن من بعد ما يحتاج إليه وصار يمر على القط آمنا ويضحك عليه الى أن ابتلا وكره من انواع المطاعم وحصل له الفراغ من المخاوف والمزاحم فاستطال على الجيران واستعان بطوائف الفار على العدوان وافكر يوما في نفسه فكرا أداه الى حلول رمسه وهو ان هذا القط وان كان عدوا قديما وهالكا عظيما ولكنه قد وقع في الانتحال وضعف عن الصيد والانسال وقوتى انما هى اسباب ضعفه وهذا النفع إنما هو حاصل بحتفه ولكن الدهر الغدار ليس له على حاله استمرار فربما يعود الدهر إليه وتعيد صحته وعافيته عليه فإن الزمان الدوار يهب ويهب ويعطي ما سلب ويرجع فيما وهب كل ذلك من غير موجب ولا سبب وإذا عاد القط إلى ما كان عليه سيذكر من غير شك إساءتي إليه . فيورد قلقه ويفور حنقه ويأخذه للانتقام منى ارقه فلا يمر لي معه قرار فاضطر إلى التحول عن هذه الدار والخروج عن الوطن المألوف ومفارقة

السكن المعروف . فلا بد من الاهتمام في حلول هذا الغرام
والأخذ في طريقه الخلاص من الوقوع في شرك الاقتناص
ثم انه ضرب اخماسا لأسداس في كيفية الخلاص من هذا الناس
فأداه الفكر إلى إصلاح المعاش بينه وبين أبي حراش ليدوم له
هذا النشاط ويتسع بواسطة الصلح بساط الانبساط فرأى أنه
لا يفيده إلا أن يزرع الجميل من كثير وقليل خصوصا في وقت
الفاقة فإنه أجلب للصداقة وابقى في الوفاقة ثم بعد ذلك
تبرم عليها العهود وتأكد ما يقع عليه الاتفاق من العقود
وهو أن يلتزم كبير الجرذان في كل غداة ما يكفيه من طيب
الغذا صباحه ومساه لأن الشيخ قال في الدرس خير المال ما
وقيت به النفس إلى أن يصح جسده ويرد عليه من عيشه رغده
ويكون ذلك سببا لعقود الصداقة وترك العداوة القديمة . فجمع له
من الخبز والجبن واللحم القديد . ما قدر على حمله ونهض قوته
بثقله . وقدم مقام الهر وسلم عليه سلام مكرم مبر وقدم ما لديه
اليه . وترامى يكرر الاشتياق والود عليه وقال يعز علي ويعظم
لدي أن أراك يا جار في هذا الاضطرار وسلمك الله هذا
الجهد والصبر ولكن العاقبة إن شاء الله إلى خير فتناول القط
من تلك السرقة ما سد رمقه وشكر له تلك الصدقة ثم قال
إن لي عليك من الحقوق مثل ما للجار الصدوق على الجار الشفوق .

وأردتُ أن تتأكَّدَ الجوارُ بالمُصادقةِ . وتثبتَ المحبّةُ بالمُواثقةِ
وإن كانت بيننا عداوةٌ قديمةٌ فتركُ من الجانبين تلكَ الخصلةَ
الذّميمة وتسلّمُ العهودَ على خلافِ الخلقِ المعهود وها أنا أذكُرُ
لكَ بيننا تحملُكَ على تركِ خُلُقِكَ القديم . وتُرسلُكَ في طريقِ الإخاء
إلى الصراط المستقيم وهو أنْ آكلَ مثلاً ما تعدّى منكَ بدنًا
فضلاً عن أن تظهرَ فيكَ صحّةً وثمّا فإنْ أمسى مكركَ ورغبتَ في
صُحبتي وعاهدتني على سلوكِ طريق مودّتي . وأكّدتَ ذلكَ بـ
مُغلّظاتِ الأيمانِ حتى استوثقَ باستصحابكَ وابيت آمنًا في محبّتكَ
ودهائكَ ولو كنتُ بين مخالبكَ وأنيابكَ فإني التزمُ لكَ كلَّ
يوم عندما ستيقظُ من النوم ما تسدُّ خلّتكَ وتبقي مُهجتكَ
صباحًا ومساءً وغداءً وعشاءً فلمّا رأى الهرُّ هذا البرّ اغتنمَ هذه
النعمُ وأطربه هذا النغمُ وأقسم طائعًا مختارًا لا إكراهًا ولا
إجبارًا أنّه لا يسلكُ مع الجرذانِ إلّا طريقَ الأمانِ والإحسانِ
فرجع الجرذُ وهو بهذه الحركةِ جذلانُ وصارَ يأتي القطَّ كلَّ يوم
بما التزم به من الغدا والعشاء إلى أن صحّ القطُّ واستوى وسلمت
حلوانُ بدنه من الجوا وقد كان لهذا القط ديكٌ صاحبٌ قديمٌ
وصديقٌ نديمٌ كلٌّ منهما يأنسُ بصاحبه ويحفظُ خاطرهُ ثمّ لما
جاءه فحصل للديك تعويقٌ عن زيارة صديقه فلم يتّفق لهما لقاءٌ
إلّا بعد أن زالَ عن القط ذلك السقامُ وحاز تمام الشفا فسألَهُ

الديك فاذا زال ذلك الهزال. فأخبره بخبر الجرذ وأنه صار عنده من اعز الأصدقاء الخيرين الأمناء فضحك الديك مستغربا وطفق ينفض جناحيه متعجبا فقال له مم تضحك قال من سلامة باطنك وانقيادك لمداهنك وحسن ظنك إلى غاشك ومخادعك ومن يأمن لهذا الغرم الواجب قتله في الحل والحرم المفسد الفاسق. المؤذي المنافق الذي خدعك حتى امن على نفسه وأوقعك في حبائل كيده وتحسبه مع أنك لست عنده بمشكور ولا بالخير مذكور وإنما الذي شاع وملأ الاسماع أنك تحل عهده وتنقض عهده وتنكث الايمان وتجازي بالسيئة الإحسان فإنه لما لم يرى منك ما يسره. اصبح موقعا ما يضره واعظم من هذا انه حشر ونادى وجاهرك بالشر وعادى وقال إنه أحياك بعد الموت وردك بعد الفوت وانه لولا فضله عليك وبره الواصل اليك لبت هزالا وجوعا وما عشت أسبوعا وانه سقاك وعافاك وصفا لك وصافاك. وهل سمعت أن جرذا صادق هرة او اتفق بينهما مرافقة فما صحبة القط والفار كمصادقة الماء والنار فلما سمع القط هذا الكلام نام لم يطره مضض إيلام وقال للديك جزاك الله عني خيرا ولكن من أخبرك بهذا الخبر وصدقك ما اثر فقال لقد عرك الجرذ بلقمات من الحرام واشتحب المعيش في الآنام وجعلها لك بمنزلة حبة الفخ فلا تشعر بها إلا وانت في المسلخ. حيث لا رفيق بتسعم فسك

ولا أخ وهناك تعرف تحقيق هذا الكلام . وما أطلعتك على ما قلت إلّا من فرط الشفقة والسلام . ففرح خائب صدق الديك عند اللفظ قال في خاطره . بعد ما أخال قدح ضمائره إن هذا الديك من حين انقلبت عنه النصبة وسرحت معه من الصداقة في روضة ما وقفت له على كذب ولا سمعت أنه لشيء من الزور مرتكب فهو أبعد من أن يخدع وأجل من أن يغش وينصنع ثم قال له كيف أعرف صدق هذا الخبر وهل على سوء طويته دلالة تسطر قال نعم . ورب الحرم علامة ذلك أنه إذا دخل عليك ونظر إليك يكون مشخص الرأس مجمع الأنفاس متوهماً حلول نائبة . أو نزول مصيبة صائبة ملتفتاً يميناً وشمالاً متحرفاً تكالاً ووبالاً طائفاً يقف خائفاً يترقب وذلك لأنه خائن والخائن خائف وهذا أمر بائن ويتماها في المحاورة . والمناظرة والمشاورة دخل أبو حوال وهو غافل عن هذه الأحوال فرأى أبا يقظان يخاطب أبا عروان فحسن وفهم وتوقف وتفكر وهو غافل عما قضى الله وقدر فاشمأز لرؤيته الديك واشتعل وانقبض وانزال فارتعد الجرذ من شيخ الديكة لما رأى منه هذه الحركة وانتقش وانزوى وتقبض ودوى والتفت يميناً وشمالاً كالطالب للفرار مجالاً . واللفظ يراقب أحواله وتسمر حركاته وأفعاله فتحقق ما قيل له فيه ونظر إليه نظر المستهم وهمّ وأكفهر وقبض سواريه وارتاد

وَنَسِيَ ٱلْعُهُودَ وَالأَيْمَانَ وَنَبَضَ فِيهِ عِرْقُ العَدَاوةِ القَدِيمَةِ وَالعُدْوَانِ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ وَأَدْخَلَهُ فِي جِرِ كَانَ وَأَخْلَى مِنْهُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ

الهدهد الغر المغرور

٨٨ ذَكَرُوا أَنَّ اللهَ مُجْرِي الخَيْرِ عَلَّمَ بَعْضَ عَبِيدِهِ الصُّلَحَاءِ مَنْطِقَ الطَّيْرِ فَصَاحَبَ مِنْهَا هُدْهُدًا وَازْدَادَ مَا بَيْنَهُمَا تَوَدُّدًا فَفِي بَعْضِ الأَيَّامِ مَرَّ بِالهُدْهُدِ ذٰلِكَ الإِمَامُ وَهُوَ فِي مَكَانٍ عَالٍ . مُلْتَفِتٌ إِلَى نَاحِيَةِ الشِّمَالِ وَهُوَ مَشْغُولٌ بِالتَّسْبِيحِ يُسَبِّحُ اللهَ بِلِسَانِهِ الفَصِيحِ فَنَادَاهُ يَا صَاحِبَ التَّاجِ وَالقَبَاءِ وَالدِّيبَاجِ لَا تَقْعُدْ فِي هٰذَا المَكَانِ فَإِنَّهُ طَرِيقُ كُلِّ فَتَّانٍ وَمَطْرُوقُ كُلِّ صَائِدٍ شَيْطَانٍ . وَمَقْصِدُ أَرْبَابِ البَنَادِقِ وَمَرْصَدُ أَصْحَابِ الحَلَاهِقِ فَقَالَ الهُدْهُدُ إِنِّي عَرَفْتُ ذٰلِكَ وَأَنَّهُ مَسْلَكُ المَهَالِكِ قَالَ فَلِأَيِّ شَيْءٍ عَزَمْتَ عَلَى القُعُودِ فِيهِ مَعَ عِلْمِكَ بِمَا فِيهِ مِنْ دَوَاهِيهِ قَالَ أَرَى صَبِيًّا وَأَظُنُّهُ غَوِيًّا نَصَبَ لِي فَخًّا . يَرُومُ لِي فِيهِ رَخًّا وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَكَائِدِهِ وَمَنَاصِبِ مَصَائِدِهِ . وَعَرَفْتُ مَكِيدَتَهُ أَيْنَ هِيَ وَإِلَى مَاذَا تَنْتَهِي وَأَنَا أَتَفَرَّجُ عَلَيْهِ . وَأَتَقَدَّمُ لِلضَّحِكِ إِلَيْهِ وَأَتَعَجَّبُ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ وَتَعْطِيلِ سَاعَاتِهِ فِيمَا لَا يَعُودُ عَلَيْهِ مِنْهُ نَفْعٌ وَلَا يُفِيدُهُ فِي قَفَاهُ سِوَى الصَّفْعِ . وَأَسْخَرُ مِنْ حَرَكَاتِهِ وَأَتَبَسَّمُ مِنْ تَمَرُّغِ عَلَى جَرِّ عِبَلَاتِهِ فَتَرَكَهُ الرَّجُلُ وَذَهَبَ وَقَضَى حَاجَاتِهِ وَانْقَلَبَ فَرَأَى الهُدْهُدَ فِي يَدِ الصَّبِيِّ وَلِسَانُ حَالِهِ يَلْهَجُ بِمَقَالِهِ

كعصفورةٍ في يدِ طفلٍ يهينها   تقاسي عذابَ الموتِ والطفلُ يلعبُ
فلا الطفلُ ذو عقلٍ يرقُّ لحالها   ولا الطيرُ مطلقُ الجناحِ فيهربُ

فناداهُ وقالَ يا أبا عبادٍ كيفَ وقعتَ في شَركِ الصيادِ وقلتَ لي إنكَ وعيتَ ورأيتَ ما رأيتَ فقال أما سمعتَ أنَّ الهدهدَ إذا نقرَ الأرضَ يعرفُ مسافةَ ما بينهُ وبينَ الماءِ ولا يبصرُ شعرةَ الفخِ ولا ما وراءهُ وناهيكَ قصةُ آدمَ أبي البشرِ كيفَ خذلَ لما غويَ وأعثرَ ونظرَ وكذلكَ غيرهُ ممن اشتهرَ أمرهُم وانتشرَ. وأنا لما اغتررتُ بحدةِ بصري ذهلتُ عمَّا يجولُ في فكري فغطَّت جدةُ استبصاري فوقعتُ في فخِ اغتراري

مالك الحزين والسمكة

٨٩ كانَ في مكانٍ مكينٍ مأوى لمالكِ الحزينِ وفي ذلكَ المكانِ غياضٌ وغدرانٌ تضاهي رياضَ الجنانِ وفي مياههِ من السمكِ. ما يفوقُ سحابَ السماكِ فكانَ ذلكَ الطيرُ في دعةٍ وخيرٍ يجني الأقواتَ بطيبِ الأوقاتِ وكلما تحركَ بحركةٍ كانَ فيها بركةٌ. حتى لو غاصَ في تلكَ البحارِ والغدرانِ لم يخرجْ إلا وفي منقارهِ سمكةٌ فاتفقَ أنهُ في بعضِ الأيامِ يسرَ عليهِ أسبابُ الغذاءِ وأرتجَ لقوتِ قوتهِ أبوابَ العنا فكانَ يطيرُ بينَ عالمِ الملكِ والملكوتِ يطلبُ ما يسدُّ الرمقَ من القوتِ فلم يفتحْ عليهِ بشيءٍ من أعلى السماكِ إلى أسفلِ الحوتِ. وامتدَّ هذا الحالُ عدةَ أيامٍ

وَلَيَالٍ فخاص يوماً في الزوراق يطلب شيئاً من الأرزاق . فصادف سمكةً صغيرةً قد غارت في مسيرة فاحتطفها ومن بين رجليه التقفها ثم بعد ابتلاعها قصد إلى ابتلاعها فتداركت راهن نفسها فسل استمرارها في رمسها فنادت بعد أن كادت أن تكون نادت ما البرغوث ودمه والعصفور ودمه اسمع يا جار الرضا ومن غير بنا في صوبه اقضى لا تحاول ابتلاعي ولا تسرع في ضياعي ففي بقائي فوائد وعوائد عليك عوائد وهو أني قد ملكت هذا السمك فالكل عبده ورعيته وواجب عليهم طاعته ومشيئته ثم إني واحد ابوي وأريد منك الإبقاء علي فإن أبي بذر الذور حتى حصل له بوجودي السرور فما في ابتلاعي كبير فائدة ولا اسد لك رمقاً ولا اسعل لك معدة فتصبر مع أبي كاملاً فاظهر في فيمن أحب ولا أسعى فالأولى ان أفرغك وأعرف ما بين ابي وبينك فأكون سبباً لعقود المصادقة وفاتحا لأغلاق المحبة والمرافقة ويحمل لك الجملة والمنة التامة والمصلة وأما أنا فأعاهدك إن أعتقتني ومننت علي واطلقتني ان أبكمل لك كل يوم بعشر سمكات بيض سمان وذكات بأيك مررعة غير ممنوعة ولا مقطوعة يرسلها إليك أبي مكافاة لما فعلت بي من غير تعب منك ولا وصب ولا كد تحمله ولا نصب فلما سمع اللسون هذا المحون أغراه الطمع . فما ابتلع بل نبذها ولها ثم قال لها أعطني هذه الزمرة

فبمجرد ما فتح فاه بالثمرة انقلبت السمكة منه بحمرة . وغاصت في الماء . وتخلصت من ناب فكي البلاء ولم يحصل لذلك الطماع . إلا قطع الأطماع وإنما أوردت يا ذا الدراية هذه الحكاية لتتأمل عقبى امرك قبل الشروع فيه وتدبر منتهى أواخره في مباديه . فقد قيل اول الفكر آخر العمل

الديك والثعلب

٩ كان في بعض القرى للرئيس ديك حسن الخلق وديك . مرت به التجارب وقرأ قوارح المشارق والمغارب . وعنى عامته من العمر سنوب واطلع من حوادث الزمان على فنون وذاق حلوه ومره وعانى حره وقره وقطع بالثعالب سالك مصايد وتخلص لان آوى من ورطات مكايد ورأى من الزمان ونائبه نوائب وشدائد وحفظ وقائع لبنات آوى وثعالب وطالع من كتب حيلها طلائع كتائب واحكم من طرائفها عجائب غرائب فاتفق له في بعض الأحيان انه وقف على بعض الجدران فطر في عطفه وتأمل في نفس بردته فرأى حال باجه العقيق ونظر الى حده الشقيق ونفض برائله المنقش وسراويله المفس والثوب الذي رقمه نقاش القدرة من المقطع المرقص فاعجبته نفسه . وأذن فاطربه حسه فصار يدبه وسخر وتبصبص ويخطر فاسهواه المشي سويعة حتى أبعد عن الضيعة فصعد

إلى جدار وكان قد انتصف النهار فرفع صوته بالأذان فأشبه صوته الكناري والدهان. فسمعه ثعلب فقال مطلب. وسارع من وكره وحمل شبكة مكره وتوجه إليه فرآه وسلم عليه فلما حس به أبو العطاف طفر إلى أعلى الجدران ثم حياه تحية الجلان ورأى لديه ترامي الإخوان وقال انس الله بدنك وروحك. وروى من كاسات الحياة غبوقك وصبوحك فإنك أحباب الأرواح والأبدان بطيب النغم والصياح في الأذان فإن لي زمانا لم أسمع بمثل هذا الصوت وقاه الله نوائب الفوت ومصائب الموت وقد جئت لأسلم عليك. وأذكرك ما أسدى من النعم إليك وأبشرك ببشارة وهي أربح تجارة وأنجح من الولاية والإمارة ولم يبق مثلها في سالف الدهر ولا يقع نظيرها إلى آخر العصر وهي أن السلطان أيد الله بدولته أركان الإيمان أمر مناديا فنادى بالأمان والاطمئنان. وإجراء مياه العدل والإحسان من حدائق الصحبة والصداقة في كل بستان. وأن تشمل الصداقة كل حيوان من الطير والوحش والحيتان ولا تقتصر فيها على جنس الإنسان فتشارك فيها الوحوش والسباع والبهائم والضباع والأروى والنعام والصقر والحمام والضب والنون والذئاب وأبو قلمون ويتعاملون بالعدل والإنصاف والإسعاف دون الإعساف. ولا تجري بينهم إلا المصادقة وحسن

المعاشرة والمرافقة فتمحى من لوح صدورهم نقوش العداوة والمنافقة . فيطير القطا مع العقاب وينبت العصفور مع الغراب ويرعى الذئب مع الأرنب ويتآخى الديك والثعلب وفي الجملة لا يتعدى أحد على احد فيأمن الفأرة من الهرة والخروف من الأسد وإذا كان الأمر كذا فقد ارتفع الشر والأذى . فلا بد أن يعمل هذا المرسوم ويترك ما بدا من العداوة والخلق المذموم ويجري بدءا بعد اليوم المصافحة ويسمع أبواب المحبة والمراعية ولا ينفر احد منا من صاحبه بل يراعي مودته ويبالغ في حفظ جانبه . وجعل الثعلب يقرر هذا المقال والديك يلتفت الى هذا المذاهب والجبال فقال الثعلب يا اخي ما لك عن سماع كلامي مرتخي أنا أبشرك ببشارة عظيمة لم يقع في الأعصر القديمة وأنما يرزت بها مراسيم مولانا السلطان الجسيمة . وأراك لا تلتفت إلى هذا الكلام ولا تسر بهذا اللطف العام ولا تلتفت إلي ولا تعول علي وتسترق على تعد لسني فهلا أخبرتني بما أضرب وتوثب وتطلعي فيما تطاول اليه على ما رأيت حتى أعرف في اي شيء أنت وهل ركبت إلى أحاري وتسكت . فقال أرى عجاجا ثائرا وممتا إلى الغاب قاترا وحيوانا جاريا كأنه البرق ساريا وما عرفت ما هو ولكنه اجرى من الهواء . فقال أبو الحصين وقد نسي المكر والمين بالله يا أنا نبهان حقق لي

هٰذَا الْحَيَوَانَ فَقَالَ حَيَوَانٌ رَشِيقٌ لَهُ آذَانٌ طِوَالٌ وَحَضْرٌ دَقِيقٌ
لَا الْخَيْلُ تَلْحَقُهُ وَلَا الرِّيحُ تَسْبِقُهُ فَرَجَفَ قَوَائِمُ الثَّعْلَبِ وَطَلَبَ
الْمَهْرَبَ فَقَالَ أَبُو الْمُنْذِرِ تَلَبَّثْ يَا أَبَا الْحُصَيْنِ وَاصْبِرْ حَتَّى أُحَقِّقَ
رُؤْيَتَهُ وَأُبَيِّنَ مَاهِيَّتَهُ فَإِنَّهُ يَا أَبَا الْحُصَيْنِ تَسْبِقُ طَرْفَ الْعَيْنِ
وَيَكَادُ يَا أَبَا النَّجْمِ يُخْلِفُ النَّجْمَ فِي الرَّجْمِ فَقَالَ أَخَذَنِي فُؤَادِي
وَمَا هٰذَا وَقْتُ التَّمَادِي ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَصْدَحُ بِقَوْلِهِ

لَا بَأْسَ الْبَاحُ الْعَتِيقِ لَا تَقِفْ لِي فِي طَرِيقِي
إِنْ يَكُنْ ذَا الْوَصْفُ حَقًّا فَهْوَ وَاللهِ السَّلُوقِي

فَقَالَ الدِّيكُ وَإِذَا كَانَ وَقَدْ قُلْتَ إِنَّ السُّلْطَانَ رَسَمَ بِالصُّلْحِ بَيْنَ
سَائِرِ الْحَيَوَانِ فَلَا بَأْسَ مِنْهُ عَلَيْكَ فَقِفْ حَتَّى يَجِيءَ وَنَعْمَلَ بِذٰلِكَ
وَنَشُدَّ بَيْنَنَا عُقُودَ الْمُصَادَقَةِ وَنَصِيرَ رُفَقَاءَ وَنَصِيرَ رِفَاقَهُ فَقَالَ مَا
لِي بِرُؤْيَتِهِ حَاجَةٌ فَدَعْ عَنْكَ الْمُحَاجَّةَ وَاللَّجَاجَةَ فَقَالَ أَوَمَا زَعَمْتَ
يَا أَبَا وَثَّابٍ أَنَّ السُّلْطَانَ رَسَمَ لِلْأَعْدَاءِ وَالْأَصْحَابِ أَنْ يَسْلُكُوا
طَرَائِقَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَحْبَابِ فَلَوْ خَالَفَ الْمَرْسُومَ هٰذَا الْكَلْبُ لَمَا
قَابَلَهُ الْمَلِكُ إِلَّا بِالْقَتْلِ وَالصَّلْبِ قَالَ لَعَلَّ هٰذَا الْمَشُومَ لَمْ يَبْلُغْهُ
الْمَرْسُومُ ثُمَّ وَلَّى هَارِبًا وَقَصَدَ لِلْخَلَاصِ جَانِبًا

الْجَمَلُ وَالْمِلْحُ

٩١ كَانَ جَمَّالٌ فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ لَهُ جَمَلٌ يَتَعَيَّشُ عَلَيْهِ وَيَقُوتُ هُوَ
وَعِيَالُهُ بِمَا يَصِلُ مِنْهُ إِلَيْهِ فَرَأَى صَلَاحَهُ فِي نَقْلِ مِلْحٍ مِنَ الْمَلَّاحَةِ

فجدّ في نقل الأحمال. وملازمته لأثقال الأثقال إلى أن آل حال الجمل إلى الهزال وزال نشاطه وحال والجمال لا يرق له بحال ويجدّ في كدّه بالإشغال ففي بعض الايام ارسله مع السّوام فتوجه إلى المرعى وهو ساقط القوه عن المسعى وكان له ارنب صديق فتوجه إليه في ذلك المضيق. ودعاه وسلّم عليه وبث عظيم اشتياقه فلما راى الحزن هزاله تألم له وسأله احواله فاخبره بحاله وما يقاسيه من عذابه ونكاله وان الملح قد قرحه. وجب سنامه وجرحه وانه قد اعيته الحيله واضل إلى الخلاص سبيله فتألم الارنب وتأمل وتفكر في كيفية عصر هذا الأمل. ثم قال يا أبا أيوب لقد قربت بالمطلوب. وقد ظهر وجه الخلاص. من شرك هذا الاقتناص. والنجاة من الارهاص والارتصاص تحت حمل كالرصاص فهل تعرض لك يا ذا الرياضه. في طريق الملاحه مخاضة فقال كثير وكم من نهر وغدير. فقال إذا وردت في حوض ولو انه روض او حوض فابرك فيه وتمرغ وتقلب من حملك وتفرغ واستمر فيه يا ابا ايوب فإن الملح في الماء يذوب. وكرر هذه الحركه فإنك ترى فيها البركه فإما أنهم يعيرون حملك أو يخففوه. او تستريح بذوبه من الذي اضعفوه فحمل الجمل للارنب المنة وشف بذر هذه الفائدة أذنه فلما حمله صاحبه الجمل المعهود ودخل به في طريقه المورود ووصل المخاصة

برك فضربوه وما احركه وتحمل ضربه وعسفه حتى أذاب من الجمل بصمة ثم نهض ابهاضة وخرج من المخاصة ولازم هذه العادة إلى ان اضر صاحبه وأباده فادرك الجمال هذه الحيله فافكر له في داهيه وبليه وعمد إلى عهن منفوش وعمر في مفارسه شكل النقوش واوسق للجمل حملا وبالغ فيه نصبه وثقلا وسلط عليه الظماء ثم دخل به الى الماء . فلما توسط الما برك وتغافل عنه صاحبه وترك فشرب الصوف من الما ما ملأ البرك . ثم أراد النهوض فنابه الرضوض فقاسى من المشاق ما لا يطاق ورجع هذا المكر الوبيل على الجمل المسكين بأضعاف التثقيل فساء مصيره وكان في تدبيره تدميره وما استفاد إلا زيادة النصب وأمال ما كان يجده من التعب والوصب وانما أوردت هذا المثل عن الجمل ليعلم الملك والحضار أن العدو الغدار والحسود المكار . يفكر في انواع الدواهي ويصرع انواع البلايا والرزايا كما هي ويبذل في ذلك جده وجهده ولا يقصر فيما يصل اليه من ذلك يده فتارة يدرك مكايده ويعرف مصايده وتارة يغفل عن دواهيها فلا يشعر الخصم الا وقد تورط فيها وعلى كل حال لا بد للشخص له وعليه من الاحتيال

الثاني والاربعه العاشرون بحمد

٩٢ كان من بكر بن رجل مسكين . بطل الساين فهي

بعض السنين . قدم قريته مبين وسكن في بستان كأنه قطعة من
الجنان فيه فاكهة ونخل ورمان . في بعض الأعوام أطلب الفواكه
بالإنعام وتبرت الثمار ملابس الأشجار من الأذيال والأكمام
فأجاب الضرورة ذلك الإنسان أن خرج من البستان ثم رجع في
الحال فرأى فيه أربعة رجال أحدهم جندي والآخر شريف
والثالث فقيه والرابع تاجر ظريف قد أكلوا وسقوا وناموا
وانتفعوا وتصرفوا في ذلك تصرف الملاك وأفسدوا فسادا فاحشا
جادشا ومارشا وباوسا وباكسا فأضر ذلك بحاله ورأى العجز في
أفعاله إذ هو وحده وهم أربعة وكل عبده فسارع إلى التاجد
وعزم على التجيد فابتدأ بالترحيب والبشاشة والإكرام والهشاشة
وأحضر لهم من أطايب الفاكهة وطايبهم بالمفاكهة وسامح
بالممازحة ومازح بالمسامحة إلى أن اطمأنوا واستكانوا واستكنوا
ودخلوا في الأنس ولاعبوه بما يحب فقال في أثناء الكلام أيها
السادة الكرام لقد حزتم أطراف المعارف والطرف فأي شيء
تعانون من الحرف فقال أحدهم أنا جندي وقال الآخر أنا
سبط المصطفى جدي وقال الثالث أنا فقيه وقال الرابع أنا تاجر نبيه
فقال والله لست بسفيه ولكن تاجر سفيه وقبح الشكل كريه
أما الجندي فإنه مالك رقابنا وحارس جنابنا . يحفظنا بصولته
ويصون أنفسنا وأموالنا وأولادنا بسيف دولته وتحمل نعمه لنا

وقاية وسكني في أعدائنا أشد نكاية فلو مددت يده إلى كل ما وزرقه فهو بعض استحقاقه ودون حقه وأما الشريف فقد تشرف به اليوم مكاني وحلت به البركة علي وعلى لساني وأما سيدنا العالم فهو مرشد العالم وهو سراج ديننا الهادي الى يقيننا فإذا شرفونا بأقدامهم ورضوا أن نكون من خدامهم فلهم الفضل علينا والمنة الواصلة إلينا وأما أتباعهم وشرطتهم فانظرهم بأي طريق تدخل الى لساني وتتناول سفرجلي ورماني هل أتاه مني تشليحه وترك لي المرابحة أو لك علي دين أو عاملني نسيئة دون غيري الك تلي حمله وهل بيني وبينك وسيلة تقضي بأن ماله والهجوم على ملكي ومالي ثم مد يده إليه فلم يعترض من رفقائه أحد عليه لأنه أرضاهم بالكلام وأعتذر عما تطرق إليه من ملام فأوثقه وثاقا محكما وتركه مغرما ثم مكث ساعة وهو على الخلاعة مع الجماعة وغاب الجندي والشريف على القضية الظريفة فقال أيها العالم الفقيه والفاضل النبيه أنت مفتي المسلمين وعالم بمناهج الدين على فتواك مدار الإسلام وكذلك الفارقة بين الحلال والحرام بفتواك تستباح الدماء فمن أفتاك بالدخول في هذا أفتني يا عالم الزمان محمد بن ادريس أفتاك بهذا أم النعمان أم أحمد بن حنبل أم مالك فتح لنا ذلك وإلا فما بالك تعوث وتعيث بما ليس لك ولا عتب على الأجناد والأطراف ولا على

الجهلاء والاخلاف إذا اربكب مثلك هذا المحظور . وتعاطى العلماء والممون افحع الأمور ثم مد يده إلى جلابيبه وأوثقه بلابيبه فأحكمه وثاقا . وآلمه رباقا فاستنجد بصاحبيه إلى جانبيه فما أنجداه ولا رفداه ثم جلس بلاهى الجندى الساهى وعامره على الشريف ذي النسب الطريف ثم قال أيها السيد الأصيل النجيب الحيد الحسيب لا تعتب على كلامى ولا تستعجل ملامى . اما الامير فانه رجل كبير ذو قدر خطير له الجملة التامه والفصيله اللامه وأنت يا ذا النسب الطاهر والاصل الباهر والفضل الزاهر سلفك الطيب اذن لك فى الدخول الى ما لا يحل لك وإذا كنت يا طاهر الاسلاف لا تتبع سنة آبائك الاشراف من الزهد والعفاف فلا عتب على الاوباش والاطراف . ثم وثب إليه وكتف يديه ولم تعطف الجندى عليه ولم تبق الا الجندي وهو وحيد فانتصف منه النسائى كما يريد واوثقه رباطا . وزاد لنفسه احتياطا ثم اوجعهم ضربا واسمعهم لعنا وسبا وجمع عليهم الجيران واستعان بالجلاوزه وأصحاب الديوان . وحملهم برباطهم وعلقهم تحت آباطهم الى باب الوالى واخذ منهم ثمن ما أخذوه من رخيص وغالى وانما اوردت ما جرى ليعلموا ايها الوزراء ان التحيد بين الاعداء بالتأخيد امر من السهام فى تمهيد الاحكام واحكام التمهيد (فاكهه الخلفا لابن عربشاه)

ألبابُ السَّابعُ
في الفضائلِ والرذائلِ

الصبر

٩٣ يُقالُ أوكدُ الأسبابِ لِلظفرِ الصبرُ وقالَ بعضُ العُلماءِ الصبرُ جُنّةُ المؤمنِ وعزيمةُ المتوكّلِ وسببُ دركِ النُّجحِ في الحوائجِ من وطّنَ نفسَهُ على الصبرِ لم يجد الأذى مسّاً ومن استعفَّ باللهِ عفَّهُ. ومن استغنى به نعمهُ ولن تجدوا خطًّا خيرًا من الصبرِ جاء في المبهجِ الصبرُ أخو بدى النُّجحِ وقالَ حكيمٌ تابعُ الصبرِ متبوعُ النصرِ (للمهدي)

٩٤ قالَ أبو تمّامٍ

إذا اشتملت على اليأسِ القلوبُ وضاقَ لما به الصدرُ الرحيبُ
وأوطنتِ المكارهُ واطمأنّت وأرست في مكامنها الخطوبُ
فلم ترَ لانكشافِ الضرِّ وجهاً ولا أغنى بحيلتهِ الأريبُ
أتاكَ على قنوطٍ منهُ غوثٌ يمنُّ بهِ اللطيفُ المستجيبُ
وكلُّ الحادثاتِ وإن تناهت فموصولٌ بها فرجٌ قريبُ

٩٥ من الديوانِ المنسوبِ إلى أميرِ المؤمنينَ عليٍّ

هيَ حالانِ شدّةٌ ورخاءٌ وسجالانِ نعمةٌ وبلاءُ
والفتى الحاذقُ الأديبُ إذا ما خانهُ الدهرُ لم يخنهُ العزاءُ

إن المنّ مُلمّةٌ بي فإنّي في المُلمّات صخرةٌ صمّاءُ
عالمٌ بالبلاء علماً بأن ليس تدومُ النعمُ والبلواءُ

وأنشد أعرابيٌّ

وإني لأغضي مقلتيّ على القذى وألبسُ ثوبَ الصبرِ أبيضَ أبلجا
وإني لأدعو الله والأمرُ ضيّقٌ عليّ فما ينفكُّ أن يتفرّجا
وكم من فتًى ضاقت عليه وجوهُهُ أصاب لها في دعوةِ الله مخرجا

٩٦ قال عنترةُ

تصبر ولا تبدِ التضعضعَ للعدى ولو قطعت في الجسم منك البواترُ
سرور الأعادي أن يراك بذلةٍ ولكنها تغتمُّ إذ أنت صابرُ
انى وجدتُ وخيرُ القول أصدقُهُ للصبر عاقبةً محمودةَ الأثر
وقلَّ من جدَّ في أمرٍ يحاولُهُ فاستصحبَ الصبرَ إلّا فازَ بالظفرِ

قال آخر

عليك بالصبرِ فيما قد مُنيت به فالصبر يذهبُ ما في الصدر من حرج
كم ليلةٍ من هموم الدهرِ مُظلمةٍ قد صار من بعدها صبحٌ من الفرج

وما أحسن ما قال الشيخ حسن بن محمد النورينيُّ

صبراً على نُوَبِ الزمانِ فإنّها مخلوقة لكآبة الأحرارِ
لا تُكسَفُ النجمُ الضعيفُ وإنّما تسري الكُسوفُ لرفعة الأقمارِ

٩٧ قال ابرهيمُ العماديُّ

لا تخشَ من شدةٍ ولا نصبٍ وثق بفضل الإله وأبهج

وأرحْ إذا اشتدّ همٌّ نازلٌ فآخر الهمّ أول الفرج

وقال غيرهُ وأجادَ

تصبّرْ ففي اللأواءِ قد يُحمدُ الصبرُ ولولا صروفُ الدهرِ لم يُعرفِ الحرُّ
وإنّ الذي أبلى هو العونُ فانتدبْ جميلَ الرضا يبقَ لكَ الذكرُ والأجرُ
وثقْ بالذي أعطى ولا تكُ جازعًا فليس بحزمٍ أن يُروّعكَ الضرُّ
فلا نعمٌ تبقى ولا نقمٌ ولا يدومُ كِلا الحالينِ عسرٌ ولا يُسرُ
تقلّبُ هذا الأمرِ ليسَ بدائمٍ لديه معَ الأيامِ حلوٌ ولا مرُّ

قالَ آخرُ

إنّ الأمورَ إذا اشتدّت مسالكُها فالصبرُ يفتحُ منها كلّ ما رُتجا
لا تيأسنَّ وإن طالتْ مطالبُهُ إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترى فرجا

وقالَ آخرُ

على قدرِ فضلِ المرءِ تأتي خطوبُهُ ويُعرفُ عند الصبرِ فضلُ نُهاهُ
ومن قلّ في ما يتّقيهِ اصطبارُهُ فقد قلّ في ما يرتجيه مُناهُ

قالَ المرّارُ بنُ سعيدٍ

إذا شئتَ يومًا أن تسودَ عشيرةً فبالحلمِ سُدْ لا بالتسرّعِ والشتمِ
وللحلمُ خيرٌ فاعلمنَّ مغبّةً منَ الجهلِ إلّا أن تشمّسَ من ظلمِ

القناعة

٩٨ اعلم أنّ مما تحققهُ العاقلُ ولا تذهلُ عنهُ إلّا الأبلهُ أنّ الدنيا
دارُ الأكدارِ ومحلُّ الهمومِ والغمومِ والحسراتِ وأنّ أحمقَ الخلقِ

بلاء والمنا الفقراء وأعظم الناس غماً وهمّاً وغمّاً هم الملوك والأمراء والكبراء ويقال لكل شبر قامة من الهم وقيل

لقد فتنت همي بالخمول وصدت عن الرتب العاليه

وما جهلت طيب طعم العلى ولكنها تورث العافيه

وطالما رضيت الملوك والسلاطين بحال الفقراء والضعفاء والمساكين في كل سبب كربة ومصيبة ولعل بنك إن رأيت أملها فارض بحال فقرك واشكر الله تعالى على خفة ظهرك ولا تعد طورك وقف عند قدرك تجد ذلك نعمة خفية ساقها الله تعالى إليك ورأفة ورحمة افاضها الله تعالى من خزائن لطفه عليك فاعتبر بهذه الكلمات وخذ لنفسك حظاً وافراً من هذه العظات ومن ذلك ان هارون الرشيد من اعقل الخلفاء العباسيين واكملهم رأياً وتدبيراً وفطنة وقوة واتساع مملكة وكثرة خراج بحيث كان يقول للسحابة امطري حيث شئت فإن خراج الأرض التي تمطرين فيها يجيء إليّ ومع ذلك كان اتعبهم خاطراً وأشدهم فكراً واسعلهم قلباً (الاعلام لقطب الدين النهروالي)

٩٩ ولله من قال

أرى الدنيا لمن هي في يديه عذاباً كلما كثرت لديه

إذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما كنت محتاجاً إليه

قال آخر

أفادتني القناعة كل عز . وهل عز أعز من القناعة
فاجعلها لنفسك رأس مال . وإثر بعدها التقوى بضاعة

قال ابن وابصة

غنى النفس ما يكفيك من سد فاقة . فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

قال عمرو

يا أحمد اقنع بالذي أوتيته . إن كنت لا ترضى لنفسك ذلها
واعلم بأن الله جل جلاله . لم يخلق الدنيا لأجلك كلها

العدل

١٠ يحكى عن إسماعيل الساماني في كتاب سير الملوك أنه كان إذا حل مدينة يجلس للناس وكان يرفع الحجاب ويبعد الحجاب ويزيح البواب ليجئ كل من له ظلامة ويقف على جانب البساط ويخاطبه ويعود بقضي الحاجة وكان يقضي بين الخصوم مثل الحكام إلى أن تنتهي الدعاوي . ثم يقوم من موضعه ويقصر على محاسبه نفسه ويوجه وجهه نحو السما ويقول إلهي هذا جهدي وطاقتي قد بذلته وأنت عالم الأسرار وتعلم علانيتي ولا أعلم على أي عبد من عبيدي أجحف أو لأي عبد ظلمت وما أنصفت أنا واحد من أصحابي فاغفر لي من ذلك ما لا أعلم فلما كان نبي الله جمل الطوية لا جرم علا أمره وارتفع قدره وكان عسكره

ألف فارس متدين بالسلاح مصمين بالحديد وبتركه ذلك
العدل والإنصاف ظفره الله بأعدائه (للعرالى)

قال شاعر

ألعدلُ روحٌ به تحيا البلادُ كما دمارُها أبدًا بالجورِ يحتمُ
ألجورُ سيفٌ به العمران منصرمٌ والعدلُ ركنٌ به التمهيدُ ينتظمُ

١٠١ لما ظلم أحمد بن طولون قبل أن يعدل استغاث الناس من
ظلمه وتوجهوا إلى السيدة نفيسة واشتكوه إليها فقالت لهم متى
يركب قالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت في طريقه وقالت
يا أحمد بن طولون فلما رآها عرفها وترجل عن فرسه وأخذها منها
وقرأها فإذا فيها مكتوب ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم
ففسقتم وردت عليكم الأرزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام
الأسحار نافذة لا سيما من قلوب أجعتموها وأجساد أعريتموها
اعملوا ما شئتم فإنا صابرون وجوروا فإنا بالله مستجيرون واظلموا
فإنا منكم متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فعدل
من وقته وساعته (لبها الدين)

١٠٢ أخبر الثعالبي قال استشهد محمد بن الفرات أيام وزارته على ابن
عيسى صاحبه بغير حق فلم يشهد له فلما عاد إلى دسته كتب إليه
لا تلمني على نكوصي عن نصرك بشهادة زور فإنه لا إبقاء على
نفاق ولا وفا لدى من اختلاق وأحرِ بمن تعدى الحق في

مَسَرّتك إذا رَضِي ان سعدّى الباطِل فى مَسَا يك إذا غضِبَ وَكَانَ المُتنبِي اسارَ إلَى هٰذَا المعنَى بِقوله

لقد اتاحك غِشاً فِى مُعامَلَةٍ مَن كُنت مِنهُ بغيرِ الصدق تنتفعُ

الكرم

١٠٣ كَان خالدُ بنُ عَبدِ اللهِ القَسرِيُّ يَقُولُ نافَسُوا فِى المَكارِم وَسارِعُوا إلَى المَكَارِمِ واكتسِبُوا بِالجُود حَمدًا وَلَا تكتسِبُوا بِالمَال ذماً. ولَا تَعتَدُّوا بمعرُوفٍ ولَم تُعجِّلُوهُ. واعلمُوا أنَّ حَوائج النَاسِ نِعمةٌ مِنَ اللهِ عَليكُم فلا تَمَلُّوها فتعُودَ نِقمًا وقالَ الشاعِرُ

مَاتَ الكِرَامُ وولوا وانقضَوا ومضَوا وَمَاتَ فِي إثرهم تِلكَ الكرامَاتُ

وخلَّفونِى فِى قومٍ ذوِى سَفَهٍ لَو أبصرُوا طَيفَ ضيفٍ فى الكرَى مَاتُوا

١٠٤ قال آخرُ

انى وَإن لَم ينَل مالى مَدى خُلُقِى فَيَاضُ مَا مَلَكَت كفَّاى مِن مَالِ

لَا احبسُ المَالَ إلا ريثَ أُتلِفُهُ وَلَا تُغيرُنى حَالٌ الى حَالِ

وقالَ سَوَادَةُ اليَربُوعِيُّ

ألَا بَكَرَت مَيٌّ عَلَيَّ تَلُومُنى تَقُولُ ألا أهلكتَ مِن انتَ عَائِلُه

ذَرِينى فَإن البُخل لا يُخلِدُ الفتَى وَلَا يُهلِكُ المَعرُوفُ مَن هُوَ فَاعِلُه

قَالَ آخرُ

نُعمى البَخِيلُ بجمع المَالِ مُدَّتهُ وَلِلحَوادِثِ وَالأيام مَا يَدَعُ

كَدُودَةِ القزِ مَا تَبنِيهِ يهدِمُهَا وَغيرُهَا بِالذِى تَبنِيهِ يَنتَفِعُ

قال غيره في المعنى

أَلَم تَرَ أَنَّ المَرءَ طُولَ حَيَاتِهِ   مُعنًّى بِأَمرٍ لَا يَزَالُ يُعَالِجُه
كَذَلِكَ دُودُ القَزِّ يَنسِجُ دَائِماً   وَيَهلِكُ غَمّاً بِالَّذِي هُوَ نَاسِجُه

الوفا

١٥ يُعجِبُني قَولُ بَعضِهِم اما بَعدُ فَإِن شَجَرَ وَعدِكَ قَد أَورَقَ فَلْيَكُن ثَمَرُهَا سَالِماً مِن جَوَائِحِ المَطلِ وَالسَّلَامُ (للحموي)

قال ابو تمام

إِذَا قُلتَ فِي شَيءٍ نَعَم فَأَتِمَّهُ   فَإِنَّ نَعَم دَينٌ عَلَى الحُرِّ وَاجِبُ
وَإِلَّا فَقُل لَا تَسْتَرِح وَتُرِح بِهَا   لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبُ

وقال آخر

وَلَقَد وَعَدتَ وَأَنتَ أَكرَمُ وَاعِدٍ   لَا خَيرَ فِي وَعدٍ بِغَيرِ تَمَامِ
أَنعِم عَلَيَّ بِمَا وَعَدتَ تَكَرُّماً   فَالمَطلُ يُذهِبُ بَهجَةَ الإِنعَامِ

وقال غيره

لِكُلِّ جَمِيعِ الآفَاتِ فَالبُخلُ شَرُّهَا   وَشَرٌّ مِنَ البُخلِ المَوَاعِدُ وَالمَطلُ
وَلَا خَيرَ فِي وَعدٍ إِذَا كَانَ كَاذِباً   وَلَا خَيرَ فِي قَولٍ إِذَا لَم يَكُن فِعلُ

الرأي والمشوره

١٦ قيل مَن بَدَأَ بِالاستِخَارَةِ وَثَنَّى بِالاستِشَارَةِ فَحَقِيقٌ أَن لَا يَخِيبَ رَأيُهُ وَقِيلَ الرَّأيُ السَّدِيدُ أَحمَى مِنَ البَطَلِ الشَّدِيدِ وَقِيلَ مَن بَذَلَ

نصحه واجتهاده لمن لا تنكره فهو كمن تدبر في الساحل . قال الشاعر يمدح من له رأي وبصيرة

بصير بأعقاب الأمور كأنما يخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال بعضهم خمير الرأي خير من فطيره وتقديمه شر من تأخيره

(للانشاء)

وما نعرف أحسن من قول ابن الرومي في ذلك

نار الروية نار جد منضجة وللبديهة نار ذات تلويح

وقد يفضلها قوم لعاجلها لكنه عاجل يمضي مع الريح

قال أبو الطيب المتنبي

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكان

ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأي قبل تطاعن الأقران

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

١٧ قال بعضهم وشاور الناس في الأمر يعني أن الإنسان لا يستغني عن مشورة نصيح له كما أن القوادم من ريش الجناح تستعين بالخوافي منه قال بشار

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن بحزم نصيح او نصاحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فريش الخوافي تابع للقوادم

وما خير كف أمسك الغل أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم

قال الأصمعي قلت لبشار ان رجال الرأي يعجبون من أبياتك في المشورة فقال أوما علمت أن المشاور بين إحدى الحسنيين صواب يفوز بثمرته او خطأ يشارك في مكروهه فقلت له انت في هذا الكلام أشعر منك في شعرك وقال الجاحظ المشورة لقاح العقول ورائد الصواب والمستشير على طرف النجاح واستنارة المرء برأي اخيه من عزم الأمور وحزم التدبير وقال عبد الملك بن مروان لان أخطئ وقد استشرت احب إليّ من ان أصيب وقد استبددت برأيي من غير مشورة

(لابي نصر المقدسي)

ولقد احسن من قال

لا تحقرن الرأي وهو موافق ... حكم الصواب اذا اتى من ناقص
فالدر وهو أجل شيء يقتنى ... ما حط قيمته هوان الغائص

قال الارجاني واجاد

شاور سواك إذا نابتك نائبة ... يوما وإن كنت من اهل المشورات
فالعين تنظر منها ما دنا ونأى ... ولا ترى نفسها إلا بمرآة

وقال ايضا

خصائص من تشاوره ثلاث ... فخذ منها جميعا بالوثيقه
وداد خالص ووفور عقل ... ومعرفة بحالك والحقيقه
فمن حصلت له هذي المعاني ... فتابع رأيه والزم طريقه

وله أيضاً

فما كل ذي نصح بمؤتيك نصحه ولا كل مؤت نصحه بلبيب
ولكن إذا ما استجمعا عند واحد فحق له من طاعة بنصيب

الحسد

١٨ قال بعض الحكماء ما أمحق للإيمان ولا أهتك للستر من الحسد وذلك أن الحاسد معاند لحكم الله باغ على عباده عات على ربه يعتد نعم الله نقماً ومزيده غيراً وعدل قضائه حيفاً للناس حال وله حال ليس يهدأ ليله ولا ينام جشمه ولا ينفعه عيشه محتقر لنعم الله عليه متسخط ما جرت به أقداره ولا يبرد غليله ولا تؤمن غوائله ان سالمته وترك وان واصلته قطعك وإن صرمته سبقك ذكر حاسد عند بعض الحكماء فقال يا عجبا لرجل أسلكه الشيطان مهاوي الضلالة وأورده قحم الهلكة . فصار لنعم الله تعالى بالمراصد إن أنالها من أحب من عباده أشعر قلبه الأسف على ما لم يقدر له وأعاره الكلف بما لم يكن لنا له قال سليمان التيمي الحسد يضعف اليقين ويسهر العين ويكثر الهم ولأبي العتاهية

أيا رب إن الناس لا ينصفونني وكيف ولو أنصفتهم ظلموني
وإن كان لي شيء تصدوا لأخذه وإن جئت أبغي منهم منعوني
وإن نالهم بذلي فلا شكر عندهم وإن أنا لم أبذل لهم شتموني

وان طرقني بقمه فرحوا بها   وإن صحبني بعمة حسدوني
سأمنع قلبي ان يحن إليهم   وأحجب عنهم ناظري وجفوني

كتب ابن بشير المروزي الى ابن المبارك هذه الأبيات

كلُّ العداوة قد ترجى إماتتها   إلا عداوة من عاداك من حسد
فإن في القلب منها عقدة عقدت   وليس يفتحها راق الى الأبد

قال بعضهم

ما طالب العيش في أمن وفي دعة   رغدا بلا قتر صفوا بلا رنق
خلص فؤادك من غل ومن حسد   فالغل في القلب مثل الغل في العنق

(لابن عبد ربه)

وقال آخر

إياك والحسد الذي هو آفة   فتوقه وتوق غرة من حسد
ان الحسود إذا اراك مودة   بالقول فهو لك العدو المجتهد

ولبعض الأدباء ينصح الحسود

لا تحزننك فقر إن عراك ولا   تبتغ أخا لك في مال له حسدا
فإنه في رخاء في معيشته   وانت تلقى بذاك الهم والكمدا

حفظ اللسان

١٠٩ إعلم انه ينبغي للعاقل المكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه لأنه قد يجر الكلام المباح الى

حرام او مكروه بل هذا كثير وغالب في العادة والسلامة لا تعادلها شيء قال وهب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت والعاشرة في عزلة الناس ومن كلام الحكماء من نطق في غير خير فقد لغا ومن نظر في غير اعتبار فقد سها ومن سكت في غير فكر فقد لها وقيل لو قرأت صحيفتك لاغمدت صفيحتك ولو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك وقيل الكلمة اسيرة في وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار في وثاقها يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح كيف انتن فيقلن بخير ان تركتنا (للابشيهي)

قال علي بن ابي طالب

إن القليل من الكلام بأهله حسن وإن كثيره ممقوت
ما زل ذو صمت وما من مكثر إلا يزل وما يعاب صموت
إن كان نطق ناطق من فضة فالصمت در زانه ياقوت

١١٠ قال بعض الحكماء إذا قلت فأوجز وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف وقال ايضا انت سالم ما سكت فاذا تكلمت فلك أو عليك وقال عمرو بن العاص الكلام كالدواء إن أقللت منه نفع وإن أكثرت منه صدع وقال لقمان لابنه يا بني ان من الكلام ما هو اشد من الحجر وانفذ من وخز الإبر وامر من الصبر واحر من الجمر وإن القلوب مزارع فازرع فيها طيب

الكلام . فإن لم يثب فيها كلّه ثبت بعضه وقال عليٌّ ما جعل الله جارحة في حصن أوثق من اللسان الأسنان أمامه والشفتان من وراء ذلك واللهاة مطبقة عليه والقلب من وراء ذلك . فاتق الله ولا تطلق هذا المحبوس من حبسه إلّا إذا امنت شره . وقال بعض الأدباء احبس لسانك قبل ان يطيل حبسك (السمراوى)

قال الشاعر

واحفظ لسانك واحترز من لفظه فالمرء يسلم باللسان ويعطب
وزن الكلام اذا نطقت ولا تكن ثرثارة في كل نادٍ تخطب

قال أبو بكر بن سعدون

سجن اللسان هو السلامة للفتى من كل نازلة لها استئصال
إنّ اللسان إذا حللت عقاله ألقاك في شنعاء ليس تقال

قال ابو عثمان بن لئون التجيبي

نزه لسانك عن قولٍ تعاب به وارغب بسمعك عن قيلٍ وعن قال
لا تبغ غير الذى تسلك واطرح الـ فضول تحيَ قرير العين والبال

كتمان السر

١١١ قال حكيم كما انه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها . كذلك لا خير في صدرٍ لا يكتم سره . قال آخر من كتم سره سره وأمن الناس شره ومن حكم لسانه شانه وافسد شأنه وقال بعضهم من زعم أنه تجد راحة في إفشاء سره إلى غيره فقد اتهم عقله

لِأَنَّ مَشَقَّةَ الِاستِبدَادِ بِالسِرِّ أَقَلُّ مِن مَشَقَّةِ إِفشَائِهِ بِسَبَبِ الْمُشَارَكَةِ (للشرواني)

قَالَ القَاضِي الأَسعَدُ أَبُو المَكَارِمِ المِصرِيُّ الكَاتِبُ

وَأَكتُمُ السِرَّ حَتَّى عَن إِعَادَتِهِ إِلَى المُسِرِّ بِهِ مِن غَيرِ نِسيَانِ

وَذَاكَ أَنَّ لِسَانِي لَيسَ يَعلَمُهُ سَمعِي بِسِرِّ الَّذِي قَد كَانَ نَاجَانِي

١١٢ (فِي النَّاجِ) إِنَّ بَعضَ مُلُوكِ العَجَمِ استَشَارَ وَزِيرَيهِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لَا يَنبَغِي لِلمَلِكِ أَن يَستَشِيرَ مِنَّا أَحَدًا إِلَّا خَالِيًا فَإِنَّهُ أَمَوتُ لِلسِرِّ وَأَحزَمُ لِلرَّأيِ وَأَجدَرُ بِالسَّلَامَةِ وَأَعفَى لِبَعضِنَا مِن غَائِلَةِ بَعضٍ فَإِنَّ إِفشَاءَ السِرِّ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَوثَقُ مِن إِفشَائِهِ إِلَى اثنَينِ وَإِفشَاؤُهُ إِلَى ثَلَاثَةٍ كَإِفشَائِهِ إِلَى جَمَاعَةٍ فَإِذَا كَانَ السِرُّ عِندَ وَاحِدٍ كَانَ أَحرَى أَن لَا يَظهَرَ رَغبَةً وَرَهبَةً وَإِن كَانَ عِندَ اثنَينِ دَخَلَت عَلَى المَلِكِ الشُّبهَةُ وَاتَّسَعَت عَلَى الرَّجُلَينِ المَعَارِيضُ فَإِن عَاقَبَهُمَا عَاقَبَ اثنَينِ بِذَنبِ وَاحِدٍ وَإِن اتَّهَمَهُمَا اتَّهَمَ بَرِيئًا بِجِنَايَةِ مُجرِمٍ ٠ وَإِن عَفَا عَنهُمَا كَانَ العَفوُ عَن أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنبَ لَهُ وَعَنِ الآخَرِ وَلَا حُجَّةَ مَعَهُ

العيبة

١١٣ عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِندَ بَعضِ الأَشرَافِ فَقَالَ لَهُ قَد استَدلَلتُ عَلَى كَثرَةِ عُيُوبِكَ بِمَا تُكثِرُ مِن عُيُوبِ النَّاسِ لِأَنَّ طَالِبَ العُيُوبِ إِنَّمَا يَطلُبُهَا بِقَدرِ مَا فِيهِ مِنهَا أَمَا سَمِعتَ قَولَ الشَّاعِرِ

لَا تَهتِكَنَّ مِن مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا فَيَهتِكَ اللهُ سِترًا مِن مَسَاوِيكَا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحداً منهم بما فيكا
(لابن عبد ربه)

قال ابن الحاج الدلفي

إن الكريم الذي تبقى مودته ويحفظ السر إن صافى وإن صرما
ليس الكريم الذي إن غاب صاحبه بث الذي كان من أسراره علما

وقال أيضاً

إذا ما كتمت السر عمن أوده توهم ان الود غير حقيق
ولم أخف عنه السر من ضنة به ولكنني اخشى صديق صديقي

قال بعض الحكماء لا تطع كل حلاف مهين همار مشاء بنميم الآية وحسبك بالنمام خسة ورذيلة سقوطه وضعته (والهماز المغتاب الذي يأكل لحوم الناس الطاعن فيهم) قال حكيم الا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال شراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب. وقيل ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغار ملعون كل قتات ملعون كل نمام ملعون كل منان (والشغار المحرش بين الناس يلقى بينهم العداوة. والقتات النمام والمنان الذي يعمل الخير ويمن به) قال آخر احذروا أعداء العقول ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المودات وفي المثل السائر من اطاع الواشي ضيع الصديق وقد تقطع الشجرة فتنبت

وَيقطعُ اللَّحمَ السيفُ فيندمِلُ وَاللسانُ لا يندمِلُ جُرحُهُ قال صالحُ بنُ عبدِ القُدُّوسِ

قُل لِلَّذي لَستُ أَدري مِن تَلَوُّنِهِ ... أَناصِحٌ أَم عَلى غِشٍّ يُناجيني
إِنّي لَأُكثِرُ مِمّا سُمتَني عَجَباً ... يَدٌ تَشُجُّ وَأُخرى مِنكَ تَأسوني
تَغتابُني عِندَ أَقوامٍ وَتَمدَحُني ... فِي آخَرينَ وَكُلٌّ عَنكَ يَأتيني
هَذانِ شَيئانِ قَد نافى بَينَهُما ... فَاكفُف لِسانَكَ عَن سَبّي وَتَزييني

١١٤ وقال المأمونُ النميمةُ لا تقرَبُ مودةً إلّا أفسدَتها ولا عداوةً إلّا جدّدتها ولا جماعةً إلّا بدّدتها ثُمَّ لا بُدَّ لِمن عُرِفَ بها ونُسِبَ إليها أن يُجتنبَ ويُخافَ من معرفتِهِ ولا يوثقَ بمكانِهِ وأنشدَ بعضُهم

مَن نَمَّ فِي النَّاسِ لَم تُؤمَن عَقارِبُهُ ... عَلَى الصَّديقِ وَلَم تُؤمَن أَفاعيهِ
كَالسَّيلِ بِاللَّيلِ لا يَدري بِهِ أَحَدٌ ... مِن أَينَ جاءَ وَلا مِن أَينَ يَأتيهِ
الوَيلُ لِلعَهدِ مِنهُ كَيفَ يَنقُضُهُ ... وَالوَيلُ لِلوُدِّ مِنهُ كَيفَ يَنفيهِ

(للابشيهي)

الصدق والكذب

١١٥ قالَ عليُّ بنُ عُبيدةَ الكذبُ شعارُ الخيانةِ وتحريفُ العلمِ وخواطرُ الزورِ وتسويلُ أضغاثِ النفسِ واعوجاجُ التركيبِ واختلافُ البنيةِ وعن خمولِ الذكرِ ما يكونُ صاحبُهُ قال أعرابيٌّ لابنِهِ وسمِعَهُ يكذبُ يا بُنيَّ عجبتُ من الكذّابِ المُشيدِ بكذبِهِ وإنّما يدلُّ على عيبِهِ ويتعرّضُ للعقابِ من ربِّهِ فالآثامُ له عادةٌ والأخبارُ عنهُ

مُصادَّةٌ إن قال حقًّا لم يُصَدَّق وإن أرادَ خيرًا لم يُوَفَّق فهو الجاني
على نفسه بفعاله والدالُّ على فضيحته بمقاله فما صحّ من صدقه نُسب
إلى غيره وما صحّ من كذب غيره نُسب إليه (لابن عبد ربه)

قال بعضهم

إيّاكَ من كذب الكذوبِ وإفكِهِ فلربّما مزجَ اليقينَ بشكِّهِ
ولربّما ضحكَ الكذوبُ تكلّفًا وبكى من الشيء الذي لم يُبكِهِ
ولربّما صمتَ الكذوبُ تخلّقًا وشكا من الشيء الذي لم يَشكِهِ
ولربّما كذبَ امرؤٌ بكلامِهِ وبصمتِهِ وبكائِهِ وبضحكِهِ

المزاح

١١٦ قال الحجّاجُ بنُ يوسفَ لابنِ القِرِّيّةِ ما زالتِ الحكماءُ
تكرهُ المزاحَ وتنهى عنهُ فقال المزاحُ من أدنى منزلتِهِ إلى أقصاها
عشرةُ أبوابٍ. المزاحُ أوّلُهُ فرحٌ وآخرُهُ ترحٌ. المزاحُ نقائضُ السفهاءِ
كالشعرِ نقائضُ الشعراءِ والمزاحُ يوغرُ صدرَ الصديقِ وينفرُ
الرفيقَ والمزاحُ يُبدي السرائرَ لأنّهُ يُظهرُ المعايرَ والمزاحُ يُسقطُ
المروءةَ ويُبدي الخنى لم يجرّ المزاحُ خيرًا وكثيرًا ما جرّ شرًّا
الغالبُ بالمزاحِ واترٌ والمغلوبُ بهِ ثائرٌ والمزاحُ يجلبُ الشتمَ صغيرُهُ
والحربَ كبيرُهُ وليسَ بعدَ الحربِ إلّا عفوٌ بعدَ قدرةٍ فقال الحجّاجُ
حسبُكَ الموتُ خيرٌ من عفوٍ معهُ قدرةٌ وذكرَ المزاحَ بحضرةِ خالدِ بنِ
صفوانَ فقال يَنشقُ أحدُكم أخاهُ مثلَ الخردلِ ويُفرغُ عليهِ مثلَ

المرحل . ويرميه مثل الجندل ثم يقول إنما كنت أمزح أخذ هذا
المعنى محمود بن الحسين الوراق فقال

تلقى الفتى تلقى أخاه وخدنه في لحن منطقه بما لا يغفر
ويقول كنت ممازحا وملاعبا هيهات نارك في الحشى تتسعر
أو ما علمت وكان جهلك غالبا ان المزاح هو السباب الأصغر

(للصرواني)

الصداقة وخلوص الود

١١٧ (قيل في المنهج) الصديق الصدوق ثاني النفس وثالث العينين (ومنه) الصديق الصدوق كالشقيق الشفوق (ومنه) الصديق عمدة الصديق وعدته . ونصرته وعضده ونسمه وزهرته . ومشتريه وزهرته ومنه لقاء الخليل شفاء الغليل . وليس للصديق إذا حضر عديل ولا عنه إذا غاب بديل . ومثل الصديقين كاليد تستعين باليد والعين بالعين (ومنه) لقاء الصديق روح الحياة وفراقه سم الممات (ومنه) لا تساغ مرارة الاوقات . إلا بحلاوة الإخوان الثقات فاستروح من غمة الزمان بمؤانسة الخلان (ومنه) الحاجة إلى الأخ المعين كالحاجة إلى الماء المعين ولبعضهم في معنى هذا الباب

ما ضاع من كان له صاحب يقدر أن يصلح من شانه
فإنما الدنيا بسكانها وإنما المرء بإخوانه

١١٨ قال أبو تمام

ذو الود مني وذو القربى بمنزلة | وإخوتي أسوة عندي وإخواني
عصابة جاورت آدابهم أدبي | فهم وإن فرقوا في الأرض جيراني
أرواحنا في مكان واحد وغدت | أبداننا بشآم أو خراسان

قال غيره

إن الصداقة أولاها السلام ومن | بعد السلام طعام ثم ترحيب
وبعد ذاك كلام في ملاطفة | وضحك بشر وإحسان وتقريب
وأصل ذلك أن تبقى تمائلها | بين الأحبة تأسيس وتأديب
لم ينس عنا ولم نغفل إذا حضروا | قد زان ذلك تهذيب وترتيب
إن الكرام إذا ما صادقوا صدقوا | لم تلههم عنه ترغيب وترهيب

قال إسحاق ظهير الدين الموصلي

لا تنسبوني يا ثقاتي إلى | غدر فليس الغدر من شيمتي
أقسمت بالذاهب من عيشنا | وبالمسرات التي ولت
أني على عهدهم لم أحل | وعقدة الميثاق ما حلت

١١٩ ذكر صاحب كتاب الأغاني في أخبار علويه المغني أنه دخل يوما على المأمون وهو يرقص ويصفق بيديه ويغني بهذين البيتين

عذيري من الإنسان لا إن جفوته | صفا لي ولا إن صرت طوع يديه
وإني لمشتاق إلى ظل صاحب | يروق ويصفو إن كدرت عليه

فسمع المأمون وجميع من حضر المجلس من المغنين وغيرهم ما لم يعرفوا

واستطرفهُ المأمونُ . وقال ادن يا علويّهُ وردِدها فردّدها عليه سبع مرّاتٍ فقال المأمونُ يا علويّهُ خُذِ الخلافه واعطني هذا الصاحب

(لبها الدين)

١٢٠ قال بشّارٌ

خيرُ اخوانِك المشارِكُ في المُـرِ وأين الشريكُ في المُرِ أينا
الذي إن شهدتَ سرّكَ في الحيِ وإن غبتَ كان سمعًا وعينا
أنت في معشرٍ اذا غبتَ عنهم بدّلوا كلَّ ما يزينُكَ شينا
واذا ما رأوكَ قالوا جميعًا أنت من أكرم البرايا علينا
ما أرى للأنام ودًّا صحيحًا صار كلُّ الودادِ زورًا ومينا

قال بشارُ بنُ بُردٍ

اذا كنتَ في كلِّ الأمورِ مُعاتبًا صديقكَ لم تلقَ الذي لا تُعاتبُـه
وان انتَ لم تشرب مِرارًا على القذى ظمِئتَ وايُّ الناس تصفو مشاربُه
فعِش واحدًا أو صِل أخاكَ فإنّـهُ مُقارِفُ ذنبٍ مرةً ومُجانبُـه

١٢١ كان لمحمدِ بنِ حازمٍ الباهلي صديقٌ على طولِ الأيامِ فنالَ مرتبةً من السلطانِ وعلا قدرُهُ فجفا محمدًا وتغيّرَ لهُ فقال في ذلك محمدُ بن حازمٍ

وصلُ الملوكِ إلى التعالي ووفا الملوكِ من المحالِ
مالي رأيتُكَ لا تدو مُ على المودة للرجالِ
إن كان ذا أدبٍ وظر فٍ فلِ ذاك أخو صلالِ

أو كانَ ذا نسكٍ وَدينٍ قلتَ ذاكَ منَ ٱلثِقالِ
أو كانَ في وَسَطٍ منَ الامرينِ قلتَ يُرِمُ مَالي
فَبِمثلِ ذا يكلكَ أُمُّكَ تبتغي ربَّ المَعالي

١٢٢ قالَ العتبيُّ وانشدني بعضُ أصحابنا لِحَمّادٍ

كم من اخٍ لكَ لستَ تنكرُهُ ما دمتَ من دنياكَ في يُسرِ
متصنعٌ لكَ في مودتهِ يلقاكَ بالترحيبِ والبشرِ
يُطري الوفاءَ وذا ألوفاءِ ويلحي الغدرَ مجتهداً وذا الغدرِ
فإذا عدا والدهرُ ذو غِيَرٍ دهرٌ عليكَ عدا معَ الدهرِ
فارفض بإجمالٍ مودةَ من يقلي المقلَّ ويعشقُ المثري
وعليكَ من حالاهُ واحدةٌ في العسرِ اماكنتَ والنسرِ
لا تخلطنَّهمُ بغيرهمِ من يخلطُ العقيانَ بالصُّفرِ

قالَ القاضي عبدُ الجوادِ المنوفيُّ

أتزعمُ انكَ الخِلُّ المُصدّى وانتَ مُصادقٌ اعدايَ حتماً
إلى إليَّ فاحملني صديقاً وصادقْ من أصادقُهُ حتماً
وجانبْ من أعاديهِ إذا ما أردتَ تكونَ لي خِدناً وتُبقي

قالَ اوسُ بنُ حجرٍ

وليسَ أخوكَ الدائمُ العهدِ بالذي يذمُّكَ إن ولّى ويُرضيكَ مُقبلا
لكنْ أخوكَ النائي ما دمتَ آمناً وصاحبُكَ الأدنى إذا الأمرُ أعضلا

١٢٣ قالَ العتابيُّ الإخوانُ ثلاثةُ أصنافٍ فرعٌ بائنٌ من أصلهِ

وَأَصلٌ مُتَّصِلٌ بفرعِهِ وَفرعٌ لَيسَ لَهُ أَصلٌ، فأَمَّا الفرعُ الثابتُ بِأَصلِهِ فالإخاءُ يُبنى عَلَى مودةٍ ثُمَّ انقطعَ فحُطَّ عَلَى زِمَامِ الصُّحبهِ وَأَمَّا الأَصلُ المُتَّصِلُ بفرعِهِ فالإخاءُ أَصلُهُ الكَرَمُ وَأَغصانُهُ التَّقوَى وَأَمَّا الفرعُ الذِي لَا أَصلَ لَهُ فَالمُموَّهُ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيسَ لَهُ بَاطِنٌ (لابن عبد ربه)

١٢٤ قَالَ الكَنَدِيُّ

وَخليلٍ لَم أَخُنهُ سَاعَةً فِي دَمِي كَفَّيهِ ظُلمًا قَد غَمَس
كَانَ فِي سِرِّي وَجَهرِي ثِقَتِي لَستُ عَنهُ فِي مُهِمٍّ أَحتَرِس
سَتَرَ البُغضَ بِأَلفَاظِ الهَوَى وَادَّعَى الوُدَّ بِغِشٍّ وَدَلَس
إِن رَآنِي قَالَ لِي خَيرًا وَإِن غِبتُ عَنهُ قَالَ شَرًّا وَدَحَس
ثُمَّ لَمَّا أَمكَنَتهُ فُرصَةٌ حَمَلَ السَّيفَ عَلَى مَجرَى النَّفَس
وَأَرَادَ الرُّوحَ لَكِن خَانَهُ قَدَرٌ أَنقَذَ مَن كَانَ تَعَس

وَقَالَ ابنُ أَبِي حَازِمٍ

وَصَاحِبٍ كَانَ لِي وَكُنتُ لَهُ أَشفَقَ مِن وَالِدٍ عَلَى وَلَدِ
كُنَّا كَسَاقٍ تَسعَى بِهَا قَدَمٌ أَو كَذِرَاعٍ نِيطَت إِلَى عَضُدِ
حَتَّى إِذَا دَبَّتِ الحَوَادِثُ فِي عَظمِي وَحَلَّ الزَّمَانُ مِن عُقَدِي
احوَلَّ عَنِّي وَكَانَ يَنظُرُ مِن طَرفِي وَيَرمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي

١٢٥ قَالَ بَعضُ الحُكَمَاءِ الإِخَاءُ جَوهَرَةٌ رَقِيقَةٌ وَهِيَ مَا لَم تَرقِهَا وَتَحرُسهَا مُعرَضَةٌ لِلآفَاتِ فَرُضِ الأَخَ بِالحِذَا لَهُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى قُربِهِ وَبِالكَظمِ حَتَّى يَعتَذِرَ إِلَيكَ مَن ظَلَمَكَ وَالرِّضَا حَتَّى لَا

نستكثرَ من نفسِك بالفضلِ ولا من أخيك بالتقصير (ولمحمودٍ الوراق)

لا برَّ أعظمُ من مساعدةٍ فاشكرْ أخاكَ على مُساعدتِه
وإذا هفا فاقِلْه هفوتَه حتى تعودَ أخا كعادتِه
فالصفحُ عن زللِ الصديقِ وإن أعياكَ خيرٌ من مُعاندتِه

١٢٦ قال ابنُ طاهرٍ في حُسنِ العشرةِ

أُواصِلُ من هويتُ على خلالٍ أَذُودُ بهنَّ ليّاتِ المَقالِ
وأحفظُ سرَّهُ والغيبَ منهُ وأرعى عهدَهُ في كلِّ حالِ
ووفاءٍ لا يحولُ به انتكاثٌ وودٌّ لا تخونُهُ اللّيالي
وأُوثِرُهُ على عُسرٍ ويُسرٍ وتنفذُ حُكمُهُ في بيتِ مالي
وأغفرُ سوءَ الإدلالِ منهُ إذا ما لم يكنْ غيرُ الدلالِ
وما أنا بالملولِ ولا بجافٍ ولا الغدرُ المذمَّمُ من فِعالي

قال بعضُهم يصفُ خداعَ الناسِ ونفاقَهم

وإخوانٍ تخذتُهمُ دروعاً فكانوها ولكن للأعادي
وخلتُهمُ سِهاماً صائباتٍ فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منّا قلوبٌ لقد صدقوا ولكن عن ودادي
وقالوا قد سعينا كلَّ سعيٍ لقد صدقوا ولكن في فسادي

١٢٧ وأنشدَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ

فلا تصحبْ أخا السوءِ وإيّاكَ وإيّاهُ

فكم من جاهلٍ أودى · حليماً حين آخاه
يقاس المرء بالمرء · إذا ما المرء ماشاه
وفي الناس من الناس · مقاييس وأشباه
وفي العين على العين · إذا تنطق أفواه
وللقلب على القلب · دليل حين تلقاه

كتب المعتصم صاحب المرية إلى ابن عمار

وزهدني في الناس معرفتي بهم · وطول اختباري صاحباً بعد صاحب
فلم ترني الأيام خلاً تسرني · مباديه إلا ساءني في العواقب
ولا كنت أرجوه لدفع ملمة · من الدهر إلا كان إحدى المصائب

المطل في الوعد

١٢٨ قال عبد الرحمن ابن أم الحكم لعبد الملك بن مروان في مواعد وعدها إياه فمطله بها نحن إلى الفعل أحوج منا إلى القول وأنت بالإنجاز أولى منك من المطل واعلم أنك لا تستحق الشكر إلا بإنجازك الوعد واستتمامك المعروف قال أبو مسلم الخولاني إن أوقع المعروف في القلوب وأبرده على الأكباد معروف منتظر بوعد لا يكدره المطل كتب العتابي إلى بعض أهل السلطان أما بعد فإن سحاب وعدك قد أبرق فليكن وبلها سالماً من علل المطل والسلام (لابن عبد ربه)

في التواضع والكبر

١٢٩ إعلم ان الكبر والإعجاب يسلبان الفضايل ويكسبان الرذايل. وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصح وقبول التأديب وتسلب الرئاسة والسيادة والكبر يكسب المقت ويمنع من التألف ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه ونظر افلاطون إلى رجل جاهل معجب بنفسه فقال وددت اني مثلك في ظنك وأن اعداني مثلك في الحقيقة ورأى رجل رجلا يختال في مشيه فقال جعلني الله مثلك في نفسك ولا جعلني مثلك في نفسي (للابشيهي)

قال بعضهم

قل للذي تاه في دنياه مفتخرا ضاع افتخارك بين الماء والطين
إذا تفقدت في الاحداث مفتكرا هناك تنظر بين السلاطين

وأحسن من هذا القول قول القائل

يا صاح لا تك بالعلياء مفتخرا إن كنت لم تول نفعا قط بل ضررا
اني ارى شجر الصفصاف مرتفعا إلى العلو ولكن لا ارى ثمرا

قال آخر

اصنع للناس إن رمت العلا واكظم الغيظ ولا تبدي الضجر
واجعل المعروف ذخرا إنه للفتى افضل شيء يدخر
إحمل الناس على اخلاقهم فبه تملك اعناق البشر

الباب الثامن
في الذكاء والأدب

في العقل وماهيته

١٣ قال سهل التستري العقل أن تستغني به عن كل شيء دونه جل جلاله اما ذاته فقال بعضهم العقل ذاته جوهر مضي ونور مجرد وليس بعرض خلقه الله وجعل نوره في القلب يدرك به المعقولات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة وهو مال إلى الدنيا والآخرة والى العلوم الشرعية والعقلية آلة للمؤمن يعمل به والعقل ذاته شيء واحد وله وجهان احدهما العقل المشترك بين المؤمن والكافر وثمرته فعل المعاش والوجه الثاني العقل الخاص بالمؤمن وهو المعرفة بفعل الهداية فمن رزقه الله الهداية فهو المؤمن العاقل (الكنز المدفون)

ما أحسن ما قال بعضهم

إني لآمن من عدو عاقل وأخاف خلا يعتريه جنون
والعقل فن واحد وطريقه ادري وأرصد والجنون فنون

في شرف العقل

١٣١ ألعقل أحسن حلية والعلم أفضل قنية لا شرف كالحلم ولا عدل كالصدق الجهل مطية سوء من ركبها زل ومن صحبها

ضلّ من الجهل صحبة الجهّال ومن الذل عشرة ذوى الضلال. خير المواهب العقل وشر المصائب الجهل من صاحب العلماء وقر. ومن عاشر السفهاء حقر من لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره وقيل اصل العلم الرغبة وثمرته العبادة واصل الزهد الرهبة وثمرته السعادة واصل المروءة الحياء وثمرتها العفة. العقل أقوى اساس والتقوى افضل لباس. الجاهل يطلب المال. والعاقل يطلب الكمال لم يدرك العلم من لا يطيل درسه ولا يكدّ نفسه كم من ذليل اعزه عقله وعزيز أذله جهله (للسمراوى)

١٣٢ حكى الكسائى انه دخل على الرشيد يوماً فأمر باحضار الأمين والمأمون لديه وقال فلم ألبث الا أن أقبلا ككوكبي أفق يزينهما هداهما ووقارهما وقد غضا أبصارهما وقاربا خطوهما حتى وقفا في مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعوا له باحسن الدعاء. فاستدناهما وأسند محمداً عن يمينه وعبد الله عن يساره. ثم امرني أن ألقي عليهما ابواباً من النحو فما سألتهما شيئاً إلا احسنا الجواب عنه فسره ذلك سروراً عظيماً وقال كيف تراهما فقلت

أرى قمرى أفق وفرعى بشامة يزينهما عرق كريم ومحتد
سليلى أمير المؤمنين وحائزى مواريث ما ابقى النبى المؤيد
يسدّان أنفاق النفاق بشيمة يزينهما حزم وعضب مهند

ثم قلت ما رأيت أعز الله امير المؤمنين أحداً من ابناء الخلافة

وأغصان هذه الشجرة الزلالية أدب منهما ألسنا ولا أحسن أقاطلاً ولا أشد اقتدارًا منهما على تأدية ما حفظا ورويا أسأل الله تعالى أن يزيد بهما الحق تأييدًا وعزًا ويدخل بهما إلى أهل الضلال ذلا وقمعا تأمن الرشد على دعاوي ثم ضمهما إليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج (كتاب الدراري للحلبي)

قال علي بن أبي طالب

أَلنَّاسُ مِن جِهَةِ التِّمثَالِ أَكفَاءُ أَبُوهُمُ آدَمُ وَالأُمُّ حَوَّاءُ
فَإِن يَكُن لَهُم فِي أَصلِهِم شَرَفٌ يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطِّينُ وَالمَاءُ
مَا الفَخرُ إِلَّا لِأَهلِ العِلمِ إِنَّهُمُ عَلَى الهُدَى لِمَنِ استَهدَى أَدِلَّاءُ
وَقَدرُ كُلِّ امرِئٍ مَا كَانَ يُحسِنُهُ وَالجَاهِلُونَ لِأَهلِ العِلمِ أَعدَاءُ
وَإِن أَتَيتَ بِجُودٍ فِي ذَوِي نَسَبٍ فَإِنَّ نِسبَتَنَا جُودٌ وَعَليَاءُ
فَفُز بِعِلمٍ تَعِش حَيًّا بِهِ أَبَدًا أَلنَّاسُ مَوتَى وَأَهلُ العِلمِ أَحيَاءُ

١٣٣ إعلم أن العلم شرف للإنسان وفخر له في جميع الأزمان وهو العز الذي لا يبلى جديده والكنز الذي لا تفنى مزيده وقدره عظيم وفضله جسيم ولقد أحسن من قال

مَا أَحسَنَ العِلمَ وَالمَحمُودُ مَن عَقَلَا وَأَقبَحَ الجَهلَ وَالمَذمُومُ مَن جَهِلَا
فَلَيسَ تُصلِحُ نُطقَ المَرءِ فِي جَدَلٍ وَالجَهلُ يُفسِدُهُ يَومًا إِذَا سُئِلَا

١٣٤ ثم اعلم أن الدنيا ربما أقبلت على الجاهل بالاتفاق وأدبرت

عن العالم بالاستحقاق فإن أتاك منها قليلة مع جهل أو فاتك منها كثير مع عقل فلا تحملنك ذلك على الرغبة في الجهل . فدولة الجاهل من المكاسب ودولة العاقل من الواجبات وليس من أمكنه شيء في ذاته كمن استوجبه بآدابه وآلاته وأيضاً فدولة الجاهل كالغريب الذي يحن إلى النقلة ودولة العاقل كالنسيب المتمكن الوصلة

لا بأس اذا ما كنت ذا ادب على خمولك أن ترقى إلى الفلك
فبينما الذهب الإبريز مختلط بالترب إذ صار إكليلاً على الملك

١٣٥ وقال حكيم ينبغي للمرء أن لا يفرح بمرتبة رفيعة نالها بغير عقل ولا بمنزلة رفيعة حلها بغير فضل فلا بد ان يزيله الجهل عنها ويسلبه منها فيحط الى رتبته ويرجع إلى قيمته . بعد ان تظهر عيوبه ويكثر ذنوبه . ويصير مادحه هاجيا . وصديقه معاديا

لا تقعدن عن اكتساب فضيلة ابدا وإن أدت إلى الإعدام
جهل الفتى عار عليه لذاته وخموله عار على الايام

(للشبراوي)

١٣٦ سئل الأحنف بن قيس عن العقل فقال رأس الأشياء ونظامها وبه تمامها لانه سراج ما بطن وملاك ما علن . وسائس الجسد وزينة كل احد لا تستقيم الحياة إلا به ولا تدور الأمور إلا عليه

(للقيرواني)

قال الحصراوى

وَأفضلُ قسم اللهِ للمرءِ عقلُهُ فليس من الخيرات شيءٌ يُقاربُه
يَزينُ الفتى في الناسِ صحةُ عقلِهِ وإن كان محظورًا عليهِ مكاسبُه
وَشينُ الفتى في الناسِ قلةُ عقلِهِ وإن كرمت أعراقُهُ ومناسبُه
إذا أكمل الرحمنُ للمرءِ عقلَهُ فقد كملت أخلاقُهُ ومآربُه

وقال آخر

ألعقلُ حلةُ فخرٍ من تسربلها كانت له نسبًا تغني عن النسبِ
والعقلُ أفضلُ ما في الناسِ كلِّهم بالعقلِ ينجو الفتى من حومةِ الطلبِ

١٣٧ قيلَ ان العميانَ اذكى من غيرِهِم وقيلَ لقتادةَ ما بالُ العميانِ تجدُهُم أذكى من البُصراء فقال لأنَّ القوةَ الناظرةَ منهم انقلبت إلى باطنِهِم

قال ابنُ عباسٍ لما كُفَّ بصرُهُ

ان يأخذِ اللهُ من عينيَّ نورَهما ففي لساني وقلبي منهما نورُ
قلبي ذكيٌّ وعقلي غيرُ ذي دخلٍ وفي فمي صارمٌ كالسيفِ مشهورُ

(لابن عبد ربه)

في العلم وشرفه

١٣٨ قالَ بعضُ الحكماءِ ألعلمُ خليلٌ والحلمُ وزيرُهُ والعقلُ دليلُهُ والعملُ قائدُهُ والرفقُ والدُهُ والبرُّ أخوهُ والصبرُ أميرُ جنودِهِ

وقالَ بعضُ الحكماءِ لمثقالُ ذرةٍ من العلمِ أفضلُ من جهادِ الجاهلِ

المقام . وقال الإمام الشافعي ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم فهو نور يهدي به الحائر (لأبي نصر المقدسي)

قال بعض الأدباء

والعلم أشرف شيء قاله رجل من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا

تعلم العلم واعمل يا أخي به فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا

وفي معناه أنشدوا

بالعلم تحيا نفوس قط ما عرفت من قبل ما الفرق بين الصدق والمين

العلم للنفس نور يستدل به على الحقائق مثل النور للعين

١٣٩ وقال الزبير بن أبي بكر كتب إلي أبي من العراق يا بني عليك بالعلم فإنك إن افتقرت إليه كان مالا وإن استغنيت به كان جمالا وأنشد في معناه

العلم مبلغ قوم ذروة الشرف وصاحب العلم محفوظ من التلف

يا صاحب العلم مهلا لا تدنسه بالموبقات فما للعلم من خلف

العلم يرفع بيتا لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

١٤٠ وقال بعض الفضلاء ينبغي لكل عاقل أن يبالغ في تعظيم العلماء ما أمكن ولا يبعدهم من الأحيان . وقد أجاد الحريري بقوله

ومن الجهالة أن تعظم جاهلا لصقال ملبسه ورونق نقشه

واعلم بأن التبر في بطن الثرى خاف إلى أن يستبين بنبشه

وفضيلة الدينار يظهر سرها من حكه لا من ملاحة نقشه

وقيلَ في معنى ذلكَ

قاتَ العلمَ قومٌ لا عقولَ لهم ... وما عليهِ إذا فاتوهُ من ضررَ
ما ضرَّ شمسَ الضحى والشمسُ طالعةٌ ... أن لا يرى ضوءها من ليسَ ذا بصر

١٤١ وقالَ عليٌّ العلمُ خيرٌ من المالِ. العلمُ يحرسُكَ وأنتَ تحرسُ المالَ والعلمُ حاكمٌ والمالُ محكومٌ عليهِ والعلمُ يزيدُ بالإنفاقِ والمالُ ينقصُ بالنفقةِ وعن ابنِ عباسٍ أنهُ قال خُيّرَ سليمانُ بنُ داودَ بين العلمِ والملكِ والمالِ فاختارَ العلمَ فأُعطيَ الملكَ والمالَ معهُ وقالَ الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ ليسَ العلمُ بكثرةِ الروايةِ إنما العلمُ نورٌ يجعلهُ في قلبِ من يشاءُ وما أحسنَ ما قيلَ

(مع) فيهِ جلاءٌ للقلوبِ من العمى ... وعونٌ على الدينِ الذي أمرهُ عمم
فخالطْ رواةَ العلمِ واصحبْ خيارهم ... فصحبتهم زينٌ وخلطتهم غنم
ولا تعدونْ عيناكَ عنهم فإنهم ... نجومُ هدى إن غابَ نجمٌ بدا نجم
فواللهِ لولا العلمُ ما اتضحَ الهدى ... ولا لاحَ من غيبِ الأمورِ لنا رسمُ

١٤٢ وعن ابنِ المباركِ أنهُ قالَ لا يزالُ المرءُ عالماً ما طلبَ العلمَ فإذا ظنَّ أنهُ قد علمَ فقد جهلَ وعن عثمانَ بنِ أبي شيبةَ قالَ تميمٌ وكنا نقولُ لا يكونُ الرجلُ عالماً حتى يسمعَ ممن هو أسنُّ منهُ وممن هو مثلهُ وممن هو دونهُ وعن ابنِ مسعودٍ أنهُ قالَ منهومانِ لا يشبعانِ طالبُ العلمِ وطالبُ الدنيا وهما لا يستويانِ أما طالبُ العلمِ فيزدادُ رضا الرحمنِ وأما طالبُ الدنيا فيزدادُ في الطغيانِ

وقال بعضهم

لو كان نور العلم يدرك بالمنى ما كان يبقى في البرية جاهل
اجهد ولا تكسل ولا تك غافلا فندامة العقبى لمن يتكاسل

قال غيره

مفتاح رزقك تقوى الله فاتقه وليس مفتاحه حرصا ولا طمعا
والعلم أجمل ثوب أنت لابسه فاحرص له عملا بالدين والورعا

قال غيره

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسادهم دون القبور قبور
وإن امرأ لم يحي بالعلم قلبه فليس له حتى النشور نشور

وقال أيضا

لكل مجد في الورى نفع فاضل وليس يفيد العلم من دون عامل
تساوى بعض الناس بعضا بجهدهم وما كل كر بالهوى كر باسل
إذا لم تكن نفع لذي العلم والحجى فما هو من الناس إلا كجاهل
كذلك إذا لم ينفع المرء غيره يعد كشوك من زهر الخمائل

وقال أيضا

المال يفنى مع الأنام إن قلبت لكن ذا يصحب الإنسان للترب
إغنم حياة ثمرة تحظ بنيل منى وسل بالقدر فوق السبعة الشهب

١٤٣ قال الهادي مغريا على تأثير العلم

يا ساعيا وطلاب المال همته إني أراك ضعيف العقل والدين

عليكَ بالعلمِ لا تطلب لهُ بدلًا ... واعلم بأنك فيهِ غيرُ مغبونِ
ألعلمُ يُجدي ويبقى للفتى أبدًا ... والمالُ يفنى وإن أجدى إلى حينِ
هذاكَ عزٌّ وذا ذلٌّ لصاحبهِ ... ما زالَ بالبعدِ بين العزِ والهونِ

قال أبو بكر بن دُرَيد

لا تحقرنَّ عالمًا وإن خلقت ... أثوابهُ في عيونِ رامقهِ
وانظر إليهِ بعينِ ذي خطرٍ ... مهذبِ الرأيِ في طرائقهِ
فالمسكُ مهما تراهُ ممتهنًا ... بفهرِ عطارهِ وساحقهِ
حتَّى تراهُ بعارضَي ملكٍ ... وموضعِ التاجِ من مفارقهِ

قال أبو الأسود الدؤلي

ألعلمُ زينٌ وتشريفٌ لصاحبهِ ... فاطلب هديتَ فنونَ العلمِ والأدبا
كم سيدٍ بطلٍ آباؤهُ نجبٌ ... كانوا الرؤوسَ فأمسى بعدهم ذنبا
ومقرفٍ خاملِ الآباء ذي أدبٍ ... نالَ المعاليَ بالآدابِ والرتبا
ألعلمُ كنزٌ وذخرٌ لا فناءَ لهُ ... نعمَ القرينُ اذا ما صاحبٌ صحبا
قد يجمعُ المالَ شخصٌ ثمَّ يحرمهُ ... عما قليلٍ فيلقى الذلَّ والحربا
وجامعُ العلمِ مغبوطٌ بهِ أبدًا ... ولا يحاذرُ منهُ الفوتَ والسلبا
يا جامعَ العلمِ نعمَ الذخرُ تجمعهُ ... لا تعدلنَّ به دُرًّا ولا ذهبا

١٤٤ قال غيرهُ

بالعلمِ والعقلِ لا بالمالِ والذهبِ ... يزدادُ رفعُ الفتى قدرًا بلا طلبِ
فالعلمُ طوقُ النهى يزهو بهِ شرفًا ... والجهلُ قيدٌ لهُ يبليهِ بالتعبِ

كم يرفع العلم أشخاصاً إلى رتب ... ويخفض الجهل أشرافاً بلا أدب
العلم كنز فلا تفنى ذخائره ... والمرء ما زاد علماً زاد بالرتب
فالعلم فاطلب لكي تحيي به جوهره ... كالقوت للجسم لا تطلب غنى الذهب

قال آخر

ما حوى العلم جميعاً أحد ... لا ولو مارسه ألف سنه
إنما العلم بعيد غوره ... فخذوا من كل شيء أحسنه

قال بعضهم

تعلم ما استطعت بحسب تسعى ... فإن العلم زين للرجال
لأن العلم في الدنيا جمال ... وفي العقبى ينال به المعالي

قال آخر

العلم زين فكن للعلم مكتسباً ... وكن له طالباً ما عشت مقتبسا
اركن إليه وثق بالله واغن به ... وكن حليماً رزين العقل محترسا
وكن فتى ماسكاً محض التقى ورعاً ... للدين مغتنماً في العلم منغمسا
فمن تخلق بالآداب ظل بها ... رئيس قوم إذا ما فارق الرؤسا

وصف الكتاب

١٤٥ الكتاب نعم الأنيس في ساعة الوحدة ونعم المعرفة في دار الغربة ونعم القرين والدخيل ونعم الزائر والنزيل وعاء ملىء علماً وظرفاً وإناء ملىء مزحاً وجداً وحبذا لسان يحمل في حرج وروض تقلب في حجر هل سمعت بشجرة تؤتي أكلها كل حين

بأوانٍ مختلفة وطعوم متباينة هل سمعت بشجرة لا تدوى وزهر لا يوى وثمر لا يفنى ومن لك بجليس يفيد الشيء وخلافه والجنس وضده ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء إن غضبت لم يغضب وإن عربدت لم يصخب أكتم من الأرض ، وأنم من الريح وأهوى من الهوى وأخدع من المنى وأمنع من الضحى . وأنطق من سحبان وائل وأعيا من باقل هل سمعت بعلم تحلى بخلال كثيرة وجمع أوصافا عديدة عربي فارسي يوناني هندي سندي رومي إن وعظ أسمع وإن ألهى أمتع وإن أبكى ادمع وإن ضرب أوجع يفيدك ولا تستفيد منك ويزيدك ولا تستزيد منك إن وجد فعبرة وإن مزح فنزهة قبر الاسرار ومخزن الودائع قيد العلوم وينبوع الحكم ومعدن المكارم ومونس لا ينام يفيدك علم الاولين ويخبرك عن كثير من أخبار المتأخرين هل سمعت في الاولين أو بلغك أن أحدا من السالفين جمع هذه الاوصاف مع قلة مؤونته وخفة محمله لا يرزؤك شيئا من دنياك . نعم المدخر والعدة والمستعمل والحرفة جليس لا يطريك ورفيق لا يملك يطيعك في الليل طاعته في النهار ويطيعك في السفر طاعته في الحضر إن أطلت النظر إليه أطال إمتاعك . وشحذ طباعك . وبسط لسانك وجود بنانك وفخم ألفاظك ان ألفته خلد على الأنام ذكرك وإن درسته رفع في الخلق قدرك وإن نعته نوه عندهم باسمك يقعد العبد في مقاعد السادات ويجلس السوقة في مجالس

الملوك فأكرم به من صاحب وأعزز به من موافق (الكبر المدفون)

١٤٦ أرسل بعض الخلفاء في طلب بعض العلماء ليسامره . فلما جاء الخادم إليه وجده جالسا وحواليه كتب وهو يطالع فيها . فقال له إن أمير المؤمنين يستدعيك فقال قل عندي قوم من الحكماء أحادثهم وإذا فرغت منهم حضرت فلما عاد الخادم إلى الخليفة وأخبره بذلك قال له ويحك من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عنده قال والله يا أمير المؤمنين ما كان عنده أحد قال فأحضره الساعة كيف كان فلما حضر ذلك العالم قال له الخليفة من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك قال يا أمير المؤمنين

لنا جلساء ما نمل حديثهم ألباء مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ورأيا وتأديبا ومجدا وسؤددا
فإن قلت أموات فلم تعد أمرهم وإن قلت أحياء فلست مفندا

فعلم الخليفة أنه يشير بذلك إلى الكتب ولم ينكر عليه تأخره

١٤٧ طلب المكتفي من وزيره كتبا يلهو بها ويقطع مطالعتها زمانه فتقدم الوزير إلى النواب بتحصيل ذلك وعرضه عليه قبل حمله إلى الخليفة فحصلوا شيئا من كتب التاريخ فيها شيء مما جرى في الأيام السالفة من وقائع الملوك وأخبار الوزراء ومعرفة التحيل في استخراج الأموال فلما رآه الوزير قال لنوابه إنكم أشد الناس عداوة لي أنا قلت لكم حصلوا له كتبا يلهو بها ويشتغل بها

عني وعن عمري فقد حصلتم له ما تعرفه مصارع الوزراء وتوحده الطريق إلى استخراج المال وتعرفه خراب البلاد من عمارتها زدوها وحصلوا له كتبا فيها حكايات تلهيه وأشعار تطربه (للبحري)

قال ابن دوست في الحفظ والاستظهار

عليك بالحفظ دون الجمع في الكتب فإن للكتب آفات تفرقها
الماء يغرقها والنار تحرقها والفار تخرقها واللص تسرقها

في البيان والبلاغة والفصاحة

١٤٨ قال ابن المعتز البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول وأما حده فقد قال الجاحظ البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى وقال اليوناني البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة. وقال الهندي البلاغة تصحيح الأقسام واختيار الكلام وقال الكندي يجب للبليغ أن يكون قليل اللفظ كثير المعاني وقيل إن معاوية سأل عمرو بن العاص من أبلغ الناس. قال أقلهم لفظا وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة وقال أبو عبد الله وزير المهدي البلاغة ما فهمه العامة ورضيت به الخاصة وقال البحتري خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل وقالوا البلاغة ميدان لا يقطع إلا بسوابق الأذهان ولا يسلك إلا ببصائر البيان قال الشاعر

لك البلاغة ميدان نشأت به وكلنا بقصور عنك نعترف

تهدى لى الغدر في نظم بعثت به من عنده الدر لا تهدى له الصدف

١٤٩ وقال الثعالبي البليغ ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا وقال الإمام فخر الدين الرازي في حد البلاغة إنها بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المخل والتطويل الممل. وأما الفصاحة فقد قال الإمام فخر الدين الرازي عنها اعلم أن الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وأصلها من قولهم أفصح اللبن إذا أخذت عنه الرغوة وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما ويزعم بعضهم أن البلاغة في المعاني والفصاحة في الألفاظ ويستدل بقولهم معنى بليغ ولفظ فصيح وقال يحيى بن خالد ما رأيت رجلا قط إلا هبته حتى يتكلم فإن كان فصيحا عظم في صدري وإن قصر سقط من عيني (للابشيهي)

في الشعر

١٥ كان يقال الشعر ديوان العرب ومعدن حكمتها وكنز أدبها ويقال الشعر لسان الزمان. والشعراء للكلام أمراء وقال بعض السلف الشعر جزل من كلام العرب تقام به المجالس وتستنجح به الحوائج وتشفى به السخائم ويقال المدح مهر الكرام وإعطاء الشعراء من بر الوالدين وقال بعضهم أبعد الشعراء فإن كلامهم يبقى وعطاءهم لا يبقى وهم الحاكمون على الحكام وقال

آخر الشعر الجيد هو السحر الحلال والعذب الزلال. إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا وكان يقال النثر يتطاير تطاير الشرر والشعر يبقى بقاء النقش في الحجر وقيل لحمزة بن بيض من أشعر الناس قال من إذا قال أسرع وإذا وصف أبدع وإذا مدح رفع. وإذا هجا وضع وقال دعبل في كتابه الموضوع في مدح الشعراء إنه لا يكذب أحد إلا احتراه الناس فقالوا كذاب. إلا الشاعر فإن يكذب يستحسن كذبه ويحتمل ذلك له ولا يكون ذلك عيبا عليه ثم لا يلبث أن يقال أحسنت (وفيه) أن الرجل الملك أو السوقة إذا صير ابنه في الكتاب أمر معلمه أن يعلمه الشعر لأنه يوصل به المجالس ويضرب فيه الأمثال ويعرف به محاسن الأخلاق ومساويها فتذم وتحمد وتهجى وتمدح وأي شرف أبقى من شرف يبقى بالشعر (وفيه) أن امرأ القيس كان من أبناء الملوك وكان من أهل بيته وبني أبيه أكثر من ثلاثين ملكا فبادوا وباد ذكرهم وبقي ذكره إلى القيامة وإنما أمسك ذكره شعره وقال أحسن ما مدح به الشعر قول أبي تمام حيث يقول

ولولا خلال سنها الشعر ما درى   بناة المعالي كيف تبنى المكارم

وأحسن منه

أرى الشعر يحيي الجود والبأس بالذي   تبقيه أرواح له عطرات

وما المجد لولا الشعر إلا معاهد   وما الناس إلا أعظم نخرات

١٥١ (فصل لأبي بكر الخوارزمي جامع لمدح الشعراء) ما ظنك بقوم الاقتصار محمود الا منهم والكذب مذموم ومردود إلا فيهم . إذا ذموا ثلموا وإذا مدحوا سلبوا . وإذا رضوا رفعوا الوضيع وإذا غضبوا وضعوا الرفيع وإذا أقروا على انفسهم بالكبائر . لم يلزم حد ولم تمد اليهم بالعقوبة يد . غنيهم لا يصادر وفقيرهم لا يستحقر وشيخهم توقر وشابهم لا تستصغر . سهامهم تنفذ في الأعراض وشهادتهم مقبولة وإن لم ينطق بها سجل ولم تشهد بها عدل بل ما ظنك بقوم هم صيارفة أخلاق الرجال وسماسرة النقص والكمال بل ما ظنك بقوم اقتهم ناطق بالفضل وانما صناعتهم مشتق من العدل بل ما ظنك بقوم هم أمراء الكلام . يقصرون طويله ويطولون قصيره ويقصرون حدوده ويخففون ثقيله ولم لا اقول ما ظنك بقوم يتبعهم الغاوون وفي كل واد يهيمون (لابي نصر المقدسي)

في الأدب

١٥٢ قال العلاء بن أيوب كان يقال مثل الأدب ذي القريحة مثل دائرة تدار من خارجها فهي في كل دارة تدار تتسع وتزداد عظما ومثل الأدب غير ذي القريحة مثل دائرة تدار من داخلها فهي عن قليل تبلغ إلى باطنها اوصى بعض الحكماء بنيه فقال لهم الأدب أكرم الجواهر طبيعة وأنفسها قيمة يرفع الأحساب الوضيعة

ونَمِدُ الرَّغائِبَ الجَليلَةَ وَنَبِي مِن عِزِ عَشيرَتِهِ ونكبرُ الا بِصارَ مِن عِزِ رَزِيَّةٍ فالبسوه حُلَّةً وَتَزَيَّنُوا بِهِ حِلْيَةً تُؤانِسُكُم فِي الوحشَةِ وَتجمع القُلُوبَ المُختلفَةَ وَأَنشَدَ الأَصمَعِيُّ

إن كانَ للعقلِ مولُودٌ فلستُ أرَى ذَا العقلِ مُستَوحِشاً مِن حادِثِ الأَدبِ
إني رَأَيتُهما كالماءِ مُختلطاً بالتربِ تظهرُ عنهُ زهرةُ العُشبِ

١٥٣ وَقالَ بزرجمهر ما ورثَ الآباءُ الأبناءَ خيراً مِنَ الأدَبِ لِأنَّهم بِهِ يكسبونَ المالَ وَبالجَهلِ يتلفونهُ وَقالَ حسنُ الخلقِ خيرُ قرينٍ والأدبُ خيرُ ميراثٍ والتقوى خيرُ زادٍ وَقالَ أيضاً ليتَ شعري اي شيءٍ ادركَ من فاتهُ الادبُ وأي شيءٍ فاتَ مَن أدركَ الادبَ وقالَ ابنُ عائشةَ القرشي اهلُ الأدبِ هُمُ الأكثرونَ وَإن قلّوا وَمَحلُّ الأنسِ اين حلّوا وقالَ خالدُ بن صفوانَ لا بنِهِ يا بُنيَ الادَبُ بهاءُ الملوكِ وَرياشُ السوقةِ وَالناسُ بينَ هاتينِ فتعلّمهُ تجدهُ حسبُ تحبُّ وَقالَ بعضُ الظاهريةِ لو علمَ الجاهلونَ ما الأدَبُ لأنصتُوا أنهُ الطربُ وقالَ حكيمٌ لِا بنِهِ يا بُنيَ عِزُ السلطانِ يومٌ لكَ وَيومٌ عليكَ وَعِزُ المالِ وَشيكٌ ذهابهُ جديرٌ انقطاعهُ وَانفلاتهُ وَعِزُ الحَسَبِ إلَى خمولٍ وَدثورٍ وَذبولٍ وَعِزُ الادبِ راتبٌ واصبٌ لا يزولُ بزوالِ المالِ وَلا يتحولُ بتحولِ السلطانِ وَيقالُ من قعدَ بِهِ حسبهُ نهضَ بِهِ ادبهُ وَقالَ ابنُ المعتزِ حاسةُ الادبِ لا تخفى وَحرمتهُ لا تخفى وَالأدبُ صورةُ العقلِ فحسّن عقلكَ كيفَ

شئت قال بزرجمهر من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان قبل وضيعا وبعد صيته وإن كان خاملا وساد وإن كان غريبا وكثرت الحاجة إليه وإن كان فقيرا وقالوا الأدب أدبان أدب الغريزة وهو الأصل وأدب الرواية وهو الفرع . ولا يتفرع الشيء إلا عن أصله ولا ينمو الأصل إلا باتصال المادة (للشربيني)

١٥٤ وقال حبيب فأحسن

وما السيف إلا زبرة لو تركته على الخلقة الأولى لما كان يقطع

وقال آخر

ما وهب الله لامرئ هبة أفضل من عقله ومن أدبه
هما كمال الفتى فإن فقدا ففقده للحياة أحسن به

وقيل إذا كان الرجل طاهر الأدب طاهر النسب تأدب بأدبه وصلح بصلاحه أهله وولده وقال الشاعر

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ويعديهم عند الفساد إذا فسد
يعظم في الدنيا لأجل صلاحه ويحفظ بعد الموت في الأهل والولد

قال عنترة

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما تجلى يومه لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرميم وإنما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

١٥٥ الأدب مال واستعماله كمال بالعقل يصلح كل أمر ، وبالحلم يقطع كل شر (للشبراوي)

قَالَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ

حَرِّض بَنِيكَ عَلَى الآدَابِ فِي الصِغَرِ   كَيْمَا تَقَرّ بِهِم عَينَاكَ فِي الكِبَرِ
وَإِنَّمَا مَثَلُ الآدَابِ تَجمَعُهَا   فِي عُنفُوَانِ الصِبَا كَالنَقشِ فِي الحَجَرِ
هِيَ الكُنُوزُ التِي تَنمُو ذَخَائِرُهَا   وَلَا يُخَافُ عَلَيهَا حَادِثُ الغِيَرِ
انَّ الأَدِيبَ اذا زَلَّت بِهِ قَدَمٌ   يَهوِي عَلَى فُرُشِ الدِيبَاجِ وَالسُرُرِ

قالَ غَيرُهُ

مَن لَم يُرِدِ التَأدِيبَ فِي صِغَرِ الصِبَا   سَمِعَ المَلَامُ عَلَيهِ فِي وَقتِ الكِبَر

الآداب الظاهرة

١٥٦ (الآدَابُ فِي الأَكلِ) قالَ بَعضُهُم إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُم فَليَذكُرِ اسمَ الله في أوَّلِ أَكلِهِ وَآخِرِه وَعَلَى مَن يَأكُلُ أَن يَلحَق بالآدابِ الرُّسُومِ المُستَحسَنَة مِنها ان يأكل بِيَمِينِهِ ويَشرَبَ بِيَمِينِهِ وَالَّا يأكل ويَشرَبَ قائما وَاوصَى رَجُلٌ من خَدَمِ المُلُوكِ ابنهُ فَقَال اذَا اكلت ضُمَّ شَفَتَيكَ وَلَا تَلتَفِتَنَّ يَمِينًا وَلَا يَسارًا وَلَا تَلقَمَنَّ بسِكِّين وَلَا تَجلِس فَوقَ مَن هُو أَشرَفُ مِنكَ وارفع مَنزِلًا وَلَا تَبصُق فِي الاماكِنِ النظيفة ومِن حُسنِ الآدَابِ أَن تَعرِضَ عَنِ البطنة قال بعضهم مَن قَلَّ طَعَامُهُ صَحَّ جِسمُهُ وَصَفَا قَلبُهُ مَن كَثُرَ طَعامُهُ سَقِمَ جِسمُهُ وَقَسَا قَلبُهُ قَالَ آخَرُ لَا تُمِيتُوا القُلُوبَ بكَثرةِ الطَّعامِ والشَّرَابِ فإنَّ القلبَ كالزَّرعِ اذا كَثُرَ عَلَيهِ الماءُ مات قال ابنُ المُقَفَّع كانَ مُلُوكُ الاعاجم اذَا رأوا الرَّجُلَ نَهِمًا شَرِهًا

أخرجوه من طبقة الجد إلى باب الهزل ومن باب التعظيم إلى باب الاحتقار (للابشيهي)

١٥٧ (وأما أدب المضيف) فهو أن يخدم أضيافه ويظهر لهم الغنى وبسط الوجه فقد قيل البشاشة في الوجه خير من القرى . قالوا فكيف بمن يأتي بها وهو ضاحك وقد ضمن الشيخ شمس الدين البديوي هذا الكلام بآداب فقال

إذا المرء وافى منزلا منك قاصدا قراك وأرمته لديك المسالك
فكن باسما في وجهه متهللا وقل مرحبا أهلا ويوم مبارك
وقدم له ما تستطيع من القرى عجولا ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل بيت سالف متقدم تداوله زيد وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك

قال العرب تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة وإطالة الحديث عند المؤاكلة ولله در من قال

الله يعلم أنه ما سرني شيء كطارقة الضيوف النزل
ما زلت بالترحيب حتى خلتني ضيفا له والضيف رب المنزل

وما أحسن ما قال سيف الدولة بن حمدان

منزلنا رحب لمن زاره نحن سواء فيه والطارق
وكل ما فيه حلال له إلا الذي حرمه الخالق

قال عاصم بن وائل .

وَإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ قَبْلَ نُزُولِهِ وَنُشْبِعُهُ بِالْبِشْرِ مِنْ وَجْهٍ ضَاحِكِ

١٥٨ وَمِنْ آدَابِ الْمُضِيفِ أَنْ يُحَدِّثَ أَضْيَافَهُ بِمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ نُفُوسُهُمْ وَلَا يَنَامَ قَبْلَهُمْ وَلَا يَشْكُو الزَّمَانَ بِحُضُورِهِمْ وَيَبَشَّ عِنْدَ قُدُومِهِمْ وَيَتَأَلَّمَ عِنْدَ وَدَاعِهِمْ وَأَنْ لَا يُحَدِّثَ بِمَا يُرَوِّعُهُمْ بِهِ وَيَجِبُ عَلَى الْمُضِيفِ أَنْ يُرَاعِيَ خَوَاطِرَ أَضْيَافِهِ كَيْفَمَا أَمْكَنَ. وَلَا يَغْضَبَ عَلَى أَحَدٍ بِحُضُورِهِمْ وَلَا يَنْقُصَ عَيْشَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَهُ وَلَا يَعْبِسَ بِوَجْهِهِ وَلَا يُظْهِرَ نَكَدًا وَلَا يَنْهَرَ أَحَدًا وَلَا يَشْتُمَهُ بِحَضْرَتِهِمْ بَلْ يُدْخِلَ عَلَى قُلُوبِهِمُ السُّرُورَ بِكُلِّ مَا أَمْكَنَ وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْهَرَ مَعَ أَضْيَافِهِ وَيُؤَانِسَهُمْ بِلَذِيذِ الْمُحَادَثَةِ وَغَرِيبِ الْحِكَايَاتِ وَأَنْ يَسْتَمِيلَ قُلُوبَهُمْ بِالْبَذْلِ لَهُمْ مِنْ غَرَائِبِ الطُّرَفِ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ذٰلِكَ وَعَلَى الْمُضِيفِ إِذَا قَدَّمَ الطَّعَامَ إِلَى أَضْيَافِهِ أَنْ لَا يَنْتَظِرَ مَنْ يَحْضُرُ مِنْ عَشِيرَتِهِ فَقَدْ قِيلَ ثَلَاثَةٌ تُضْنِي سِرَاجٌ لَا يُضِيءُ وَرَسُولٌ بَطِيءٌ وَمَائِدَةٌ يُنْتَظَرُ لَهَا مَنْ يَجِيءُ وَمِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُشَيِّعَ الْمُضِيفُ الضَّيْفَ إِلَى بَابِ الدَّارِ (للابشيهي)

١٥٩ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ مَا اسْتَكْمَلَ عَقْلُ امْرِئٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ الرُّشْدُ مِنْهُ مَأْمُولًا وَالْكِبْرُ مِنْهُ مَأْمُونًا نَصِيبُهُ مِنَ الدُّنْيَا الْقُوتُ وَالذُّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ وَالْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى يَسْتَقِلُّ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ وَيَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ وَلَا يَسْأَمُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ طُولَ عُمْرِهِ وَلَا يَتَبَرَّمُ مِنْ طَالِبِ الْحَوَائِجِ قِبَلَهُ وَالْعَاشِرَةُ أَنْ يَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْرًا مِنْهُ (لابن المعتز)

الباب التاسع
في اللطائف

الحداد والامير

١٦٠ حكى القاضي أبو عبد الله الآمدي النائب قال دخلت على الامير السعيد ابي طغرل أيام ولايته للثغر فوجدته يعطر ذهنا على خنصره فسألته عن سببه فذكر ضيق خاتمه وانه ورم بسببه فقلت له الرأي قطع حلقته قبل أن يتفاقم الامر. فقال من يصلح لذلك فاستدعيت ظافرا الحداد الشاعر فقطع الحلقة وانشد بديها

قصر عن أوصافك العالم وكثّر الناثر والناظم
من يكن البحر له راحة يضيق عن خنصره الخاتم

فاستحسنه الامير ووهب له الحلقة وكانت من ذهب
وكان بين يدي الامير غزال مستأنس وقد ربض وجعل راسه في حجره. فقال ظافر بديها

عجبت لجراة هذا الغزال وأمر تخطّى له واعتمد
واعجب به إذ بدا جاثما وكيف اطمأن وانت اسد

فزاد الامير والحاضرون في الاستحسان (بدائع البداية للازدي)

١٦١ قال بعض الشعراء يصف الفقر والغنى

من كان يملك درهمين تعلمت شفتاه انواع الكلام فقالا

وتقدم الإخوان فاستمعوا له ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التي يزهو بها لوجدته في الناس أسوأ حالا
إن الغني إذا تكلم بالخطا قالوا صدقت وما نطقت محالا
أما الفقير إذا تكلم صادقا قالوا كذبت وأبطلوا ما قالا
إن الدراهم في المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالا

الحجاج والفتية

١٦٢ أمر الحجاج صاحب حرسه أن يطوف بالليل فمن رآه بعد العشاء سكران ضرب عنقه فطاف ليلة من الليالي فوجد ثلاثة فتيان يتمايلون وعليهم أمارات السكر فأحاطت بهم الغلمان وقال لهم صاحب الحرس من أنتم حتى خالفتم أمر أمير المؤمنين وخرجتم في مثل هذا الوقت فقال أحدهم

أنا ابن من دانت الرقاب له ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيه بالرغم وهي صاغرة يأخذ من مالها ومن دمها

فأمسك عنه وقال لعله من أقارب أمير المؤمنين ثم قال للآخر وأنت من تكون فقال

أنا ابن من لا تنزل الدهر قدره وإن نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا إلى ضوء ناره فمنهم قيام حولها وقعود

فأمسك عنه وقال لعله ابن أشرف العرب ثم قال للآخر

وأنت من تكون فأسد على البديهة

أنا ابن من خاض الصفوف بعزمه وقومها بالسيف حتى استقامت
وركناه لا ينفك رجلاه منهما اذا الخيل في يوم الكريهة ولت

فأمسك عن الآخر وقال لعله ابن اشجع العرب واحتفظ عليهم فلما كان الصباح رفع أمرهم إلى أمير المؤمنين فأحضرهم وكشف عن حالهم . فإذا الأول ابن حجام والثاني ابن فوال والثالث ابن حائك فتعجب من فصاحتهم وقال لجلسائه علموا أولادكم الأدب فوالله لولا فصاحتهم لضربت أعناقهم (للنواجي)

ابو العلاء وكتاب الفصوص

١٦٣ ألف أبو العلاء صاعد كتابا سماه كتاب الفصوص واتفق لهذا الكتاب من عجائب الاتفاق ان أبا العلاء دفعه حين كمل لغلام له يحمله بين يديه وعبر النهر نهر قرطبة فخانت الغلام رجله فسقط في النهر هو والكتاب فقال في ذلك بعض الشعراء وهو العريف بيتا مطبوعا بحضرة المنصور وهو

قد غاص في البحر كتاب الفصوص وهكذا كل ثقيل يغوص

فضحك المنصور والحاضرون فلم يرع ذلك صاعدا ولا هاله وقال مرتجلا مجيبا لابن العريف

عاد إلى معدنه إنما توجد في قعر البحار الفصوص

(كتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي)

١٦٤ قَالَ ابْنُ شَرَفٍ يَصِفُ دَارًا وَيَتَشَكَّى سُوءَ هَا

لَكَ مَنْزِلٌ كَمُلَتْ سِتَارَتُهُ لَنَا ... لِلَّهْوِ لَكِنْ تَحْتَ ذَاكَ حَدِيثُ

غَنَّى الذُّبَابُ وَظَلَّ يَزْمُرُ حَوْلَهُ ... فِيهِ البَعُوضُ وَيَرْقُصُ البُرْغُوثُ

قَالَ آخَرُ فِي هٰذَا الْمَعْنَى

لَيْلُ البَرَاغِيثِ وَالبَعُوضِ ... لَيْلٌ طَوِيلٌ بِلَا غُمُوضِ

فَذَاكَ يَزْوِي بِغَيْرِ رَقْصٍ ... وَذَا يُغَنِّي بِلَا عَرُوضِ

في فصيح

١٦٥ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ عَلَى الْمَأْمُونِ حِينَ قُبِضَتْ ضِيَاعُهُمْ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَلِيلُ نِعْمَتِكَ وَابْنُ دَوْلَتِكَ وَغُصْنٌ مِنْ أَغْصَانِ دَوْحَتِكَ أَتَأْذَنُ لِي فِي الْكَلَامِ . قَالَ نَعَمْ فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى وَشَكَرَهُ ثُمَّ قَالَ أَمْتَعَنَا اللهُ بِحِيَاطَتِهِ دِينَنَا وَدُنْيَانَا . وَرِعَايَتِهِ أَقْصَانَا وَأَدْنَانَا بِبَقَائِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عُمْرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا وَفِي أَثَرِكَ مِنْ آثَارِنَا وَيَقِيكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا . هٰذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِظِلِّكَ الْهَارِبِ إِلَى كَنَفِكَ وَفَضْلِكَ الْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ وَعَدْلِكَ . ثُمَّ سَأَلَ حَوَائِجَهُ فَقَضَاهَا (للسرنشي)

علي بن الجهم

١٦٦ سَخِطَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ فَنَفَاهُ إِلَى خُرَاسَانَ وَكَتَبَ أَنْ يُصْلَبَ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّاذِيَاخِ حَبَسَهُ

طاهر بن عبد الله ثم أخرجه فصلبه إلى الليل مجردا فقال

لم يصلبوا بالشاذياخ عشيةً ‍‍ الاثنين مسبوقا ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملء عيونهم ‍ شرفا وملء صدورهم تبجيلا
ما ازداد إلا رفعة وسعادة ‍ وازدادت الاعداء عنه نكولا
هل كان إلا الليث فارق غيله ‍ فرأيته في محمل محمولا
ما عابه ان قد نزعت لباسه ‍ كالسيف أفضل ما يرى مسلولا

وقال في الحبس

قالوا حبست فقلت ليس بضائر ‍ حبسي وأي مهند لا يغمد
أو ما رأيت الليث يألف غيله ‍ كبرا وأوباش السباع تصيد
والشمس لولا أنها محجوبة ‍ عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار في أحجارها مخبوءة ‍ لا تصطلى إن لم تثرها الأزند
والحبس إن لم تغشه لدنية ‍ شنعاء نعم المنزل المتورد

درواس بن حبيب وهشام

١٦٧ قحطت البادية أيام هشام بن عبد الملك فوفد عليه رؤس القبائل فجلس لهم وفيهم صبي ابن اربع عشرة سنة يسمى درواس ابن حبيب في رأسه ذؤابة وعليه بردة يمانية فاستصغره هشام وقال لحاجبه ما يشاء أحد ان يصل الينا إلا وصل حتى الصبيان فقال درواس يا امير المؤمنين ان دخولي لم يخل بك ولا انقصك ولكنه شرفني وان هؤلاء قدموا لامر فهابوك دونه وإن الكلام

نشرٌ والسكوتَ طيٌّ لا يُعرَفُ إلا بنشرِهِ . فأعجبهُ كلامُهُ وقالَ
الشرُ لا أُمَّ لكَ فقالَ إنا أصابتنا سنونَ ثلاثٌ فسنةٌ أكلَتِ
اللحمَ وسنةٌ أذابتِ الشحمَ وسنةٌ انقتِ العظمَ وفي يدكُم
فضولُ أموالٍ فإن كانت للهِ عزَّ وجلَّ ففرقوها على عبادِهِ وإن
كانت لهم فلا تحبسوها عنهم وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم
فإنَّ اللهَ يجزي المتصدقينَ لا يضيعُ أجرَ المحسنينَ وإنَّ الواليَ من
الرعيةِ كالروحِ من الجسدِ لا حياةَ لهُ إلا بهِ فقالَ هشامٌ ما تركَ
الغلامُ في واحدةٍ من الثلاثِ عذرًا وأمرَ بمائةِ ألفِ دينارٍ ففرقت
في أهلِ الباديةِ وأمرَ لهُ بمائةِ ألفِ درهمٍ فقالَ اردُدها في
جائزةِ العربِ فما لي حاجةٌ في خاصةِ نفسي دونَ عامةِ الناسِ (للسرنشي)

الشاعر المتروي

١٦٨ يُحكى أنَّ بعضَ الأعرابِ امتدحَ بعضَ الرؤساءِ بقصيدةٍ
بديعةٍ فلما قرأها عليهِ استكبرها عليهِ بعضُ الحاضرينَ ونسبهُ إلى
سرقتِها فأرادَ الممدوحُ أن يعرفَ حقيقةَ الحالِ فرسم لهُ بتعذيرِ
الشعرِ وقالَ في نفسِهِ إن كانَ لهُ بديهةٌ في النظمِ فلا بدَّ أن
يقولَ شيئًا في شرحِ حالِهِ فأخذَ المدّ الشعرَ في ردائِهِ وخرجَ فقالَ
الممدوحُ للبوابِ سِرًّا لا تمكنوهُ من الخروجِ فوقفَ الأعرابيُّ في
الدهليزِ حائرًا فبعثَ إليهِ الممدوحُ من سألهُ وقالَ لهُ ما شأنكَ
يا أعرابيُّ فقالَ إني امتدحتُ الأميرَ بقصيدةٍ قال فما أجازكَ

عليها قال هذا المذ الشعر فقال له هل قلت في ذلك شيئاً قال نعم قال ما هو فأنشد بديهاً

يقولون لي أرخصت شعرك في الورى فقلت لهم من عدم أهل المكارم
أجوب على شعري السعر وإنه كثير اذا حاصته من بهائم

فلما بلغ الممدوح هذان البيتان أعجب بهما وعلم ان القصيدة من نظمه فرسم له بجائزة سنيه

المنصور وابن هبيرة

١٦٩ لما حاصر المنصور ابن هبيرة بعث إليه ابن هبيرة وقال بارزني فقال لا أفعل فقال ابن هبيرة لأشهرن امتناعك ولأعيرنك به فقال المنصور مثلنا ما قيل إن خنزيراً بعث الى الاسد وقال قاتلني فقال الأسد لست كفوي فاني ان قتلتك لم يكن لي فخر وان قتلتني لحقني وصم عظيم فقال لأخبرن السباع بنكولك فقال الأسد احتمال العار في ذلك أيسر من التلطخ بدمك فخجل ابن هبيرة وكف عنه (للنواجي)

١٧ ما أرق وأجود ما قال بعضهم في الفراق

ما الدار قد عشتم يا سادتي دار كلا ولا الجار مذ غبتم لنا جار
غبتم فأوحشتم الدنيا بعدكم وأظلمت بعدكم رحب وأقطار
ليت الغراب الذي نادى بفرقتنا تعرى من الريش لا تحويه أوكار
ترى تعود ليالينا الى سلف كما عهدنا ويجمع بيننا الدار

١٧١ أرسل شاعرٌ هديةً إلى ملكٍ وشفعها بهذه الأبيات

أتى سليمانَ يومَ العرضِ قُبَّرَةٌ   تهدي إليه جرادًا كان في فيها
وأنشدت بلسانِ الحالِ قائلةً   إن الهدايا على مقدارِ مهديها
لو أنَّ يُهدى إلى الإنسان قيمتُهُ   لكانَ يُهدى إليك الدنيا وما فيها

فاستحسنها الملكُ وأجازهُ   (طرائف اللطائف)

١٧٢ قال الأصمعي في تغريد البلبل

أيها البلبلُ المغردُ في النخـلِ غريبًا من أهلهِ حيرانا
أفراقًا تشكوهُ أم ذنبٌ تدعو   فوقَ أفنانِ نخلهِ ورشانا
هاجَ لي صوتُكَ المغردُ شجوًا   رُبَّ صوتٍ تُهيجُ الأحزانا

١٧٣ وقال نصرُ بنُ سيارٍ في من لا يتصدى إلى صغائرِ الشرور

أرى بين الرمادِ وميضَ نارٍ   ويوشكُ أن يكونَ لها ضرامُ
فإن لم تطفها عقـلاءُ قومٍ   يكونُ وقودَها جُثثٌ وهامُ
فإنَّ النارَ بالعودين تذكى   وإن الحربَ أولها كلامُ

١٧٤ اجتمع يومًا آلُ الصحابة فقال أبو بكرٍ

الموتُ بابٌ وكلُّ الناسِ داخلُـهُ   يا ليتَ شعري بعدَ البابِ ما الدارُ

فقال عمرُ

الدارُ دارُ نعيمٍ إن عملتَ بما   يُرضي الإلهَ وإن خالفتَ فالنارُ

فأجازهُ عثمان

هما محـلانِ ما للناسِ غيرُهما   فانظر لنفسكَ أيَّ الدارِ تختارُ

فأجاره علي بقوله

ما للعباد سوى الفردوس ان عملوا وان هفوا هفوة فالرب غفار

١٧٥ قال اعرابي تشوق إلى بلده

ذكرت بلادي فاستهلت مدامعي بشوقي إلى عهد الصبا المتقادم
حننت الى ربع به اخضر شاربي وقطع عني فيه عقد التمائم

١٧٦ قال ابن علاء مودعا

لأودعنك ثم تدمع مقلتي إن الدموع هي الوداع الثاني
في فرقة الاحباب شغل شاغل والموت صدها فرقة الإخوان

١٧٧ قال شمس المعالي قابوس وكان اصحابه قد خرجوا عن طاعته

قل للذي بصروف الدهر عيرنا هل عاند الدهر الا من له خطر
في السما نجوم ما لها عدد وليس يكسف الا الشمس والقمر

١٧٨ حدث إسحاق الموصلي قال كنت عند الفضل بن الربيع
يوما فدخل إليه ابن ابنه عبد الله بن العباس بن الفضل وهو طفل
وكان يرق عليه لأن اباه مات في حياته فاجلسه في حجره وضمه إليه
ودمعت عيناه فانشأ يقول

مد لك الله الحياة مدا حتى يكون ابنك هذا جدا
مؤزرا بمجده مردى ثم يفدى مثل ما تفدى
اشبه منك سنة وجدا وشيما مرضية ومجدا
كأنه انت إذا تبدى شمايلا محمودة وقدا

قال فبسّم الفضل وقال أمتعني الله بك يا أبا محمد فقد عوضت من الحرب سرورا وتسليت بقولك وكذلك يكون إن شاء الله

١٧٩ احتجر الصولي قال عتب المأمون على إسحاق في شيء فكتب إليه رقعة وأوصلها إليه من يده . فتحها المأمون فإذا فيها قوله

لا شيء أعظم من جرمي سوى أملي لحسن عفوك عن ذنبي وعن زللي
فإن يكن ذا وذا في القدر قد عظما فأنت أعظم من جرمي ومن أملي

فضحك ثم قال يا إسحاق عذرك أعلى قدرا من جرمك وما حال بفكري ولا أحضر به نعدا نغصا به على ذكري (الأغاني)

١٨ تعذر بعضهم للحرب فقال

قامت تشجعني هند فقلت لها إن الشجاعة مقرون بها العطب
لا والذي منع الأبصار رؤيته ما يشتهي الموت عندي من له أدب
للحرب قوم أضل الله سعيهم إذا دعتهم إلى نيرانها وثبوا
ولست منهم ولا أهوى فعالهم لا القتل يعجبني منهم ولا السلب

١٨١ قال محمود الوراق في هذا المعنى

أيها الفارس المشيح المغير إن قلبي من السلاح يطير
ليس لي قوة على رهج الخيل إذا ثور الغبار مثير
واستدارت رحى الحروب بقوم فقتيل وهارب وأسير
حيث لا ينطق الجبان من الذعر ويعلو الصياح والتكبير
أنا في مثل هذا وهذا بليد ولبيب في غيره نحرير

١٨٢ مثل دعبلٌ بين يدي بعض أمراء الرَّقة فقال أصلح الله الأمير

ماذا أقولُ إذا أتيتُ معاشري صفرًا يدي من عند أروع مُجزلِ

إن قلتُ أعطاني كذبتُ وإن أقل ضنَّ الأميرُ بمالِهِ لم يجملِ

ولأنتَ أعلمُ بالمكارِمِ والعُلَى من أن أقولَ فعلتَ ما لم تفعلِ

فاختر لنفسكَ ما أقولُ فإنني لا بُدَّ مُخبرهُم وإن لم أُسألِ

قال لهُ فأملكَ اللهُ وأمر لهُ بعشرة آلاف درهم (لأن عندريه)

١٨٣ وصف بعضُ الشعرا رجلا يحمي حبيبًا

رأيتُ مُنافقًا يحمي حبيبا وكلٌّ منهما بالظُّلم يسعى

هذا أنقصًا ولكن في فسادٍ كعقربَ راكبٍ للشرِ أفعى

ابو عبادة البحتري عند المتوكل

١٨٤ حدثَ أبو عبادة البحتريُّ الشاعرُ وكان المتوكلُ أدخلهُ في

نُدمائه قال دخلتُ على المتوكل يومًا فرأيتُ في يدهِ دُرتين ما

رأيتُ أشرفَ من نورهما ولا أدنى نباصًا ولا أكبر فأدمتُ النظرَ

إليهما ولم أصرف طرفي عنهما ورآني المتوكلُ فرمى إلىَّ التي كانت

في يدهِ اليمنى فقبلتُ الأرضَ وجعلتُ أفكرُ فيما نضحكهُ طمعًا في

الأخرى فعنّ لي أن قلتُ

بسُرَّ مرا لنا إمامٌ تعرفُ من كفهِ البحارُ

خليفةٌ يُرتجى ويُخشى كأنهُ جنَّةٌ ونارُ

الملكُ فيه وفي يديهِ ما اختلفَ الليلُ والنهارُ

يَداهُ فِي الجُودِ ضرتانِ هٰذِي عَلى هٰذه تَغارُ

وَلَيسَ تأتي اليَمِينُ شَيئاً إلّا أتت مِثلهُ اليَسارُ

فَرَمَى بِالدُّرَّة التي كَانت فِي يَسَارِهِ وَقَالَ خُذها يَاغَدَّارُ (للاردي)

١٨٥ مَرِضَ ابنُ عُنينٍ فَكَتَبَ إلَى السُّلطانِ هٰذينِ البَيتَينِ

أنظُر إلَى بِعَينِ مَولى لَم يزل يُولِي النَدَى وَتَلافَ قبل تَلافِي

أنَا كالَّذِي أحتاجُ مَا تَحتاجُهُ فَاغنم دُعَائي وَالثَّناءَ الوَافي

فَحَضَرَ السُّلطَانُ الَى عِيادتِهِ وَأَتَى إلَيه بِألفِ دينارٍ وَقَال لهُ انت

الذِي وَهٰذِهِ الصِلةُ وانا العائِدُ (لبها الدين)

١٨٦ كانَ الإمَامُ فَخرُ الدِينِ الرازِيُّ في مجلس درسهِ اذ أقبلت

حَمَامَةٌ خلفها صقرٌ يُرِيدُ صيدَها فَالقت نفسها فِي حُجرِهِ كالمُستجيرة

بِهِ فانشد شرَفُ الدِينِ بنُ عُنينٍ ابياتاً فِي هٰذَا المعنى منها

جَاءَت سُلَيمانَ الزمانِ حَمامةٌ وَالموتُ يَلمعُ من جناحَي خاطِفِ

مَن انبأ الوَرقَا أنَّ مَحلَّكُم حَرَمٌ وَأنك مَلجَأٌ لِلخائفِ

(تاريخ الذهبي)

١٨٧ ركبَ مُصعبٌ الوالِي يوماً ببغدادَ فِي خرابتِهِ فاعترضهُ مقدسُ

ابنُ صَيفِي الخَلُوقِيُّ الشاعِرُ وقد أُدنِيَت مِن السطحِ ليخرجَ فقالَ

أيُّها الأميرُ إن رأيتَ أن تسمع مِني أبياتاً فقال قُل فأنشأ يقولُ

عجبتُ لِحرّاقه ابنِ الحُسَينِ لاغرقت كيف لا تغرقُ

وبَحرانِ مِن فوقِها واحِدٌ وَآخرُ من تحتها مُطبقُ

وَأَعجَبُ من ذلكَ أعوادُهَا وقد مسَّها كَفُّ لا تُورِقُ

فَقَالَ طَاهِرٌ أَعطُوهُ ثَلاثَةَ آلافِ دِينَارٍ (لابن خلكان)

جرير والفرزدق والاخطل في مجلس عبد الملك

١٨٨ إجتمع جَرِيرٌ وَالفَرَزدَقُ والأَخطَلُ فِي مَجلِسِ عَبدِ المَلِكِ. فأحضر بَينَ يَدَيهِ كيساً فِيهِ خَمسُ مائَةِ دِينَارٍ وقَالَ لَهم لِيَقُل كُلٌّ مِنكُم بيتاً فِي مَدحِ نَفسِهِ فأَيُّكُم غَلَبَ فَلَهُ الكِيسُ. فَبَدَرَ الفَرَزدَقُ فقالَ

أَنا القَطِرَانُ والشُّعَرَاءُ جَربَى وَفِي القَطِرَانِ لِلجَربَى شِفَاءُ

فقالَ الأخطلُ

فإِن تَكُ زِقَّ زَامِلَةٍ فَإِنِّي أَنا الطَّاعُونُ لَيسَ لَهُ دَوَاءُ

فقال جَرِيرٌ

أَنا المَوتُ الَّذِي آتِي عَلَيكُم فَلَيسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءُ

فقالَ خُذِ الكِيسَ فَلَعمرِي إِنَّ المَوتَ يَأتِي عَلَى كُلِّ شَيءٍ.

(طبقات الشعرا لابن سلام)

الرّقاص والرشيد

١٨٩ أُدخِلَ الرَّقَّاصُ وَهُوَ ابنُ اربعِ سِنِينَ إِلَى الرَّشِيدِ لِيَتَعَجَّبَ مِن فِطنَتِهِ. فَقَالَ لَهُ مَا تُحِبُّ أَن أَهَبَ لَكَ. قَالَ جَمِيلَ رَأيِكَ فَإِنِّي أَفُوزُ بِهِ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ. فَأَمَرَ بِدَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ فَصُبَّت بَينَ يَدَيهِ فَقَالَ لَهُ اختَرِ الأَحَبَّ إِلَيكَ فَقَالَ الأَحَبُّ إِلَى أَمِيرِ المُؤمِنِينَ وَهٰذَا مِن هٰذَين وَضَرَبَ يَدَيهِ إِلَى الدَّنَانِيرِ. فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ

بِصَمِه إلى وُلدِه وَالإِجراء عَلَيه (لكمال الدين الحلى)

١٩٠ كَتَبَ النَّبِيُّ إِلَى بَعضِ أَصحَابِهِ وَكَانَ مُعتَقَلًا

فَدَتكَ يَا رُوحَ المَكَارِمِ وَالعُلا بِأَنفَسِ مَا عِندِي مِنَ الرُّوحِ وَالنَّفسِ
حُبِستَ فَمِن بَعدِ الكُسُوفِ سَتَنجَلِي تُضِيءُ بِهِ الآفَاقُ كَالبَدرِ وَالشَّمسِ
فَلا تَتَّخِذ لِلحَبسِ هَمًّا وَوَحشَةً فَتِلكَ فَقَدمًا كَانَ يُوسُفُ فِي الحَبسِ

١٩١ قَالَ ابنُ عَرَبشَاهَ يُغرِي عَلَى طَلَبِ المَجدِ

لَا تُؤيِسَنَّكَ مِن مَجدٍ تَبَاعُدُهُ فَإِنَّ لِلمَجدِ تَدرِيجًا وَتَرتِيبَا
إِنَّ القَنَاةَ الَّتِي شَاهَدتَ رِفعَتَهَا تَنمُو فَتَنبُتُ أُنبُوبًا فَأُنبُوبَا

١٩٢ كَانَ ابنُ أَبِي صَقرٍ طَعَنَ فِي السِّنِّ وَضَعُفَ عَنِ المَشيِ فَصَارَ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصًا فَقَالَ فِي ذٰلِكَ

كُلُّ أَمرٍ إِذَا تَفَكَّرتَ فِيهِ وَتَأَمَّلتَهُ رَأَيتَ طَرِيفَا
كُنتُ أَمشِي عَلَى اثنَتَينِ قَوِيًّا صِرتُ أَمشِي عَلَى ثَلَاثٍ ضَعِيفَا

١٩٣ زَلَّت بِالأَتَابِكِ صَاحِبِ المَوصِلِ بَغلَتُهُ فَأَنشَدَ ابنُ الأَثِيرِ

إِن زَلَّتِ البَغلَةُ مِن تَحتِهِ فَإِنَّ فِي زَلَّتِهَا عُذرَا
حَمَّلَهَا مِن عِلمِهِ شَاهِقًا وَمِن نَدَى رَاحَتِهِ بَحرَا

١٩٤ قَالَ ابنُ السَّرَّاجِ الوَرَّاقُ يَعتِبُ عَلَى نَفسِهِ

يَا خَجلَتِي وَصَحَائِفِي قَد سُوِّدَت وَصَحَائِفُ الأَبرَارِ فِي إِشرَاقِ
وَمُوَبِّخٍ لِي فِي القِيَامَةِ قَائِلٍ أَكَذَا تَكُونُ صَحَائِفُ الوَرَّاقِ

١٩٥ حَضَرَ ابنُ الحَجَّاجِ فِي دَعوَةِ رَجُلٍ فَأَخَّرَ الطَّعَامَ إِلَى المَسَاءِ فَقَالَ

يا صاحب البيت الذي صِفاته ماتوا جميعا
أدعوتنا حتى نموت بدائنا عطشا وجوعا
ما لي أرى فلك الرغيف لديك مشترقا رفيعا
كالبدر لا نرجو إلى وقت المساء له طلوعا

١٩٦ قال ابن حمديس يتشوق إلى صقلية وهي مكان منشأه

ذكرت صقلية والأسى يُجدد للنفس تذكارها
فإن كنت أخرجت من جنة فإني أحدث أخبارها
ولولا ملوحة ماء البكا حسبت دموعي أنهارها

١٩٧ حكي أن جمهور شعراء مصر كان من عادتهم أن يأتوا الوالي كل سنة في العيد فيهنّونه بالقصائد وينالون منه الجوائز . فبينما كانوا لديه ذات سنة ينشدونه بالأشعار حدثت زلزلة شديدة ارتجت منها ديار مصر فالتفت الوالي إلى الشعراء وقال لهم هل منكم من ينظم لنا بيتين مضمونه هذه الزلزلة فقال بعضهم

يا حاكم الفضل إن الحق متضح لدى الكرام أنا ابن السادة النجبا
ما زلزلت مصر من كيد ألمّ بها لكنها رقصت من عدلكم طربا

الأعمى والأعور

١٩٨ سمعت أعمى مرة قائلا يا قوم ما أصعب فقد البصر
أجابه أعور من خلفه عندي من ذلك نصف الخبر

١٩٩ قال ابن الدهان في غلام لسعته نحلة في شفته

بأبي من لسته نحلة ألمت اكرم شيء وأحلى
حسبت أن بفيه شهدها إذ رأت ريقه مثل العسل

٢٠ أنشد ابن ضردرا ابن جهير لما عاد إلى الوزارة بعد العزل

قد رجع الحق إلى نصابه وأنت من كل الورى أولى به
ما كنت إلا السيف سلّه يد ثم أعاده إلى قرابه
هزّته حتى أبصرته صارماً رونقه يغنيه عن ضرابه

٢١ قال أحمد بن فارس الرازي اللغوي يصف ما كان عليه

وقالوا كيف حالك قلت خير تقضّى حاجة وتفوت حاج
إذا ازدحمت هموم الصدر قلنا عسى يوما يكون لها انفراج
نديمي هرتي وأنيس نفسي دفاتر لي ومعشوقي السراج

٢٢ أرسل البديع الاسطرلابي هدية لبعض الامرا فأنشد

أهدى لمجلسه الكريم وإنما أهدي له ما حزت من نعمائه
كالبحر تمطره السحاب وماله فضل عليه لأنه من مائه

٢٣ كان الخليل بن أحمد يقطع العروض فدخل عليه ولده في
تلك الحالة فخرج الى الناس وقال إن أبي قد جن فدخل الناس
عليه وهو يقطع العروض فأخبروه بما قال ابنه فقال له

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

(نزهة الالبا في طبقات الادبا لابي بركات الانباري)

اولاد نزار عند الافعى

٤ ٢ شخص مضرُ وربيعةُ وإيادٌ وأنمارٌ أولادُ نزارٍ إلى أرضِ نجرانَ فبينما هم يسيرون إذ رأى مضرُ كلأً قد رُعيَ فقالَ البعيرُ الذي رعى هذا أعورُ فقالَ ربيعةُ وهو أزورُ قال إيادٌ وهو أبترُ وقالَ أنمارٌ وهو شرودٌ فلم يسيروا إلّا قليلاً حتى لقيهم رجلٌ على راحلةٍ فسألهم عن البعيرِ فقالَ مضرُ أهو أعورُ قال نعم قال ربيعةُ أهو أزورُ قالَ نعم قال إيادٌ أهو أبترُ قال نعم قال أنمارٌ أهو شرودٌ. قال نعم فقالَ هذه واللهِ صفاتُ بعيري دُلّوني عليهِ فحلفوا أنهم ما رأوه فلزمهم وقالَ كيف أُصدّقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته. فساروا حتى قربوا نجرانَ فنزلوا بالافعى الجرهمي فنادى صاحبُ البعيرِ هؤلاءِ القومُ وصفوا لي بعيرًا بصفتِهِ ثم أنكروهُ فقالَ الجرهميُّ كيف وصفوهُ ولم يروهُ فقالَ مضرُ رأيتُهُ يرعى جانبًا ويدعُ جانبًا فعلمتُ أنهُ أعورُ وقال ربيعةُ رأيتُ إحدى يديهِ ثابتَ الأثرِ والأخرى فاسدةَ الأثرِ فعلمتُ أنهُ أفسدَها بشدةِ وطئهِ لازورارِهِ وقالَ إيادٌ عرفتُ بترَهُ باجتماعِ بعرِهِ ولو كانَ ذيالاً لمرّقَ وقالَ أنمارٌ انما عرفتُ أنهُ شرودٌ لكونِ أنهُ كانَ يرعى في المكانِ الملتفِّ نبتُهُ ثم يجوزُ الى مكانٍ ارقَّ منهُ وأخبثَ فقالَ الافعى ليسوا بأصحابِ بعيركَ ثمَّ سألهم من هم فأخبروهُ فرحّبَ وأضافهم وبالغ في إكرامِهم (ثمرات الاوراق للحموي)

ألبابُ العاشرُ
في المديح

٢٠٥ اقبلَ أعرابيٌ إلى داوُدَ بن المهلَّبِ فقال لهُ إني مدحتُكَ فاسمع قالَ على رِسلِكَ ثمَّ دخل بيتهُ وتقلَّد سيفهُ وخرجَ فقالَ قل فإن احسنتَ حكَّمناكَ وإن أسأتَ قتلناكَ فأنشا يقولُ

امِنتُ بداوُدٍ وجود يمينهِ من الحدث المخشيِّ والبأسِ والفقرِ
فأصبحتُ لا أخشى بداوُدَ نبوةً من الحدثانِ إذ شددتُ بهِ إزري
لهُ حُكمُ لقمانٍ وصورة يوسفٍ وحكمُ سليمانٍ وعدلُ أبي بكرِ
فتى تفرَقُ الأموالُ من جودِ كفّهِ كما يفرَقُ الشيطانُ من ليلةِ القدرِ

فقال لهُ قد حكَّمناكَ فإن شئتَ على قدرِكَ وإن شئتَ على قدري فقالَ على قدري فأعطاهُ خمسينَ ألفاً فقالَ لهُ جلساؤُهُ هلّا احكمتَ على قدرِ الامير قال لم يكُ في مالِهِ ما يفي بقدره فقالَ لهُ داوُدُ أنتَ في هذهِ أشعرُ منكَ في شعرِكَ وأمرَ لهُ بمثل ما أعطاهُ

٢٠٦ قالَ ابن عبدِ ربِّهِ دخلتُ على أبي العبَّاسِ القائدِ فأنشدتُهُ

أللهُ جرَّد للندى والباسِ سيفاً فقلَّدهُ أبا العبَّاسِ
ملكٌ إذا استقبلتَ غرَّةَ وجههِ قبضَ الرجاءُ إليكَ روحَ الناسِ
وبهِ عليكَ من الحياءِ سكينةٌ ومحبَّةٌ تجري من الانفاسِ
وإذا أحبَّ اللهُ يوماً عبدَهُ ألقى عليهِ محبَّةً للناسِ

ثم سألته حاجة فيها بعض الغلظ فلكأنما على . فوقعت في نحائه

ما ضر عندك حاجتي ما هزها   عذرا إذا أعطيت بسلك قدرها
أنظر إلى عرض البلاد وطولها   أولست أكرم أهلها وأبرها
حاشى لجودك أن تعز حاجتي   يبقى بجودك سهلها لي وعرها
لا تحسبن حلو المحامد ماجد   حتى تذوق من المطالب مرها

فقضى الحاجة وسارع إليها   (لابن عبد ربه)

٢٧ وصف مروان بن أبي حفصة بني مطر فقال

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم   أسود لها في غيل خفان أشبل
هم يمنعون الجار حتى كأنما   لجارهم بين السماكين منزل
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا   أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم   وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا

٢٨ حدث محمد الراوية قال دخلت على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع ويزيد بن مزيد وبين يديه خوان لطيف عليه حرمان ورغفان سميذ ودجاجتان فقال لي أنشدني . فأنشدته قصيدة النمري العينية فلما بلغت إلى قوله

إن المكارم والمعروف أودية   أحلك الله منها حيث تتسع
إذا رفعت امرأ فالله يرفعه   ومن وضعت من الأقوام متضع
نفسي فداؤك والأبطال معلمة   يوم الوغى والمنايا بينها قرع

قال فرمى بالخوان بين يديه وصاح وقال هذا والله أطيب

مِن كُلِّ طَعَامٍ وَكُلِّ شَيْءٍ . وبَعَثَ إِلَيهِ بِسَبعةِ آلافِ دِينارٍ

٢٠٩ حكى المنصورُ النمريُّ قالَ دَخَلتُ على الرشيدِ يوماً ولَم أَكُن أَعدَدتُ لهُ مَدحاً فوجَدتُهُ نشيطاً طيبَ النفسِ فرمتُ شيئاً فأحانِي ونظَرَ إِليَّ مُستنطِقاً فقلتُ

إذا اعتاصَ المديحُ عليكَ فامدَح أميرَ المؤمنينَ تجد مقالا
وعُذ بفنائهِ واجعل إليهِ سَبيلَ عُرفٍ ولَم تذلل سُؤالا
فِناءٌ لا تزالُ بهِ ركابٌ وضعنَ مدائحاً وحمَلنَ مالا

فقالَ للهِ دَرُّكَ لئِن قصُرتَ القولَ لقد أطلتَ المعنى وأمرَ لي بصلةٍ سَنيَّةٍ

٢١٠ لمَّا تولَّى ابنُ زيادٍ أعمالَ الأهوازِ قصَدَهُ محرزٌ إليها وقالَ فيهِ

يحيى امرؤٌ زيَّنَهُ ربُّهُ بفعلهِ الأقدمِ والأحدثِ
إن قالَ لم يكذب وإن ودَّ لم يقطع وإن عاهدَ لم ينكثِ
أصبحَ في أخلاقِهِ كلِّها موكّلاً بالأسهلِ الأدمثِ
طبيعةٌ منهُ عليها جرى في خُلُقٍ ليسَ بمستحدثِ
ورِثَهُ ذاكَ أبوهُ فما طِيبَ بنا الوارثِ المورِثِ

فوصلهُ يحيى بصلةٍ سنيةٍ وحمَلهُ وكساهُ . وأقامَ عندهُ مُدةً ثمَّ انصرفَ

٢١١ امتدحَ ربيعةُ الرقيُّ العبَّاسَ بنَ محمدٍ بقصيدةٍ لم يُسبق إليها حُسناً وهي طويلةٌ يقولُ فيها

لو قيلَ للعبَّاسِ يا ابنَ محمدٍ قُل لا وأنتَ مخلَّدٌ ما قالها
ما إن أعُدُّ من المكارمِ خصلةً إلا وجدتُكَ عمَّها أو خالها

وَادا المُلوكُ تسايرُوا فِي بلدةٍ كَانُوا كواكبَها وَكُنتَ هِلالَهَا
إنَ المكَارِمَ لَم تزل معقُولةً حتى حللت بِراحتيكَ عِقالَهَا

٢١٢ أنشَدَنا أبو إسحاقَ ابنُ إبرٰهيمَ الفضل بن يحيَى البرمكِي
عِند المُلوكِ مَضرَّةٌ وَمنَافِعٌ وارَى البَرامكَ لَا تضُرُّ وتنفَعُ
انَ العُرُوق اذا استسَرَ بها الثَّرَى اثمرَ النبَاتُ بها وَطابَ المزرَعُ
فإذا نكَرتَ من امرِيءٍ أعراقهُ وقديمَهُ فانظُر اِلَى مَا يَصنعُ
قالَ فاعجبَهُ الشعرُ فقال يا ابا مُحمدٍ كأنى لَم اسمع هٰذا القول إلا الساعه
ومَا لهُ عندِي إلّا أنى لم أُكافِئهُ عليه قلتُ وَكيفَ ذٰلكَ أصلحك
اللهُ وقد وهبَ لهُ ثلاثين الف درهَم قال لَا ما ثلاثونَ ألفَ
دينَار بمُكَافِئةٍ لَهُ فكَيف بثلاثونَ الفَ درهم (الاغانى)

قال أبو الشمقمق الخراعيُّ يمدحُ بعضَ الأمراءِ
بكلِّ سيفِك اوصافٌ خُصِصتَ بها فكُلُّنا بكَ مَسرُورٌ وَمُغتبِطٌ
ألسِنُّ ضَاحِكَةٌ والكَفُّ مانِحةٌ وَالنفسُ واسِعَةٌ والوَجهُ منبَسطٌ

٢١٣ قالَ ابرٰهيمُ بنُ العبّاسِ لِفضل بن سَهلٍ نَدٌ تقاصرَ عنها المَلُ
وظاهرُهَا للفَضلِ وباطنُهَا لِلغنى وسَطوتُها لِلاجلِ اخذهُ ابنُ
الرُّومِى فقالَ لِإبرٰهيمَ بن المُدبرِ
اَصبحتَ بَين صَراعةٍ وَتجَمُّلٍ والمَرءُ بينهُما يَموتُ هَزيلا
فامدُد إلَيَّ يَدًا تعوّد بطنُهَا بَذلَ النَّوالِ وَظهرُها التقبيلا

٢١٤ قالَ ابنُ المولى ليزيدَ بنِ قبيصَة بن المُهلبِ

وإذا تُباعُ كريمةٌ أو تُشترى ... فسواكَ بائعُها وأنتَ المُشترِي
وإذا توعّرتِ المسالكُ لم يكن ... منها السبيلُ إلى نداكَ بأوعرِ
وإذا صنعتَ صنيعةً أتممتَها ... بيدينِ ليس نداهما بمُكدَّرِ
يا واحدَ العربِ الذي ما إن لهم ... من مذهبٍ عنه ولا من مقصرِ

٢١٥ قال أُميّةُ بنُ أبي الصّلتِ الشاعرُ النصرانيُّ

أأذكرُ حاجتي أم قد كفاني ... حياؤكَ إنّ شيمتكَ الحياءُ
وعِلمُكَ بالحقوقِ وأنتَ فرعٌ ... لكَ الحسبُ المهذّبُ والسناءُ
خليلٌ لا يُغيّرهُ صباحٌ ... عن الخُلقِ الجميلِ ولا مساءُ
وأرضُكَ كلُّ مكرمةٍ بنتها ... بنو تيمٍ وأنتَ لها سماءُ
إذا أثنى عليكَ المرءُ يوماً ... كفاهُ من تعرُّضهِ الثناءُ
تُباري الريحَ مكرمةً ومجداً ... إذا ما الكلبُ أحجرهُ الشتاءُ

٢١٦ قال آخرُ يمدحُ آلَ المهلّبِ

آلُ المهلّبِ قومٌ خُوّلوا شرفاً ... ما نالهُ عربيٌّ لا ولا كادا
لو قيلَ للمجدِ حِدْ عنهم وخلّهمِ ... بما احتكمتَ من الدنيا لما حادا
إنّ المكارمَ أرواحٌ يكونُ لها ... آلُ المهلّبِ دونَ الناسِ أجسادا

٢١٧ قالتِ امرأةٌ من إيادِ

الخيلُ تعلمُ يومَ الروعِ إن هُزمت ... أنّ ابنَ عمرٍو لدى الهيجا يحميها
لم يُبدِ فحشاً ولم يَهدُد لمَظلمةٍ ... وكلُّ مكرمةٍ يلقى يُساميها
المستشارُ لأمرِ القومِ يحزُبهم ... إذا الهناتُ أهمَّ القومَ ما فيها

لا يرهب الخارمه عدره ابدا وان ألمت أمور فهو كافيها

٢١٨ قال ابن الرومي يمدح بعضهم

كل الخلال التي فيكم محاسنكم تشابهت منكم الأخلاق والخلق
كأنكم شجر الأترج طاب معا حملا ونشرا وطاب العود والورق

٢١٩ قال شاعر يمدح قوما بالكرم

نصبوا بمدرجة الطريق جفانهم يتسابقون على قرى الضيفان
ويكاد موقدهم يجود بنفسه حب القرى حطبا على النيران

٢٢ غنى يوما احمد بن يحيى المكي الامين

يعش عمر نوح في سرور وغبطة وفي خفض عيش ليس في طوله إثم
تساعدك الاقدار فيه وتنثني إليك وترعى فضلك العرب والعجم

٢٢١ ومن جميل ما جاء في باب المدح قول بعضهم

يا دهر بع رتب المعالي بعده بيع السماح ربحت ام لم تربح
قدم وأخر من تريد فإنه مات الذي قد كنت منه تستحي

٢٢٢ وقال آخر

كريم يغض الطرف فضل حيائه ويدنو واطراف الرماح دوان
وكالسيف إن لاينته لان مسه وحداه ان خاشنته خشنان

٢٢٣ مدح بعضهم اميرا فقال

علم الله كيف انت فاعطا ك المحل الجليل من سلطانه

٢٢٤ قال آخر

من قاس جدواك بالغمام فما أنصف في الحكم بين شكلين
أنت إذا جدت ضاحك أبدا وهو إذا جاد دامع العين

٢٢٥ قال غيره

ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير يوم سخاء
فنوال الأمير بدرة مال ونوال الغمام قطرة ماء

٢٢٦ قال يزيد المهلبي في المستنصر بعد أن ولي الخلافة

ليهنك ملك بالسعادة طائره موارده محمودة ومصادره
فأنت الذي كنا نرجي فلم نخب كما يرتجي من واقع الغيث باكره
عتصم بالله عم أمورنا ومن ينصر بالله فالله ناصره

٢٢٧ دخل النابغة على النعمان بن المنذر فحياه تحية الملوك ثم قال

أنفاخرك ذو فائش وأنت سائس العرب وغرة الحسب واللات
لأمسك أيمن من يومه ولعبدك أكرم من قومه ولقفاك أحسن من
وجهه ولسارك أجود من يمينه ولظنك أصدق من يقينه ولوعدك
أنجح من رفده ولخالك أشرف من جده ولنفسك أمنع من
جنده وليومك أزهر من دهره ولفترك أبسط من شبره وأنشد

أخلاق مجدك جلت ما لها خطر في البأس والجود بين الحلم والخفر
متوج بالمعالي فوق مفرقه وفي الوغى ضيغم في صورة القمر
إذا دجا الخطب جلاه بصارمه كما يجلي زمان المحل بالمطر

فتهلل وجه النعمان سرورا ثم أمر أن يملأ فوه درا ويكسى

ابواب الرضا (وهي حباب اطوافها الذهب في قصب الزمرد) ثم
قال هكذا فلتمدح الملوك (الف باء لابن الحجاج البلوى)

٢٢٨ دخل ابن الخياط المكي على المهدي وامتدحه فامر له بخمسين ألف درهم فسأله ان يأذن له في تقبيل يده فأذن فقبلها وخرج فما انتهى إلى الباب حتى فرق المال باسره فعوتب على ذلك فاعتذر وانشد يقول

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ولم أدر ان الجود من كفه يعدي
فلا أنا منه ما افاد ذوو الغنى أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

فعجب بهما المهدي وغنى بهما وامر له بخمسين الف دينار

٢٢٩ دخل اعرابي على خالد بن عبد الله القسري فقال

أخالد إني لم ازرك لحاجة سوى أنني عاف وأنت جواد
أخالد بين الحمد والاجر حاجتي فأيهما تأتي فأنت عماد

فقال له خالد سل حاجتك قال مائة ألف درهم قال خالد أسرفت فاحطط منها قال حططتك الفا فقال خالد ما اعجب ما سألت وما حططت فقال لا يعجب الأمير. سألته على قدره وحططته على قدري فضحك منه وامر له بصلة

٢٣٠ حبس الحجاج يزيد بن المهلب لباق عليه كان بخراسان. وأقسم ليستأدينه كل يوم مائة الف درهم فبينما هو قد جباها له ذات يوم إذ دخل عليه الأخطل فأنشده

أَبَا خَالِدٍ ضَاقَتْ خُرَاسَانُ بَعْدَكُمْ ... وَقَالَ ذَوُو الْحَاجَاتِ أَيْنَ يَزِيدُ
وَمَا قَطَرَتْ بِالشَّرْقِ بَعْدَكَ قَطْرَةٌ ... وَلَا اخْضَرَّ بِالْمَرْوَيْنِ بَعْدَكَ عُودُ
وَمَا لِسَرِيرٍ بَعْدَ بُعْدِكَ بَهْجَةٌ ... وَمَا لِجَوَادٍ بَعْدَ جُودِكَ جُودُ

فَقَالَ يَا غُلَامُ أَعْطِهِ الْمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَإِنَّا نَصْبِرُ عَلَى عَذَابِ الْحَجَّاجِ وَلَا نُخَيِّبُ الْأَخْطَلَ فَبَلَغَ الْحَجَّاجَ فَقَالَ لِلَّهِ دَرُّ يَزِيدَ لَوْ كَانَ تَارِكًا لِلسَّخَاءِ يَوْمًا لَتَرَكَهُ الْيَوْمَ وَهُوَ مُتَوَقِّعُ الْمَوْتِ (للبمي)

٢٣١ وَمِنْ رَقِيقِ شِعْرِ ابْنِ الْعَبَّاسِ الصُّولِيِّ قَوْلُهُ فِي الْمَدْحِ وَالشُّكْرِ

فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ ... إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاظِرُ
لَمَثَّلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ ... فَتَعْلَمَ أَنِّي امْرُؤٌ شَاكِرُ

٢٣٢ كَتَبَ بَدِيعُ الزَّمَانِ لِأَحَدِ الْخُلَفَاءِ

يَا سَيِّدَ الْأُمَرَا فَخْرًا فَمَا مَلِكٌ ... إِلَّا تَمَنَّاكَ مَوْلًى وَاشْتَهَاكَ أَبَا
وَكَادَ يَحْكِيكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِبًا ... لَوْ كَانَ طَلْقَ الْمُحَيَّا يُمْطِرُ الذَّهَبَا
وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخُنْ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ ... وَاللَّيْثُ لَوْ لَمْ يَصُلْ وَالْبَحْرُ لَوْ عَذُبَا

٢٣٣ وَلِلْبُحْتُرِيِّ فِي الْمَدْحِ

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَّاسِ عَنْ صِغَرٍ ... فِي السِّنِّ وَانْظُرْ إِلَى الْمَجْدِ الَّذِي شَادَا
إِنَّ النُّجُومَ نُجُومَ الْجَوِّ أَصْغَرُهَا ... فِي الْعَيْنِ أَكْبَرُهَا فِي الْجَوِّ إِصْعَادَا

٢٣٤ قَالَ أَبُو نُوَاسٍ يَمْدَحُ بَنِي حَمْدَانَ

لَئِنْ خُلِقَ الْأَنَامُ لِحُبِّ كَأْسٍ ... وَمِزْمَارٍ وَطُنْبُورٍ وَعُودِ
فَلَمْ يُخْلَقْ بَنُو حَمْدَانَ إِلَّا ... لِبَأْسٍ أَوْ لِمَجْدٍ أَوْ لِجُودِ

الباب الحادي عشر
في الفخر والحماسة والهجو

٢٣٥ كان أبو سفيان من أشعر قريش وهو القائل عن قبيلته مفتخرا

لقد علمت قريش غير فخر ... بأنا نحن أجودهم حصانا
وأكثرهم دروعا سابغات ... وأمضاهم إذا طعنوا سنانا
وأدفعهم عن الضرا عنهم ... وأبينهم إذا نطقوا لسانا

٢٣٦ قال السيد علي بن إسماعيل بن القاسم

أنا من قوم إذا ما غضبوا ... أطعموا الأرماح حبات القلوب
وهم في السلم كالماء صفا ... لصديق وحميم وقريب
فيهم فخري وفيهم قدوتي ... وبهم نلت من العليا نصيبي
وبفضل الله ربي لم أزل ... في مراقي العز والعيش الرطيب
ليس لي إلا المعالي أرب ... فعلى كاهلها صار الركوب
إن دعا داع إلى غير العلا ... لا تراني لدعاه من مجيب

٢٣٧ مر ابن بشير بأبي عثمان المازني فجلس إليه ساعة فرأى من في مجلسه يسخرون من نعل كانت في رجله خلقة فاحتقروه وكتب

كم أرى ذا تعجب من نعالي ... ورضاي منها بلبس البوالي
من نعالي من الرجال بنعل ... فسواي إذا بهن نعالي
لو حذاهن للجمال فإني ... في سواهن زينتي وجمالي

فِي لِحَاءٍ وَفِي وَفَاءٍ وَرَأيٍ وَإِبَاءٍ وَمَنطِقٍ وَفَعَالِ
مَا وَفَى الحِمَا وَنَامَتِ الحَا جَةُ مِنهَا فَإِنِّي لَا أُبَالِي

٢٣٨ قَالَ الحُرَيشُ بنُ هِلَالٍ القُرَيعِيُّ

تُعَرِّضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا التَقَينَا وُجُوهًا لَا تُعَرَّضُ لِلطِّلَامِ
وَلَستُ بِخَالِعٍ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَرَّ الكُمَاةُ وَلَا أُرَامِي
وَلَكِنِّي يَجُولُ المُهرُ تَحتِي إِلَى الغَارَاتِ بِالعَضبِ الحُسَامِ

٢٣٩ قَالَ أَبُو الحَسَنِ المَعرُوفُ بِجَحظَةَ البَرمَكِيِّ

أَنَا ابنُ أُنَاسٍ مَوَّلَ النَّاسَ جُودُهُم فَأَضحَوا حَدِيثًا لِلنَّوَالِ المُشَهَّرِ
فَلَم يَخلُ مِن إِحسَانِهِم لَفظُ مُخبِرٍ فَلَم يَخلُ مِن تَقرِيظِهِم بَطنُ دَفتَرِ

٢٤٠ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الفَزَارِيِّينَ

وَإِلَّا أَكُن عَظمِي طَوِيلًا فَإِنَّنِي لَهُ بِالخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
وَلَا خَيرَ فِي حُسنِ الجُسُومِ وَنُبلِهَا إِذَا لَم تَزِن حُسنَ الجُسُومِ عُقُولُ
إِذَا كُنتُ فِي القَومِ الطِّوَالِ عَلَوتُهُم بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
وَكَم قَد رَأَينَا مِن فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَم تُحيِهِنَّ أُصُولُ
وَلَم أَرَ كَالمَعرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلوٌ وَأَمَّا وَجهُهُ فَجَمِيلُ

٢٤١ قَالَ امرُؤُ القَيسِ

فَلَو أَنَّ مَا أَسعَى لِأَدنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَم أَطلُب قَلِيلًا مِنَ المَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسعَى لِمَجدٍ مُؤَثَّلٍ وَقَد يُدرِكُ المَجدَ المُؤَثَّلَ أَمثَالِي

٢٤٢ قَالَ حَاتِمٌ الطَّائِيُّ

أَيَا ابنةَ عبدِ اللهِ وابنةَ مالِكٍ ... ويا ابنةَ ذي البُردَينِ والفرسِ الوردِ
إذا ما صنعتِ الزادَ فالتمسي لَهُ ... أكيلاً فإني لستُ آكلَهُ وحدي
أخاً طارقاً أو جارَ بيتٍ فإنني ... أخافُ مذمّاتِ الأحاديثِ من بعدي
وإني لعبدُ الضيفِ ما دامَ ثاوياً ... وما فيَّ إلا تلكَ من شيمةِ العبدِ

٢٤٣ قالَ حسانُ بنُ ثابتٍ

أصونُ عرضي بمالي لا أدنّسُهُ ... لا باركَ اللهُ بعدَ العرضِ في المالِ
أحتالُ للمالِ إن أودى فأجمعُهُ ... ولستُ للعرضِ إن أودى بمحتالِ

٢٤٤ قالَ أبو دُلَفٍ العجليُّ

أجودُ بنفسي دونَ قومي دافعاً ... لِما نابهم قدماً وأعصي الدواهيا
وأقتحمُ الأمرَ المخوفَ اقتحامُهُ ... لأدركَ مجداً أو أعاودَ ثاويا

(الأغاني والحماسه)

الهجو

٢٤٥ قالَ أبو نُواسٍ في بخيل

سيّان كسرُ رغيفِهِ ... أو كسرُ عظمٍ من عظامِهِ
فارفق بكسرِ رغيفِهِ ... إن كنتَ ترغبُ في كلامِهِ
وتراهُ من خوفِ النزو ... لِ به يروعُ في منامِهِ

وقالَ أيضاً

خانَ عهدي عمرٌو وما خِستُ عهدَهُ ... وجفاني وما تغيّرتُ بعدَهُ
ليسَ لي مذ جفيتُ ذنبٌ إليهِ ... غيرَ أني يوماً تغدّيتُ عندَهُ

وَلَهُ أيضاً

أبُو جَعفرٍ رَجُلٌ عَالِمٌ ... بِمَا يُصلحُ المعدَةَ الفَاسِدَه
تَخَوَّفَ تُخمَةَ أَصحَابِهِ ... فَعَوَّدَهَا أَكلَةً وَاحِدَه

٢٤٦ قَالَ الخُوارَزمِيُّ فِي طَبِيبٍ

أَبُو سَعِيدٍ رَاحِلٌ لِلكِرَام ... وَمُدنَفٌ يُنسِفُ عُمرَ الأَنَام
لَم أَرَهُ إِلاَّ حَسِبتُ الرَّدَى ... وَقُلتُ يَا رُوحِي عَلَيكِ السَّلَام
يَبقَى وَيَفنَى النَّاسُ مِن شُؤمِهِ ... قُومُوا انظُرُوا كَيفَ تَحَاهُ اللِّئَام
ثُمَّ تَرَاهُ آمِناً سَالِماً ... يَا مَلَكَ المَوتِ إِلَى كَم تَنَام

٢٤٧ يُحكَى أَنَّ الوَزِيرَ أَبَا عَلِيٍّ الخَاقَانِيَّ كَانَ ضَجُوراً كَثِيرَ التَّقَلُّبِ فَكَانَ يُوَلِّي العَمَلَ الوَاحِدَ عِدَّةً مِنَ العُمَّالِ فِي الأَيَّامِ القَلِيلَةِ حَتَّى إِنَّهُ وَلَّى الكُوفَةَ فِي عِشرِينَ يَوماً سَبعَةً مِنَ العُمَّالِ فَقِيلَ فِيهِ

وَزِيرٌ قَد تَكَامَلَ فِي الرَّقَاعَه ... يُوَلِّي ثُمَّ يَعزِلُ بَعدَ سَاعَه
إِذَا أَهلُ الرُّشَى اجتَمَعُوا عَلَيهِ ... فَخَيرُ القَومِ أَوفَرُهُم بِضَاعَه

٢٤٨ قَالَ بَعضُهُم نَحوِيّاً

رَأَى الصَّيفَ مَكتُوباً عَلَى بَابِ دَارِهِ ... فَصَحَّفَهُ ضَيفاً فَقَامَ إِلَى السَّيفِ
وَقُلنَا لَهُ خَيراً فَظَنَّ بِأَنَّنَا ... نَقُولُ خَبِيراً فَانبَرَى مِن الخَوفِ

٢٤٩ هَجَا آخَرُ طَبِيباً فَقَالَ

قَالَ حِمَارُ الطَّبِيبِ تُومَى ... لَو أَنصَفُونِي لَكُنتُ أَركَب
لِأَنَّنِي جَاهِلٌ بَسِيطٌ ... وَرَاكِبِي جَاهِلٌ مُرَكَّب

٢٥٠ قَالَ ابنُ عَبدِ رَبِّهِ يَهجُو رَجُلاً جَبَانًا

إذَا صَوَّتَ العُصفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ ... وَلَيثٌ حَدِيدُ النَّابِ عِندَ الثَّرَايِدِ

قَالَ آخَرُ

لَو أَنَّ حَيَّةَ عَقلِهِ فِي رِجلِهِ ... سَبَقَ الغَزَالَ وَلَم تَفُتهُ الأرنَبُ

٢٥١ قَالَ بَعضُهُم يَهجُو المُبَرِّدَ مُحَمَّدَ بنَ يَزِيدَ النَّحوِيَّ

سَأَلنَا عَن ثُمَالَةَ كُلَّ حَيٍّ ... فَقَالَ القَائِلُونَ وَمَن ثُمَالَه

فَقُلتُ مُحَمَّدُ بنُ يَزِيدَ مِنهُم ... فَقَالُوا الآنَ زِدتَ بِهِم جَهَالَه

٢٥٢ قَالَ غَيرُهُ

يَا قَبَّحَ اللهُ أَقوَامًا إذَا ذُكِرُوا ... بَنِي عُمَيرَةَ رَهطَ اللُّؤمِ وَالعَارِ

قَومٌ إذَا خَرَجُوا مِن سَوءَةٍ وَلَجُوا ... فِي سَوءَةٍ لَم يُجِنُّوهَا بِأَستَارِ

٢٥٣ قَالَت كُثَيِّرَةُ أَمَةُ آلِ الْمِنْقَرِيِّ فِي مَيَّةَ صَاحِبَةِ ذِي الرُّمَّه

أَلَا حَبَّذَا أَهلُ المَلَا غَيرَ أَنَّهُ ... إذَا ذُكِرَت مَيٌّ فَلَا حَبَّذَا هِيَا

عَلَى وَجهِ مَيٍّ مَسحَةٌ مِن مَلَاحَةٍ ... وَتَحتَ الثِّيَابِ الخِزيُ لَو كَانَ بَادِيَا

أَلَم تَرَ أَنَّ المَاءَ يَخلُفُ طَعمُهُ ... وَإِن كَانَ لَونُ المَاءِ أَبيَضَ صَافِيَا

إذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِن ضَرُورَةٍ ... تَوَلَّى بِأَضعَافِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيَا

٢٥٤ قِيلَ إنَّهُ افتَخَرَ رَجُلٌ عَلَى ابنِ الدَّهَّانِ الشَّاعِرِ فَأَجَابَهُ

لَا تَحسَبَنَّ أَنَّ بِالشِّعرِ مِثلَنَا سَتَصِيرُ

فَلِلدَّجَاجَةِ رِيشٌ لَكِنَّهَا لَا تَطِيرُ

ابن كلدة عند كسرى

٢٥٥ وفد ابن كلدة الثقفي على كسرى فانتصب بين يديه فقال له كسرى من أنت قال أنا الحارث بن كلدة قال أعرابي أنت قال نعم ومن صميمها قال فما صناعتك قال طبيب قال وما تصنع العرب بالطبيب مع جهلها وضعف عقولها وقلة قبولها وسوء غذائها قال ذلك أجدر أيها الملك اذا كانت بهذه الصفة أن تحتاج إلى ما يصلح جهلها ويقيم عوجها ويسوس أبدانها ويعدل أسنادها. قال الملك كيف لها بأن تعرف ما تعهده عليها لو عرفت الحق لم تنسب إلى الجهل قال الحارث أيها الملك إن الله جل اسمه قسم العقول بين العباد كما قسم الأرزاق وأخذ القوم نصيبهم ففيهم ما في الناس من جاهل وعالم وعاجز وحازم قال الملك فما الذي تجد في أخلاقهم وتحفظ من مذاهبهم قال الحارث لهم أنفس سخية وقلوب جرية وعقول صحيحة مرصية وأحساب نقية فمرق الكلام من أفواههم مروق السهم من الوتر ألين من الماء وأعذب من الهوا يطعمون الطعام ويضربون الهام وعزهم لا يرام وجارهم لا يضام ولا يروع إذا نام لا يقرون بفضل أحد من الاقوام ما خلا الملك الهمام الذي لا يقاس به أحد من الأنام قال كسرى لله درك من عربي لقد أصبت علماً وخصصت به من بين الحمق فطنة وفهماً ثم أمر بإعطائه وصلته وقضى حوائجه (لابن عبد ربه)

الباب الثاني عشر
في الألغاز

---

٢٥٦ وقد ألغز بعضهم في القلم

وأرقش مرهوف الشباة مهفهف — يشتت شمل الخطب وهو جميع
تدين له الآفاق شرقاً ومغرباً — وتعنو له ملاكها وتطيع
حمى الملك مفطوماً كما كان يحتمي — به الأسد في الآجام وهو رضيع

٢٥٧ وقال آخر فيه

وذي خضوع راكع ساجد — ودمعه من جفنه جاري
مواظب الخمس لأوقاتها — منقطع في خدمة الباري

٢٥٨ وقال غيره فيه

فلا هو يمشي لا ولا هو مقعد — وما إن له رأس ولا كف لامس
ولا هو حي لا ولا هو ميت — ولكنه شخص يرى في المجالس
يزيد على سم الأفاعي لعابه — يدب دبيباً في الدجى والحنادس
يفرق أوصالاً لصمت يخشه — ويفري به الأوداج تحت القلانس
إذا ما رآه العين تحقر شأنه — وهيهات يدنو النفس عند الكرادس

٢٥٩ وقيل أيضاً فيه

وأهيف مذبوح على صدر غيره — يترجم عن ذي منطق وهو أبكم
تراه قصيراً كلما طال عمره — ويضحي بليغاً وهو لا يتكلم

وجاء أيضاً فيه

تَصيرُ بما يُوحَى إلَيهِ وَمَا لَهُ لِسَانٌ وَلَا قَلبٌ وَلَا هُوَ سَامِعُ
كَأَنَّ ضَمِيرَ القلبِ بَاحَ بِسِرِّهِ إلَيهِ إذا ما حَرَّكَتهُ الأَصَابِعُ

٢٦٠ وجاء أيضاً في معناه

وَأَخرَسَ نَطوقٍ بِالمُحكَمَاتِ وَجُثمَانُهُ صَامتٌ أَجوَفُ
بِمَكَّةَ يَنطِقُ فِي خَفضِهِ وَبِالشَّامِ مَنطِقُهُ يُعرَفُ

٢٦١ قال آخر مُلغِزاً في دواة

وَمُرضِعَةٍ أولادَها بَعدَ ذَبحِهِم لَهَا لَبَنٌ مَا لَذَّ يَوماً لِشَارِبِ
وَفِي بَطنِهَا السِّكِّينُ وَالذِّي رَأسِهَا وَأَولادُهَا مَذخُورَةٌ لِلنَّوَائِبِ

٢٦٢ وَأَلغَزَ أبو الحسن بن البلمد الطَّيِّبُ النَّصرانِيُّ في الميزان

مَا وَاحِدٌ مُختَلِفُ الأَسمَاء يَعدِلُ فِي الأرضِ وَفِي السَّمَاء
يَحكُمُ بِالقِسطِ بِلَا رِيَاء أَعمَى يُرِي الإرشادَ كُلَّ رَاء
أَخرَسُ لَا مِن عِلَّةٍ وَدَاء يُغنِي عَنِ التَّصرِيحِ بِالإيمَاء
يُجِيبُ إن نَادَاهُ ذُو امتِرَاء بِالرَّفعِ وَالخَفضِ عَنِ النِّدَاء
يُفصِحُ إن عُلِّقَ فِي الهَوَاء

٢٦٣ قال آخر في النَّصبة

أَلَا قُل لِأَهلِ الرَّأيِ وَالعِلمِ وَالأَدَب وَكُلِّ بَصِيرٍ بِالأُمُورِ لَدَى أَرَب
أَلَا خَبِّرُونِي أَيَّ شَيءٍ رَأَيتُمُ مِنَ الطَّيرِ فِي أَرضِ الأَعَاجِمِ وَالعَرَب
قَدِيمٌ حَدِيثٌ قَد بَدَا وَهوَ حَاضِرٌ يُصَادُ بِلَا صَيدٍ وَإن جَدَّ فِي الطَّلَب

وَيُؤْكَلُ أحيانًا طَبِيخًا وَتارةً قَلِيًّا ومَشْوِيًّا إذا دُسَّ في اللَّهَب
وَليسَ لَهُ لَحْمٌ وَلَيسَ لَهُ دَمٌ وَليسَ لَهُ عَظمٌ وَلَيسَ لَه عَصَب
وَلَيسَ لَهُ رِجلٌ وَليسَ لَهُ يدٌ وَليس لَهُ رَأسٌ وَلَيسَ لَهُ ذَنَب
وَلا هُوَ حَيٌّ لا وَلا هُوَ مَيتٌ أَلا خبِّرُوني إنَّ هذا هُوَ العَجَب

٢٦٤ أَلغَزَ أبو محمد ابن الخَشّاب البغداديُّ في كتاب

وَذي أوجُهٍ لَكِنَّهُ غيرُ بائحٍ بِسِرٍّ وذُو الوَجهينِ لِلسِّرِّ مُظهِرُ
تُناجيكَ بالأَسرارِ أسرارُ وَجهِهِ فَتَسمَعُها بالعَينِ ما دُمتَ تَنظُرُ

٢٦٥ فلعَ لِأُسامةَ بن المُنقِذِ ضِرسٌ فقالَ فيهِ مُلغِزًا

وَصاحِبٍ لا أَمَلُّ الدَهرَ صُحبَتَهُ يَسعى لِنَفعي وَيَسعَى سَعيَ مُجتَهِدِ
لَم أَلقَهُ مُذ تَصاحَبنا فَحينَ بَدا لِناظِرَيَّ افتَرَقنا فُرقَةَ الأَبَدِ

٢٦٦ أَلغَزَ ابنُ زكريا بن سَلامةَ الحَصكفيُّ في نَعشِ المَوتى

أَتَعرِفُ شَيئًا في السَّما نَظِيرُهُ إذا سارَ صاحَ النّاسُ حَيثُ يَسِيرُ
فَتَلقاهُ مَركُوبًا وَتَلقاهُ راكِبًا وَكُلُّ أَميرٍ يَعتَليهِ أَسيرُ
يَحُضُّ عَلَى التَّقوى وَيُكرَهُ قُربُهُ وَتَنفِرُ مِنهُ النَّفسُ وَهوَ نَذِيرُ
وَلَم يُستَزَر عَن رَغبَةٍ في زِيارَةٍ وَلَكِن عَلَى رَغمِ المَزُورِ يَزُورُ

٢٦٧ وقد أحسَنَ الصاحبُ بهاءُ الدينِ زُهَيرٌ وَزِيرُ المَلِكِ الصّالحِ مُلغِزًا في قُفلٍ

وَأَسوَدَ عارٍ أَنحَلَ البَردُ جِسمَهُ وَما زالَ مِن أَوصافِهِ الحِرصُ وَالمَنعُ
وَأَعجَبُ شَيءٍ كَونُهُ الدَهرَ حارِسًا وَلَيسَ لَهُ عَينٌ وَلَيسَ لَهُ سَمعُ

٢٦٨ لغز في طاحونة

ومسرعة في سيرها طول دهرها — تراها مدى الأيام تمشي ولا تتعب
وفي سيرها ما تطعم الأكل ساعة — وتأكل مع طول المدى وهي لا تشرب
وما قطعت في السير خمسة أذرع — ولا تنتهي من ذراع ولا أقرب

٢٦٩ قال بعضهم في حذاء

مطيةٌ فارسها راجلٌ — تحمله وهو لها حاملُ
واقفةٌ في الباب مرذولةٌ — لا تشرب الدهرَ ولا تأكلُ

٢٧ قال غيره في الموز

ما اسم شيء حسن شكله — تلقاه عند الناس موزونا
تراه معدودا فإن زدته — واوا ونونا صار موزونا

٢٧١ قال آخر في النار

أيُّ صغيرٍ ينمو على محلٍ — يعيش بالريح وهي تهلكه
تطلب أقوى جسمٍ وتبلغه — أضعف جسمٍ يحب تدركه

٢٧٢ لغز آخر في يد الهاون

خبروني أيَّ شيءٍ — أوسعُ ما فيه فمه
وإنه في تطهير — فيه ويلكمه
وقد علا صياحه — ولم يجد من يرحمه

٢٧٣ وقال آخر في الإبرة

وذاتِ ذوائبٍ تجر طولا — وتراها في المجيء وفي الذهاب

بعين لم تذق للنوم طعماً ولا ذرفت لدمع ذي انسكاب
وما لبست مدى الأيام ثوباً وتكسو الناس أنواع الثياب

٢٧٤ ألغز الصلاح الصفدي في عقد

يا كاتباً بفضله كل أديب تشهد
ما اسم علل قلبه وفصله لا يجحد
ليس بذي جسم يرى وفيه عين ويد

٢٧٥ قال آخر في غزال

إسم من هاج خاطري أربع في صفوفه
فإذا زال ربعه زال باقي حروفه

٢٧٦ قال آخر في الماء

يموت ويحيى وهو ميت بنفسه ويمشي بلا رجل إلى كل جانب
ترى في حضيض الأرض طوراً وتارة تراه تسامى فوق طور السحائب

٢٧٧ قال آخر في مصراع الباب

عجبت لمحرومين من كل لذة يبيتان طول الليل يعتنقان
إذا أمسيا كانا على الناس مرصداً وعند طلوع الفجر يفترقان

٢٧٨ قال عنترة في نار

وما اسم ثلاثي له النفع والضرر له طلعة تغني عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا وليس له سمع وليس له بصر

ألباب الثالث عشر

في الوصف

٢٧٩ وصف النوسي غلاماً فقال يعرف المراد باللحظ كما يفهمه باللفظ ويعاين في الباطن ما يجري في الخاطر يرى النصح فرضاً تحب اداؤه والإحسان حتماً يلزم قضاؤه إن استرعي في الخدمة جهده خيل إليه أنه يذل عفوه ابث من الجدار إذا استمهل واسرع من البرق إذا استعجل (للثعالبي)

٢٨ تظلم رجل للمأمون من عامل له فقال له يا امير المؤمنين ما ترك لنا فضة الا فضها. ولا ذهبا إلا ذهب به ولا ماشية إلا مشى بها. ولا غلة إلا غلها ولا ضيعة الا اضاعها ولا علقاً إلا علقه ولا عرضاً إلا عرض له ولا جليلا إلا أجله ولا دقيقاً إلا دققه فعجب المأمون من فصاحته وقضى حاجته (للشريشي)

٢٨١ حدث ابن اعرابي قال اجرى هارون الرشيد الخيل فجاء فرس يقال له المشمر سابقاً وكان الرشيد معجباً بذلك الفرس فامر الشعرا ان يقولوا فيه فبدرهم ابو العتاهية فقال

جاء المشمر والافراس يقدمها هوناً على رسله منها وما انبهرا
وخلف الريح حسرى وهي جاهدة ومر يختطف الابصار والنظرا

فأجزل صلته وما جسر احد ان يجيز أبا العتاهية (الاغاني)

٢٨٢ لقيَ الحجاجُ أعرابياً فقال له ما بيدك فقال عصايَ أركزُها لصلاتي وأعدُّها لعُداتي وأسوقُ بها دابتي وأقوى بها على سفري. وأعتمدُ عليها في مشيتي لتتسعَ خطوتي وأثبُ بها على النهر. وتؤمنني العثرَ وألقي عليها كسائي فيقيني الحرَّ ويجنبني القرَّ وتدني إليَّ ما بَعُدَ عني. وهي تحملُ سفرتي وعلاقةُ إداوتي أقرعُ بها الأبوابَ وأتقي بها عقورَ الكلابِ وتنوبُ عن الرمحِ في الطعانِ وعن السيفِ عند منازلةِ الأقرانِ ورثتُها عن أبي وسأورثُها ابني من بعدي وأهشُّ بها على غنمي ولي فيها مآربُ أخرى. فبُهتَ الحجاجُ وانصرفَ (لها الدين)

٢٨٣ ذمَّ أعرابيٌّ رجلاً فقالَ إن سألَ ألحفَ وإن سُئِلَ سوَّفَ وإن حدثَ حلفَ وإذا وعدَ أخلفَ وإذا صنعَ أتلفَ وإذا طمع أفرق وإذا سامرَ نشفَ وإذا نامَ حوفَ وإذا همَّ بالعملِ الجميلِ توقفَ ينظرُ نظرَ الحسودِ ويُعرِضُ إعراضَ الجحودِ بينما هو خلٌّ ودودٌ إذا هو خلٌّ ودودٌ فاؤهُ شاسعٌ وصفهُ حائعٌ وشرُّه شائعٌ وسيرهُ ذائعٌ ولونهُ قانعٌ وخصمهُ دامعٌ ودمارهُ لامعٌ رديءُ المطلِ سيءُ المخبرِ يخلُ إذا أيسرَ ويهلعُ إذا أعسرَ. ويكذبُ إذا اعتذرَ. ويكفرُ إذا كبرَ إن عاهدَ غدرَ وإن خاصمَ فجرَ وإن حملَ أوقرَ وإن خوطبَ نفرَ

٢٨٤ سُئلَ ثياقدس عن المركب فكتبَ نبتَ بلا أساسٍ فهو مؤلفٌ.

وَسُئِلَ عَنِ اللهِ سُبحانَهُ فكَتَبَ معقولٌ مجهولٌ واحدٌ لا نظيرَ لهُ مطلوبٌ عن مُدرِكٍ سُبحانَهُ لا إلهَ إلا هُوَ وسُئِلَ عَنِ الموتِ فكَتَبَ نومٌ لا انتباهَ معَهُ راحةُ المرضى نقصُ النَّسَبِ انفصالُ الاتصالِ. الرُّجوعُ الى العُنصرِ شهوةُ الفقرا فزعُ الاغنيا سفرُ البَدَنِ فقدانُ الإخوانِ وسُئِلَ عنِ الهرمِ فكَتَبَ مرضٌ يُشتهى مرضُ الأصحا موتُ الحياة صاحبهُ ميتٌ يتحركُ وسُئِلَ عنِ المالِ فكَتَبَ خادمُ الشهواتِ همٌّ في كلِّ يومٍ سرٌّ مخبوءٌ وسُئِلَ عنِ الحُسنِ فكَتَبَ تصويرٌ طبيعي زهرةٌ تذبلُ وسُئِلَ عنِ الشمسِ فكَتَبَ عينُ الفلكِ النهاري علةُ العورات وسببُ التراب وعنِ القمرِ فكَتَبَ عقبُ الشمسِ سراجُ ليلي وسُئِلَ عنِ الإنسانِ فكَتَبَ ملعبةُ البختِ مطلوبُ السنين أمةُ الارض وسُئِلَ عنِ الأرضِ فكَتَبَ قاعدةُ الفلكِ (على زعم الاقدمين) أصلٌ ثابتٌ في الهواء. أُمُّ التراب وسُئِلَ عنِ الفلاحِ فكَتَبَ خادمُ الغذا وسُئِلَ عنِ الاعداء فكَتَبَ

انى بُليتُ بأربعٍ لم يُخلقوا إلا لشدةِ شقوتي وعنائي
إبليسُ والدنيا ونفسي والهوى كيفَ الخلاصُ وكلهم أعدائي

٢٨٥ وَصفَ الكاتبُ محمودٌ كاتباً فقال وهذا فلانٌ آتاهُ اللهُ الحكمةَ وفصلَ الخطابِ ومكنهُ من أزمةِ جياد المعاني فهي تجري بأمرهِ رُخاءً حيثُ أصابَ ومنحهُ فصلى العلم والعمل فإذا كتبَ

أَحدَثِ الأَرضُ زُخرُفَها وازَّيَنَت (الكنز المدفون)

٢٨٦ وقد أحسنَ الشاعرُ في وصفِ الطاووس حيثُ قالَ

سُبحانَ مَن مِن خلقِهِ الطاووسُ طيرٌ على اشكالِهِ رئيسُ
تَشرُقُ في دارَاتِهِ شُموسُ في الرأسِ منهُ شجرٌ مغروسُ
كأنهُ بنفسَجٌ يَميسُ او هُو زهرٌ حَرمٍ يَبيسُ

٢٨٧ قال بعضُهم في وصفِ الفُستُق

كأنما الفُستُقُ المملوحُ حينَ بدا مُستَفحاً في لطفِ الطائرِ
واللُبُّ ما بين قشرٍ به يلوحُ لنا كألسنِ الطيرِ ما بينَ المناقرِ

٢٨٨ وقيلَ في الفُستُقِ ايضاً

تفكرتُ في معنى الثمارِ فلم أجد لها ثمرًا تبدو بحُسنٍ مجرّدِ
سوى الفُستُقِ الرطبِ الجني فإنّهُ زها بثيابٍ زُيّنت بمجرّدِ
غلالةُ مرجانٍ على جسمِ فضةٍ واحشاءُ ياقوتٍ وقلبُ زبرجدِ

٢٨٩ قال ابنُ الأرمويِّ يصفُ الجُلّنارَ

بدا لنا الجُلّنارُ في القُضُبِ والطَّلُّ يبدو عليهِ كالحَبَبِ
كأنما اكؤس العقيقِ بهِ قد مُلئت من بُرادةِ الذهبِ

٢٩٠ ومما جاءَ في وصفِ الأزهارِ والربيعِ قولُ بعضهم

غدونا على الروضِ الذي طلّهُ الندى سُحيرًا واوداجُ الاباريقِ تُسفَكُ
فلم ترَ شيئاً كانَ احسنَ منظرًا من النورِ يجري دمعُهُ وهوَ يضحكُ

٢٩١ قالَ بعضُ الشعراء يصفُ الربيعَ

مَرحبًا بالربيع في آذار وبإشراق نجمه الأنوار
من شقيق وأقحوان وورد وخزام ونرجس وبهار

٢٩٢ قال غيره

أما ترى الأرض قد أعطتك زهرتها بخضرة واكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء في حواشيها وللربيع ابتسام في نواحيها

٢٩٣ قال آخر في الغمام

انّ السماء إذا لم تبك مقلتها لم تضحك الأرض عن شيء من الزهر
والأرض لا تجتلي أنوارها أبدًا إلّا إذا رمدت من شدة المطر

٢٩٤ قال أبو الحزم بن جهور في الورد

ألورد أحسن ما رأت عيني وأذ كى ما سقى ماء السحاب الجامد
خضعت نواوير الرياض لحسنه فتذللت تنقاد وهي شوارد
وإذا تبدّى الغصن في أغصانه يزهو فذا ملك وهذا حاسد
وإذا أتى وفد الربيع مبشرًا بطلوع وفدته فنعم الوافد
ليس المبشر كالمبشر باسمه خبر عليه من النبوة شاهد
وإذا تعرّى الورد من أوراقه بقيت عوارفه فهن خوالد

٢٩٥ قال آخر في الياسمين

والأرض تبسم عن ثغور رياضها والأفق تسفر تارة وتقطب
وكأن خضر الرياض ملاءة والياسمين لها طراز مذهب

٢٩٦ قال الأخطل الأهوازي في السوسن

سَمَا لِلأرض إذَا مَا هَبَّ تَنْهَجِي · بَعد الهُدُوّ بِهَا قَرعُ النَّوَاقِيسِ
كَأنَّ سُوسَنَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ · عَلَى المَيَادِينِ أذنَابُ الطَّوَاوِيسِ

٢٩٧ وَقِيلَ فِي السَفَرجَلِ

حَازَ السَّفَرجَلُ لَذَّاتِ الوَرَى فَغَدَا · عَلَى الفَوَاكِهِ بِالتَّفضِيلِ مَشهُورَا
كَالرَّاحِ طَعمًا وَشَمِّ المِسكِ رَائِحَةً · وَالتِّبرِ لَونًا وَشَكلِ البَدرِ تَدوِيرَا

٢٩٨ وَقِيلَ فِي الخَوخِ

وَرِمَاحِ نَصرِ طَعنٍ وَضَربٍ · مِل لِلأَكلِ وَمَصٍّ لُبٍّ وَرَشفٍ
كُلٌّ فِي اسْتِوَائِهَا وَاسْتِقَامَتْ · بِاعتِدَالٍ وَحُسنِ قَدٍّ وَلُطفِ

٢٩٩ قَالَ آخَرُ يَصِفُ نَاعُورَه

وَنَاعُورَةٍ قَالَت وَقَد حَالَ لَونُهَا · وَأَضلُعُهَا كَادَت تُعَدُّ مِنَ السُّقمِ
أَدُورُ عَلَى قَلبِي لِأَنِّي فَقَدتُهُ · وَأَمَّا دُمُوعِي فَهيَ تَجرِي عَلَى جِسمِي

٣٠٠ قَالَ البُحتُرِيُّ يَصِفُ الشَّامَ

عَنِيتُ بِشَرقِ الأَرضِ قِدمًا وَغَربِهَا · أُجَوِّبُ فِي آفَاقِهَا وَأَسِيرُهَا
فَلَم أَرَ مِثلَ الشَّامِ دَارَ إِقَامَةٍ · لِرَاحٍ أُغَادِيهَا وَكَأسٍ أُدِيرُهَا
مُصِحَّةُ أَبدَانٍ وَنُزهَةُ أَعيُنٍ · وَلَهوُ نُفُوسٍ دَائِمٌ لِي سُرُورُهَا
مُقَدَّسَةٌ جَادَ الرَّبِيعُ بِلَادَهَا · فَفِي كُلِّ أَرضٍ رَوضَةٌ وَغَدِيرُهَا

٣٠١ أَحسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصفِ الشِّطرَنجِ قَولُ ابنِ المُعتَزِّ

يَا عَائِبَ الشِّطرَنجِ مِن جَهلِهِ · وَلَيسَ فِي الشِّطرَنجِ مِن بَاسِ
فِي فَهمِهَا عِلمٌ وَفِي لِعبِهَا · شُغلٌ عَنِ الغِيبَةِ لِلنَّاسِ

وَتَشغلُ الهامَ عن خُرْبه وَصاحِبِ الكَاسِ عن الكاسِ
وصَاحِبُ الحَرب يَدبيرِهَا يَزدَادُ فِي البدهِ وَالبَاسِ
وأَهلُها في حُسنِ آدابهم مِن خيرِ أَصحَابٍ وَخُلاس

٣٠٢ وَقد أحسن ابن دُقيقِ العيدِ فِي وصف وزيرٍ كثيرِ اللَّوْن

مُقبِلٌ مُدبِرٌ بعيدٌ قريبٌ مُحسِنٌ مُذنِبٌ عدوٌّ حبيبٌ
عَجَبٌ من عجائبِ البَرِّ والبَحرِ وَنوعٌ فردٌ وشكلٌ غريبٌ

٣٠٣ قال إسحاق بن خلفٍ البهرانيُّ في وصف النحو

أَلنحو يُصلِحُ مِن لسانِ الأَلكَنِ والمرءُ تُعظِمُهُ إذا لَم يَلحنِ
فإذا طلبت مِنَ العُلوم أجلَّها فأجلُّها مِنها مُقيمُ الأَلسُنِ

٣٠٤ وَصف ابن بِشرَويه الحُمَّى قال

وزائرةٍ تزورُ بلا رقيبٍ وَتنزِلُ بالفتى من غير حُبِّه
وَما أحدٌ يُحِبُّ القُربَ مِنها ولا يَخلو زيارتُها بقلبه
تبيتُ بباطن الأحشاء مِنهُ وَتُطلِقُ سدها مِن عظمِ كَربِه
وتمنَعُهُ لذيذَ العيشِ حتى تنغِّصهُ بمأكلِه وشُربِه
أتت لزيارتي من غيرِ وعدٍ وَكم مِن زائرٍ لا مَرحبًا بِه

قال بعضُ الشعراء يصفُ فِراقَ الخِلانِ

أَلقَلبُ من فُرقة الخِلانِ يحترقُ والدمعُ كالدُرِّ في الخدينِ يستبقُ
إن فاضَ ماءُ دُموعي لم يَكُن عجبًا ألعودُ يقطرُ ماءً وَهو مُحترقُ

ألبابُ الرّابع عشرَ
في الحكايات

ابن الزبير ومعاوية

٣٠٥ كانَ لِعبدِ اللهِ بنِ الزُبيرِ ارضٌ وكان لهُ فيها عبيدٌ يعملون فيها وَإلى جانبِها أرضٌ لِمعاويةَ وفيها ايضاً عبيدٌ يعملون فيها فدخل عبيدُ معاويةَ في ارضِ عبدِ اللهِ بنِ الزُبيرِ فكتبَ عبدُ الله كتاباً الى معاويةَ يقولُ لهُ فيهِ أمّا بعدُ يا معاويةُ فإن عبيدكَ قد دخلوا في أرضي فانهَهُم عن ذلكَ وإلّا كانَ لي ولكَ شانٌ والسلامُ. فلمّا وقفَ معاويةُ على كتابهِ وقرأهُ دفعهُ إلى ولدِهِ يزيد فلمّا قرأهُ قال لهُ معاويةُ يا بُنَيَّ ما ترى قالَ أرى أن تبعثَ إليهِ جيشاً يكونُ اولُهُ عندهُ وآخِرُهُ عندكَ يأتونكَ برأسِهِ فقالَ بل غيرُ ذلكَ خيرٌ منهُ يا بُنَيَّ ثمَّ أخذَ ورقةً وكتبَ فيها جوابَ كتابِ عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ يقولُ فيهِ أمّا بعدُ فقد وقفتُ على كتابِ ولدِ حواريِ رسولِ الله وساءني ما ساءهُ والدنيا بأسرِها هيّنةٌ عندي في جنبِ رضاهُ نزلتُ عن ارضي لكَ فأضِفها الى أرضكَ بما فيها منَ العبيدِ والأموالِ وَالسلامُ فلمّا وقفَ عبدُ اللهِ بنُ الزُبيرِ على كتابِ معاويةَ كتبَ اليهِ قد وقفتُ على كتابِ أميرِ المؤمنينَ أطالَ اللهُ بقاءهُ ولا اعدمهُ الرأيَ الذي احلّهُ من قريشٍ هذا المحلَّ والسلامُ فلمّا وقفَ معاويةُ على كتابِ عبدِ اللهِ بن

الرشيد وقرأه ثم رمى به إلى ابنه يزيد فلما قرأه تهلل وجهه وأسفر فقال له أبوه يا بني من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال إليه القلوب فإذا ابتليت بشيء من هذه الأدواء فداوه بمثل هذا الدواء

المنصور ومحمد بن جعفر

٣٠٦ قيل كان المنصور معجباً بمحادثة محمد بن جعفر ولعظم قدره يفزعون إليه في الشفاعات فثقل ذلك على المنصور فحجبه مدة ثم لم يصبر عنه فأمر الربيع ان يكلمه في ذلك فكلمه وقال اعف أمير المؤمنين لا تثقل عليه في الشفاعات فقبل ذلك منه فلما توجه إلى الباب اعترضه قوم من قريش معهم رقاع فسألوه إيصالها إلى المنصور فقص عليهم القصة فأبوا إلا ان يأخذها فقال اقذفوها في كمي ثم دخل عليه وهو في الخضراء مشرف على مدينة السلام وما حولها من البساتين فقال له اما ترى إلى حسنها يا ابا عبد الله فقال له يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيما آتاك وهنأك بإتمام نعمته عليك فيما اعطاك فما بنت العرب في دولة الإسلام ولا العجم في سالف الايام احصن ولا أحسن من مدينتك ولكن سمجتها في عيني خصلة قال وما هي قال ليس لي فيها ضيعة فتبسم وقال قد حسنتها في عينك بثلاث ضياع قد اقطعتكها فقال لله درك يا أمير المؤمنين انك شريف الموارد كريم المصادر فجعل الله تعالى

بأبي عمرك أكثر من ما صبه ثم قام معه نوبة ذلك . فلما نهض ليقوم نتب الرواع من كمه فحمل يرده ويقول ارجعن خائبات خاسرات فضحك المنصور وقال يحق عليك إلا أخبرتني وأعلمتني بخبر هذه الرقاع فأعلمه وقال ما أنت يا ابن معلم الخير إلا كما قال عبد الله بن معاوية

لسنا وإن أحسابنا كرمت يوماً على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

ثم نصح الرقاع وقضى حوائجهم عن آخرها (للاتشيهي)

عدل عمر بن الخطاب بما اداه لعجوز من فقرا رعيته

٣٠٧ ذكر في كتاب المغازي عن عبد الله بن العباس عن أبيه قال خرجت ليلة حالكة وقصدا دار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فما وصلت إلى نصف الطريق الا ورأيت شخصاً أعرابيا حذيني بوتي فقال الرمي يا عباس فتأملت الاعرابي فاذا هو امير المؤمنين عمر وهو متنكر فتقدمت اليه وسلمت عليه وقلت له الى اين يا أمير المؤمنين قال أريد حوله بين أحياء العرب في هذا الليل الدامس وكانت ليلة قر فتبعته فسار وأنا وراءه وجعل يجول بين خيام الاعراب وبيوتهم ويتأملها إلى ان اتينا على جميعها واوشكنا ان نخرج منها فنظرنا واذا هناك خيمة وفيها امرأة عجوز وحولها صبية يقولون عليها ويبكون وأمامها اثافي عليها قدر وتحتها النار تشتعل

وَهِيَ تَقُولُ لِلصِّبْيَةِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِيَّ قَلِيلًا وَيَنْضَجُ الطَّعَامُ فَتَأْكُلُونَ فَوَقَفْنَا بَعِيدًا مِنْ هُنَاكَ وَجَعَلَ عُمَرُ يَتَأَمَّلُ الْعَجُوزَ تَارَةً وَيَنْظُرُ إِلَى الْأَوْلَادِ أُخْرَى فَطَالَ الْوُقُوفُ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الَّذِي يُوقِفُكَ بِنَا فَقَالَ وَاللَّهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَرَاهَا قَدْ صَبَّتْ لِلصِّبْيَةِ فَأَكَلُوا وَاكْتَفَوْا فَوَقَفْنَا وَقَدْ طَالَ وُقُوفُنَا جِدًّا وَمَلِلْنَا الْمَكَانَ خَوْفًا أَنْ تَسْتَرِيبَ بِنَا الْعُيُونُ وَالصِّبْيَةُ لَا يَزَالُونَ يَصْرُخُونَ وَيَبْكُونَ وَالْعَجُوزُ تَقُولُ لَهُمْ مَقَالَتَهَا رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِيَّ قَلِيلًا وَيَنْضَجُ الطَّعَامُ فَتَأْكُلُونَ فَقَالَ لِي عُمَرُ ادْخُلْ بِنَا عِنْدَهَا لِنَسْأَلَهَا فَدَخَلَ وَدَخَلْتُ وَرَاءَهُ فَقَالَ لَهَا عُمَرُ السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا خَالَةُ فَرَدَّتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ أَحْسَنَ رَدٍّ فَقَالَ لَهَا مَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصِّبْيَةِ يَتَصَارَخُونَ وَيَبْكُونَ. فَقَالَتْ لَهُ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجُوعِ فَقَالَ لَهَا وَلِمَ لَمْ تُطْعِمِيهِمْ مِمَّا فِي الْقِدْرِ فَقَالَتْ لَهُ وَمَاذَا فِي الْقِدْرِ لِأُطْعِمَهُمْ لَيْسَ هُوَ إِلَّا عِلَالَةً فَقَطْ إِلَى أَنْ يَضْجَرُوا مِنَ الْعَوِيلِ فَيَغْلِبَهُمُ النَّوْمُ وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ لِأُطْعِمَهُمْ. فَتَقَدَّمَ عُمَرُ إِلَى الْقِدْرِ وَنَظَرَهَا فَإِذَا فِيهَا حَصْبَاءُ وَعَلَيْهَا الْمَاءُ يَغْلِي فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا مَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ فَقَالَتْ أُوهِمُهُمْ أَنَّ فِيهَا شَيْئًا يُطْبَخُ فَيُؤْكَلُ فَأُعَلِّلُهُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا ضَجِرُوا وَغَلَبَ النَّوْمُ عُيُونَهُمْ نَامُوا فَقَالَ لَهَا عُمَرُ وَلِمَاذَا أَنْتِ هَكَذَا فَقَالَتْ لَهُ أَنَا مَقْطُوعَةٌ لَا أَخٌ لِي وَلَا أَبٌ وَلَا زَوْجٌ وَلَا قَرَابَةٌ فَقَالَ لَهَا لِمَ لَمْ تَعْرِضِي أَمْرَكِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَجْعَلُ لَكِ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فَقَالَتْ لَهُ لَا

جنا الله عمر وبكس الله اعلامه والله إنه ظلمني فلما سمع عمر مقالتها ارتاع من ذلك وقال لها يا خالة بماذا ظلمك عمر بن الخطاب قالت له نعم والله ظلمنا إن الراعي عليه ان يفتش على حال كل من رعيته لعله يوجد فيها من هو مثلي ضيق اليد كثير الصبية ولا معين ولا مساعد له فيتولى لوازمه ويسمح له من بيت المال بما يقوته وعياله او صبيته فقال لها عمر ومن اين يعلم عمر بحالك وما أصابك من الفاقة مع كثرة الصبية كان يجب عليك ان تتقدمي وتعلميه بأمرك فقالت لا والله ان الراعي الحر يجب عليه ان يفتش على احتياجات رعيته خصوصا وعموما فلعل ذلك الشخص الفقير الحال الضيق اليد عاقه حياؤه ومنعه من التقدم الى راعيه ليعلمه بحاله وعلى عمر السؤال عن حال الفقراء في رعيته اكثر من تقدم الفقير إلى مولاه لإعلامه بحاله والراعي الحر إذا اهمل ذلك فيكون هذا ظلما منه وهذه سنة الله ومن تعداها فقد ظلم فبعد ذلك قال لها عمر صدقت يا خالة ولكن عللي الصبية والساعة آتيك ثم خرج وخرجت معه وكان قد بقي من الليل ثلثه الأخير فمشينا والكلاب تنبحنا وأنا اطردها وادفعها عني وعنه إلى ان انتهينا الى باب الدخيرة ففتحه وحده ودخل وأمرني فدخلت معه فنظر يمينا وشمالا فعمد الى كيس من الدقيق يحوي على مائة رطل ونيف فقال لي يا عباس حول على كتفي فحملته اياه ثم قال لي احمل انت هاتيك جرة السمن واشار لي الى جرة هناك

فحملها وخرجنا وأقفل الباب وسرنا وقد أنهار من الدقيق على لحيته وعنقه وجبينه فمشينا إلى أن أصبحنا وقد أتعبه الحمل لأن المكان كان بعيد المسافة فعرضت نفسي عليه وقلت له بأبي وأمي يا أمير المؤمنين حول الكيس عنك ودعني أحمله فقال لا والله أنت لا تحمل عني جرائمي وظلمي يوم الدين واعلم يا عباس أن حمل جبال الحديد وثقلها خير من حمل ظلامة كبرت او صغرت ولاسيما هذه العجوز تعلل أولادها بالحصى يا له من ذنب عظيم عند الله سر بنا وأسرع يا عباس قبل أن تضجر الصبية من العويل فسرنا كما قال فسار وأسرع وأنا معه وهو يلهث لهث الثور من التعب إلى أن وصلنا خيمة العجوز فعند ذلك حول كيس الدقيق عن كتفه ووضع جرة السمن امامه فتقدم هو بذاته وأخذ القدر وكب ما فيها ووضع فيها السمن وحمل بحانيه الدقيق ثم نظر فاذا النار قد كادت تطفأ فقال للعجوز اعندك حطب قالت نعم يا ابني واشارت له إليه فقام وجاء بقليل منه وكان الحطب أخضر فوضع منه في النار ووضع القدر على الاثافي وجعل ينكس رأسه الى الارض وينفخ بفمه تحت القدر فوالله اني رأيت دخان الحطب يخرج من خلال لحيته وقد كنس بها الارض اذ كان يطأطئ رأسه ليتمكن من النفخ ولم يزل هكذا حتى اشتعلت النار وذاب السمن وابتدأ غليانه فجعل يحرك السمن بعود في يده الواحده ويخلط من الدقيق مع السمن في يده الأخرى

إلى أن أنضج والصبية حوله يتصارخون فلما طاب الطعام طلب من
العجوز إناء فأتته به فجعل يصب الطبيخ في الإناء وينفخه بفمه ليبرده
ويلقم الصغار ولم يزل يفعل هكذا معهم واحدا بعد واحد حتى أتى
جميعهم وشبعوا واكتفوا وقاموا يلعبون ويضحكون مع بعضهم إلى
ان غلب عليهم النوم فناموا فالتفت عمر عند ذلك إلى العجوز وقال
لها ما حالك أنا من قرابة أمير المؤمنين عمر وسأذكر له حالك فأتيني
غدا صباحا في دار الإمارة فتجديني هناك فارجي خيرا ثم ودعها
عمر وخرج وخرجت معه فقال لي يا عباس والله إني حين رأيت العجوز
تعلل صبيتها بحصى حسبت ان الجبال قد زلزلت واستقرت على
ظهري حتى إذا جئت بما جئت وأطعمتهم ما طبخته لهم واكتفوا
وجلسوا يلعبون ويضحكون فحينئذ شعرت ان تلك الجبال قد سقطت
عن ظهري ثم أتى عمر داره وأمرني فدخلت معه وبتنا ليلتنا ولما
كان الصباح أتت العجوز فاستحضرها وجعل لها ولصبيتها راتبا من
بيت المال تستوفيه شهرا فشهرا (للإتليدي)

معاوية والزرقاء

٣٨ حكي عن معاوية أنه لما ولي الخلافة وانتظمت إليه الأمور
وامتلأت منه الصدور وأذعن لأمره الجمهور وساعده القدر في
مراده استحضر ليلة خواص أصحابه وذاكرهم وقائع أيام صفين ومن
كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين فانهمكوا في القول الصحيح

الصحيح

وَالمَرِيص وَآلَ حَدِيثُهُم إلَى مَن كَانَ يَجْهَدُ فِي إِيقادِ نَارِ الحَرب
عَلَيهِم بِزِيَادَةِ التَّحرِيص فَقَالُوا امرَأَةٌ مِن أَهلِ الكُوفَةِ تُسَمَّى الزَّرقَاءَ
بنتَ عَدِيٍ كَانَت تَعتَمِدُ الوُقُوفَ بَينَ الصُّفُوفِ وَتَرفَعُ صَوتَهَا
صَارِخَةً يَا أَصحَابَ عَلِيٍ تُسمِعُهُم كَلَامًا كَالصَّوَارِمِ مُستَحِثَّةً لَهُم بِقَولٍ
لَو سَمِعَهُ الجَبَانُ لَقَاتَلَ وَالمُدبِرُ لَأَقبَلَ وَالمُسَالِمُ لَحَارَبَ وَالفَارُّ لَكَرَّ.
وَالمُتَزَلزِلُ لَاستَقَرَّ فَقَالَ لَهُم مُعَاوِيَةُ أَيُّكُم يَحفَظُ كَلَامَهَا قَالُوا
كُلُّنَا نَحفَظُهُ قَالَ فَمَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِيهَا قَالُوا نُشِيرُ بِقَتلِهَا فَإِنَّهَا أَهلٌ
لِذَلِكَ فَقَالَ لَهُم مُعَاوِيَةُ بِئسَمَا أَشَرتُم بِهِ وَقُبحًا لِمَا قُلتُم أَيَحسُنُ أَن
يَشتَهِرَ عَنِّي أَنَّنِي بَعدَمَا ظَفِرتُ وَقَدَرتُ قَتَلتُ امرَأَةً قَد وَفَت لِصَاحِبِهَا
إِنِّي إِذًا لَلَئِيمٌ. لَا وَاللهِ لَا فَعَلتُ ذَلِكَ أَبَدًا ثُمَّ دَعَا بِكَاتِبِهِ فَكَتَبَ
كِتَابًا إِلَى وَالِيهِ بِالكُوفَةِ أَن أَوفِد إِلَيَّ الزَّرقَاءَ بِنتَ عَدِيٍ مَعَ نَفَرٍ
مِن عَشِيرَتِهَا وَفُرسَانٍ مِن قَومِهَا وَمَهِّد لَهَا وِطَاءً لَيِّنًا وَمَركَبًا ذَلُولًا.
فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيهِ الكِتَابُ رَكِبَ إِلَيهَا وَقَرَأَهُ عَلَيهَا فَقَالَت بَعدَ قِرَاءَةِ
الكِتَابِ مَا أَنَا بِزَائِغَةٍ عَنِ الطَّاعَةِ فَحَمَلَهَا فِي هَودَجٍ وَجَعَلَ غِشَاءَهُ
خَزًّا مُبَطَّنًا ثُمَّ أَحسَنَ صُحبَتَهَا فَلَمَّا قَدِمَت عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهَا
مَرحَبًا وَأَهلًا خَيرُ مَقدَمٍ قَدِمَهُ وَافِدٌ كَيفَ حَالُكِ يَا خَالَةُ وَكَيفَ
رَأَيتِ سَيرَكِ قَالَت خَيرَ مَسِيرٍ فَقَالَ هَل تَعلَمِينَ لِمَ بَعَثتُ إِلَيكِ
قَالَت لَا يَعلَمُ الغَيبَ إِلَّا اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ أَلَستِ رَاكِبَةَ
الجَمَلِ الأَحمَرِ يَومَ صِفِّينَ وَأَنتِ بَينَ الصُّفُوفِ تُوقِدِينَ نَارَ الحَربِ

وتحرص على القتال قال نعم قال فما حملك على ذلك قال يا امير المؤمنين انه قد مات الرأس وبتر الذنب والدهر ذو عبر ومن تفكر ابصر والأمر يحدث بعده الامر فقال صدقت فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت قالت لا والله قال لله أبوك فلقد سمعتك تقولين أيها الناس إن المصباح لا يضيء في الشمس وإن الكواكب لا تضيء مع القمر وإن البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد الا بالحديد ألا من استرشدنا ارشدناه ومن سألنا اخبرناه إن الحق كانت تطلب ضالة فاصابها فصبرا يا معشر المهاجرين والانصار فكأنكم وقد التام شمل الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطله فانه لا يستوي المحق والمبطل أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون فالنزال النزال والصبر الصبر ألا وإن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير الامور عاقبة. إيتوا الحرب غير ناكصين فهذا يوم له ما بعده يا زرقاء أليس هذا قولك وتحريضك قالت لقد كان ذلك قال لقد شاركت عليا في كل دم سفكه فقالت أحسن الله بشارتك يا امير المؤمنين وادام سلامتك مثلك من بشر بخير وسر جليسه فقال معاوية اوقد سرك ذلك قالت نعم والله لقد سرني قولك وأنى لي بتصديقه فقال لها معاوية والله لوفاؤكم له بعد موته اعجب الي من حبكم له في حياته فاذكري حوائجك تقض فقالت

يا أمير المؤمنين إني آليت على نفسي أن لا أسأل أحدا بعد علي حاجة. فقال قد أشار علي بعض من عرفك بتلك. فقالت لؤم من المشير ولو أطعته لشاركته. قال كلا بل نعفو عنك ونحسن إليك ورعاك. فقالت يا أمير المؤمنين كرم منك ومثلك من قدر فعفا وتجاوز عمن أساء وأعطى من غير مسألة. فأعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة تغل لها في كل سنة عشرة آلاف درهم وأعادها إلى وطنها سالمة وكتب إلى والي الكوفة بالوصية بها وبعشيرتها (للاتليدي)

رجلان كريمان حصلا على الإمارة بكرمهما

٣٩ كان في أيام خلافة سليمان بن عبد الملك رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني أسد مشهود بالمروءة والكرم والمواساة وكانت نعمته وافرة. فلم يزل على تلك الحالة من الكرم حتى احتاج إلى إخوانه الذين كان يواسيهم ويتفضل عليهم. فآسوه حينا ثم ملوه فلما لاح منهم ذلك أتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها يا ابنة العم رأيت من إخواني تغيرا عما عهدت منهم وقد عزمت على لزوم بيتي إلى أن يأتيني الموت. ثم إنه أغلق بابه وأقام يتقوت بما عنده حتى نفد جميعه وبقي حائرا في أمره. وكان يومئذ عكرمة الفياض واليا على الجزيرة. فبينما هو جالس في ديوانه وعنده جماعة من أهل البلد من معارفه إذ جرى ذكر خزيمة بن بشر. فسألهم عكرمة عن حاله

فقالوا له إنه بأسوء حال من الفقر وقد اغلق بابه ولزم بيته فقال
عكرمة الفياض اما وجد خزيمة بن بشر مواسيا او مكافيا فقالوا له
لا فامسك عكرمة عن ذلك وكان عكرمة في الكرم بالمنزلة العظيمة
وقد سمي الفياض لزيادة كرمه وجوده ثم ان عكرمة انتظر إلى أن
دخل الليل فعمد إلى اربعة آلاف دينار فجعلها في كيس وأمر
باسراج دابته فركبها وخرج سرا من عند اهله وسار ومعه غلام واحد
يحمل المال وكان الليل قد انتصف فلم يزل سائرا حتى وقف على باب
خزيمة فنزل عن دابته بعيدا عن الباب وامسكها لغلامه واخذ منه
الكيس واتى به وحده الى الباب وقرعه فخرج خزيمة فقال له
عكرمة وقد نكر صوته خذ هذا اصلح به شأنك فتناوله خزيمة فرآه
ثقيلا فوضعه وقبض على ذيل عكرمة وقال له اخبرني من انت جعلت
فداك فقال له عكرمة ما جئتك في مثل هذا الوقت وأريد ان
تعرفني فقال له خزيمة والله لا اقبله ما لم تخبرني من انت فقال له
عكرمة انا جابر عثرات الكرام فقال خزيمة زدني ايضاحا فقال له
عكرمة لا والله وانصرف فدخل خزيمة بالكيس الى امرأته وقال
لها ابشري فقد اتى الله بالفرج فقومي أسرجي فقالت لا سبيل الى
السراج لانه ليس لنا زيت فبات خزيمة يلمس الكيس فيجد
خشونة الدنانير ولما رجع عكرمة الى منزله ساءته امرأته فيم خرج
متهددا من الليل منفردا فاجابها ما كنت لاخرج في وقت كما

وأريد أن يعلم أحد بما خرج إليه إلا الله قط فقال له عكرمة لا بد لي
أن أعلم ذلك وصاحت وباحت وألحت عليه بالطلب فلما رأى
أنه ليس له بد قال لها أخبرك بالأمر فاكتميه إذًا قالت له قل ولا
بأس بذلك فأخبرها بالقصة على وجهها أما ما كان من خزيمة فإنه
لما أصبح صالح غرماءه وأصلح شأنه وتجهز للسفر يريد الخليفة سليمان
ابن عبد الملك فدخل الحاجب وأخبر سليمان بوصول خزيمة بن بشر
وكان سليمان يعرفه جيدا بالمروءة والكرم فأذن له فلما دخل خزيمة
وسلم عليه بالخلافة قال له سليمان يا خزيمة ما أبطأ بك قال سوء
الحال يا أمير المؤمنين قال فما منعك النهضة إلينا قال خزيمة ضعفي
يا أمير المؤمنين وقلة ما بيدي قال فمن أنهضك الآن قال خزيمة لم
أشعر يا أمير المؤمنين بعد هدأة من الليل إلا والباب يطرق فخرجت
فرأيت شخصا وكان منه كيت وكيت وأخبره بقصته من أولها إلى
آخرها فقال له أما عرفته فقال خزيمة ما سمعته منه يا أمير المؤمنين
إلا حين سألته عن اسمه قال أنا جابر عثرات الكرام قال فتلهف
سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال لو عرفناه لكافأناه على مروءته
ثم قال علي بالكاتب فحضر إليه فكتب لخزيمة الولاية على الجزيرة
وجميع عمل عكرمة وأجزل له العطاء وأحسن صلاته وأمره بالتوجه من
وقته إلى الولاية فقبل الأرض خزيمة وتوجه من ساعته إلى الجزيرة
فلما قرب منها خرج عكرمة وكان قد بلغه عزله وأقبل لملاقاة خزيمة

مَعَ جَمِيعِ أعيانِ البَلَدِ وسَلَّمُوا عَلَيهِ وسَارُوا جَمِيعًا إلى أن دَخَلُوا بِهِ البَلَدَ . فنزل خُزيمة في دَارِ الإمَارَةِ وأمر أن يُؤخَذ عِكرمة ويُحاسَب فحُوسِبَ فَفَضَلَ عَلَيهِ مالٌ كَثِيرٌ فَطَلَبَهُ خُزيمة مِنهُ . فَقَالَ لهُ عِكرِمَةُ والله مَا إلى درهمٍ مِنهُ سَبِيلٌ وَلَا عِندِي مِنهُ دِينَارٌ فَأمَرَ خُزيمة بحبسه وأرسَلَ يُطَالِبُهُ بالمَالِ فأرسَلَ عِكرِمَةُ يقُولُ لَهُ إني لَستُ مِمَّن يَصُونُ مَالَهُ بِعِرضِهِ فاصنع ما شِئتَ فأمر خُزيمة بِقَيدِهِ وضربه فكُبِّلَ بالحَدِيدِ وضُرِبَ وضُيِّقَ عليه فأقام كذلِكَ شهرًا فأضناهُ ذلِكَ وأضر بِهِ فبلغ امرأتهُ ضُرّهُ فجزعت عليه واغتمت لذلِكَ غمًّا شديدًا فدعت جارية لها ذاتَ عقلٍ وقالت لها امضي الساعة الى باب خُزيمة وقولي للحاجب ان عندي نصيحةً للامير فاذا طلبها منك فقولي لا اقولها إلّا للامير خُزيمة فاذا دخلت عليه فسليه الخلوة فإذا فعل فقولي لهُ ما كانَ هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك تُكافئه بالضيق والحبس والحديدِ ثُمَّ بالضرب قالَ ففعلت جاريتها ذلِكَ فلما سمع خُزيمة قولها قال واسوءتاهُ جابِرُ عثرات الكِرام غريمي قالت نعم فأمر لوقته بدابته فأسرجت وركب إلى وُجوه أهل البَلد فجمعهم وسار بهم إلى باب الحبس ففتحهُ ودخل فرأى عكرِمَة الفياض في قاع الحبس متغيرًا قد أضناهُ الضرّ فلمَا نظر عكرمةُ الى خزيمة ووجوهُ اهل البلد معهُ احشمهُ ذلك فنكس رأسهُ فأقبل خُزيمةُ واكبّ على رأسِهِ فقبّلهُ فرفع عِكرِمهُ رأسَهُ وقال ما أعقب هذا منك قال خُزيمةُ كريمُ فعالِكَ

وَسُوءُ مُكَافَاتِي فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ غَفَرَ اللهُ لَنَا وَلَكَ ثُمَّ إِنَّ خُزَيْمَةَ
أَمَرَ بِقُعُودِهِ أَنْ يَفُكَّ وَأَنْ يُوضَعَ فِي رِجْلَيْهِ نَفْسِهِ فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ
مَا مُرَادُكَ بِذَلِكَ قَالَ مُرَادِي أَنْ يَنَالَنِي مِنَ الضُّرِّ مَا نَالَكَ فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ أُقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللهِ أَنْ لَا تَفْعَلَ وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَا جَمِيعًا وَجَاءَا
إِلَى دَارِ خُزَيْمَةَ فَوَدَّعَهُ عِكْرِمَةُ وَأَرَادَ الِانْصِرَافَ فَلَمْ يُمَكِّنْهُ مِنْ ذَلِكَ.
ثُمَّ أَمَرَ خُزَيْمَةُ بِالْحَمَّامِ فَأُخْلِيَ وَدَخَلَا جَمِيعًا وَقَامَ خُزَيْمَةُ بِنَفْسِهِ فَتَوَلَّى
خِدْمَةَ عِكْرِمَةَ ثُمَّ خَرَجَ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا كَثِيرًا وَسَأَلَهُ أَنْ
يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمًا فِي
الرَّمْلَةِ فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَا عَلَى سُلَيْمَانَ فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَخْبَرَهُ
بِقُدُومِ خُزَيْمَةَ بْنِ بِشْرٍ فَرَاعَهُ ذَلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ وَالِي الْجَزِيرَةِ يَقْدَمُ
عَلَيْنَا بِغَيْرِ أَمْرِنَا مَعَ قُرْبِ الْعَهْدِ بِهِ مَا هَذَا إِلَّا لِحَادِثٍ عَظِيمٍ فَلَمَّا
دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ مَا وَرَاءَكَ يَا خُزَيْمَةُ قَالَ خَيْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ فَمَا
أَقْدَمَكَ. قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي ظَفِرْتُ بِجَابِرِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ
فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسُرَّكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ شَوْقِكَ إِلَى رُؤْيَتِهِ قَالَ وَمَنْ هُوَ.
قَالَ عِكْرِمَةُ الْفَيَّاضُ فَأَذِنَ لَهُ فِي الدُّخُولِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ
فَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَقَالَ لَهُ يَا عِكْرِمَةُ قَدْ كَانَ خَيْرُكَ لَهُ وَبَالًا
عَلَيْكَ ثُمَّ إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَالَ لَهُ اكْتُبْ حَوَائِجَكَ وَمَا تَخْتَارُهُ فِي رُقْعَةٍ
فَكَتَبَهَا فَقُضِيَتْ عَلَى الْفَوْرِ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَضَافَ
لَهُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ التُّحَفِ وَالطُّرَفِ وَوَلَّاهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَةَ

وادرَ بيحانَ وقال لهُ امرُ حرِيّة بيدك إن شئتَ ابقتهُ وإن شئتَ عزلتهُ قالَ بل أردُّهُ إلى عملِهِ مكرّماً يا أميرَ المؤمنينَ ثمّ إنهما انصرفا جميعاً ولم يزالا عاملَين لسُليمانَ مُدة خِلافتِهِ (ثمرات الاوراق للحموى)

يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك

٣١ قيل ان الحجاج بن يوسفَ اخذ يزيد بن المُهلّب بن أبي صُفره وعذبهُ واستأصلهُ واستأصل موجودهُ وسجنهُ فاحتال يزيدُ بحُسنِ تلطفه وأرغبَ السجانَ واستمالهُ وهربَ هُوَ والسجانُ وقصد الشام إلى سُليمانَ بن عبدِالملكِ وكانَ الخليفة في ذلكَ الوقتِ الوليد بن عبدِ المَلكِ فلمّا وصل يزيدُ بنُ المُهلّبِ الى سُليمان بن عبد الملك أكرمَهُ وأحسنَ اليهِ وأقامَ عندهُ فكتبَ الحجاجُ الى الوليدِ يُعلمُهُ ان يزيدَ هربَ مِنَ السجنِ وانه عند سُليمانَ بن عبد الملكِ اخي امير المؤمنينَ وولي عهدِ المُسلمينَ وأميرُ المؤمنينَ أعلى رأيا فكتب الوليدُ إلى اخيهِ سُليمانَ بذلك فكتبَ سُليمانُ يا أمير المؤمنين اني اجرتُ يزيد بن المُهلّبِ لانهُ هُو وأباهُ واخوتهُ احباءٌ لنا من عهد ابينا ولم اجر عدوّاً لأمير المؤمنين وقد كان الحجاجُ عذبهُ وغرمهُ دراهم كثيرةً ظُلماً ثُمّ طلبَ منهُ بعدها مثلَ ماطلبَ اولاً فان رأى أميرُ المُؤمنين ان لا يُخزيني في ضيفي فليفعل فانه اهلُ الفضل والكرم فكتب اليه الوليدُ إنهُ لا بُد مِن ان يُرسلَ الى يزيدَ مُقيّداً مغلولاً فلما ورد ذلك على سُليمانَ أحضرَ ولدَهُ ايوبَ فقيّدَهُ ثُمّ دعا بيزيدَ بن المُهلّبِ وقيدهُ

ثُمَّ شَدَّ هٰذا إلى يَدِ هٰذا بِسِلسِلَةٍ وَعَلَّقَهُما جميعًا بِقُفلٍ وَحَمَلَهُما إلى أخيهِ الوَليدِ وَكَتَبَ إليهِ أمّا بَعدُ يا أميرَ المُؤمِنينَ فَقَد وَجَّهتُ إلَيكَ يَزيدَ وابنَ أخيكَ أيّوبَ بنَ سُلَيمانَ وَقَد هَمَمتُ أن أكونَ ثالِثَهُما فإن هَمَمتَ يا أميرَ المؤمنينَ بِقَتلِ يَزيدَ فَبِاللهِ عَلَيكَ فابدأ بِقَتلِ أيّوبَ ثُمَّ اجعَل يَزيدَ ثانيًا واجعَلني إن شِئتَ ثالِثًا والسَّلامُ. فلمّا دَخَلَ يَزيدُ ابنُ المُهَلَّبِ وأيّوبُ بنُ سُلَيمانَ على الوَليدِ وهُما في سِلسِلَةٍ أطرَقَ الوَليدُ استِحياءً وقالَ لَقَد أسأنا إلى أبي أيّوبَ إذ بَلَغنا بِهِ هٰذا المَبلَغَ فأخَذَ يَزيدُ يَتَكَلَّمُ وَيَحتَجُّ لِنَفسِهِ فقالَ لَهُ الوَليدُ ما نَحتاجُ ما تَحتاجُ إلى الكَلامِ قَد قَبِلنا عُذرَكَ وَعَلِمنا ظُلمَ الحَجّاجِ ثُمَّ استَحضَرَ حَدّادًا فأزالَ عَنهُما الحَديدَ وأحسَنَ إليهِما وَوَصَلَ أيّوبَ ابنَ أخيهِ بِثَلاثينَ ألفَ دِرهَمٍ وَوَصَلَ يَزيدَ بنَ المُهَلَّبِ بِعِشرينَ ألفَ دِرهَمٍ وَرَدَّهُما إلى سُلَيمانَ. وَكَتَبَ كِتابًا لِلحَجّاجِ مَضمونُهُ لا سَبيلَ لَكَ عَلَى يَزيدَ بنِ المُهَلَّبِ فإيّاكَ أن تُعاوِدَني فيهِ بَعدَ اليَومِ فَسارَ يَزيدُ بنُ المُهَلَّبِ إلى سُلَيمانَ بنِ عَبدِ المَلِكِ وأقامَ عِندَهُ في أعلَى المَراتِبِ وأفضَلِ المَنازِلِ (للإتليدي)

مِن كَرَمِ وإحسانِهِ إلى مَن قَتَلَ أباهُ

٣١١ حُكِيَ أنَّهُ لمّا أفضَتِ الخِلافَةُ إلى بَني العَبّاسِ اختَفَى مِنهُم جَميعُ رِجالِ بَني أُمَيَّةَ وَكانَ مِنهُم إبراهيمُ بنُ سُلَيمانَ بنِ عَبدِ المَلِكِ وَكانَ إبراهيمُ هٰذا رَجُلًا عالِمًا كامِلًا أديبًا وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ في سِنِّ الشَّبيبَةِ فأخَذوا لَهُ أمانًا مِنَ السَّفّاحِ فأعطاهُ أبو العَبّاسِ السَّفّاحُ أمانًا

وأكرمه وقال له الزم مجلسي فذات يوم قال له أبو العباس السفاح يا إبرهيم حدثني عما مر بك في استخفائك من العدو فقال سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين. كنت مختفيا في الحيرة بمنزل في شارع على الصحرا فبينما كنت يوما على ظهر ذلك البيت إذ نظرت بأعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فخلت أنها تريدني فخرجت مسرعا من الدار متنكرا حتى أتيت الكوفة وأنا لا أعرف أحدا أختفي عنده فبقيت في حيرة فنظرت وإذا أنا بباب كبير واسع الرحبة فدخلت فيه فرأيت رجلا وسيما حسن الهيئة مقبلا على الرحبة ومعه أتباعه فنزل عن فرسه والتفت فرآني فقال لي من أنت وما حاجتك فقلت رجل خائف على دمه وجاء يستجير بك في منزلك فأدخلني منزله وصيرني في حجرة تلي حرمه وكنت عنده في كل ما أحبه من طعام وشراب ولباس وهو لا يسألني عن شيء من حالي إلا أنه كان يركب في كل يوم من الفجر ويمضي ولا يرجع إلا قرب الظهر فقلت له يوما أراك تدمن الركوب كل يوم ففي م ذلك فقال لي إن إبرهيم بن سليمان بن عبد الملك كان قد قتل أبي ظلما وقد بلغني أنه مختف في الحيرة فأنا أطلبه يوما لعلي أجده وأدرك منه ثاري قال فلما سمعت ذلك يا أمير المؤمنين كثر تعجبي وقلت في نفسي إن القدر ساقني إلى حتفي في منزل من طلب دمي. فوالله يا أمير المؤمنين إني كرهت الحياة ثم إني سألت الرجل

عن اسمه واسم أبيه فأخبرني فعلمت أن كلامه حق وأني أنا الذي
قتلت أباه فقلت له يا هذا إنه قد وجب علي حقك ولمعروفك لي
يلزمني أن أدلك على خصمك الذي قتل أباك وأقرب عليك
الخطوة فقال وما ذاك فقلت له أنا إبراهيم بن عبد الملك وأنا قاتل
أبيك محمد بثأرك فتبسم مني وقال هل أضجرك الإحياء والبعد عن
مصرك وأهلك فأحببت الموت فقلت لا والله ولكني أقول لك
الحق وإني قتلته في يوم كذا من أجل كذا فلما سمع الرجل كلامي
هذا وعلم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه ثم فكر طويلا والتفت إلي
وقال أما أنت فسوف يلقى أبي عند حاكم عادل فيأخذ بثأره منك
وأما أنا فلا أخفر ذمتي ولكني أريد أن تخرج عني فإني لست آمن
عليك من نفسي ثم إنه أعطاني ألف دينار فأبيت أخذها
وانصرفت عنه فهذا يا أمير المؤمنين أكرم رجل رأيته وسمعت عنه في
عمري بعد أمير المؤمنين (للابشيهي)

جود معن بن زائدة

٣١٢ حكي عن معن بن زائدة أن شاعرا من الشعراء قصده فأقام
مدة يريد الدخول عليه فلم يتهيأ له ذلك فلما أعياه الأمر سأل
بعض خدمه وقال له أرجوك إذا دخل الأمير إلى البستان أن تعرفني
فلما دخل معن إلى بستانه ليتنزه جاء الخادم وأخبر الشاعر فكتب
الشاعر بيتا من الشعر على خشبة وألقاها في الماء الجاري إلى داخل

البُستانِ فاتفق أنَّ معناً كان جالساً في ذلك الوقت على جانب الماء فمرّت عليه الخشبة فنظر فيها كتابةً فأخذها وقرأها فوجد فيها

أيا جُود معن ناجِ معناً بحاجتي فما لي إلى معنٍ سواكَ سبيلُ

فلما قرأها معن قال لخادمه احضر الرجل صاحب هذه الكتابة فخرج وجاء به فقال له ماذا كتبت فأنشده البيت فلما حقّقه أمر له بألف درهم ثم إن معناً وضع تلك الخشبة تحت البساط مكان جلوسه فلما كان اليومُ الثاني جاء فجلس في مجلسه فآلمته الخشبة فقام لينظر ما آلمه فرأى الخشبة فأمر خادمه أن يدعو الرجل فمضى وجاء به فأمر له بألف درهم ثانية ثم إنه في الثالث خرج الى مجلسه فآلمته الخشبة فدعا الشاعر وأعطاه ألف درهم أيضاً فلما رأى الشاعرُ هذا العطاء الزائد لأجل بيت واحد من الشعر خاف أن معناً يُراجعه عقله ويأخذ المال منه فهرب ثم إنَّ معناً خرج إلى مجلسه في اليوم الرابع فآلمته فخطر الشاعرُ بباله فأمر خادمه أن يُحضره ويُعطيه ألف درهم فمضى الخادمُ وسأل عنه فقيل له إنه سافر فرجع وأخبر مولاه فلما بلغه أنه سافر اغتمّ جداً وقال وددتُ واللهِ لو أنه مكث وأعطيته كل يوم ألفاً حتى لا يبقى في بيتي درهمٌ

ابرهيم الموصلي والمهدي

٣١٣ حدّث ابرهيمُ الموصليُّ قال كان المهديُّ لا يشربُ الخمر فأراد بي على ملازمته وترك الشرب فضربني وحبسني ثم دعاني

يوماً فعاتبني على شربي الخمر في منازل الناس وقال لا تدخل على موسى وهارون السنة ولئن دخلت عليهما لأفعلن بك ولأصنعن قلت نعم ثم بلغه أني دخلت عليهما في نزهة لهما فسعى بهما وبي إلى المهدي فدعاني فسألني فأنكرت فأمر بي فجردت فضربت ثلاثمائة وستين سوطاً فقلت له وهو يضربني إن جرمي ليس من الأجرام التي يحل لك بها سفك دمي فلما قلت له هذا ضربني بالسيف في جفنه فشجني به وسقطت مغشياً علي ساعة ثم فتحت عيني فوقعتا على عيني المهدي فرأيتهما عيني نادم وقال لابن مالك خذه إليك قال فأخرجني إلى داره وأنا أرى الدنيا في عيني صفراً وخضراء من حر السوط وأمره أن يحذ لي شيئاً بالقبر فصبر لي فيه فدعا بكبش وسلخه فألبسني جلده ليسكن الضرب ودفعني إلى خادمة له فصيرني في ذلك القبر فأذن بالبرد والبول في ذلك القبر وكان فيه خلاء استريح إليه فقلت للأمة اطلبي لي آجرة عليها فحم وكندر لتذهب عني هذا النتن فأتتني بذلك فلما ذهب اظلام القبر علي وكادت نفسي تخرج من الغم فاسترحت من اذاه إلى البر فالصقت به أنفي حتى خف الدخان فلما طلبت أني قد استرحت مما كنت فيه إذا ثعبانان مقبلان يحويان من شق القبر يدوران حولي بحفيف شديد ، فهممت ان آخذ واحده بيدي اليمنى والأخرى بيدي اليسرى فإما علي وإما لي ثم كففتهما فدخلا من الثقب الذي

خَرجامِعهُ فمكث في ذلك الحبس ما شاء الله وقلت في الحبس

ألا طال ليلي أراعي النجومَ أعالجُ في الساق كبلاً ثقيلا
بدار الهوان وشر الديار أسامُ بها الخسفَ صبراً جميلا
كثير الأخلاء عند الرخاء فلمّا حُبستُ أراهم قليلا
لطول بلائي مَلَّ الصديقُ فلا يأمننَّ خليلٌ خليلا

ثمّ أخرجني المهديُّ وأحلفني (وكلّ عبدٍ لا صبحه لي فيها) أن لا أدخل على موسى وهارونَ أبداً ولا أغنيهما وخلّى سبيلي (الأغاني)

المرأة المتظلمة وابن المأمون

٣١٤ حدّثَ الشيباني قال جلس المأمونُ يوماً للمظالم فكان آخرُ من تقدم إليه وقد هَمّ بالقيام امرأة عليها هيئةُ السفرِ وعليها ثيابٌ رثةٌ فوقفت بين يديه فقالت السلامُ عليكَ يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ فنظر المأمونُ إلى يحيى بن أكثم فقال لها يحيى وعليكِ السلام يا أمةَ الله تكلّمي في حاجتك فقالت

يا خير منتصفٍ يُهدَى لهُ الرشدُ ويا إماماً به قد أشرقَ البلدُ
تشكو إليكَ عميدَ القوم أرملةٌ عدا عليها فلم يُترك لها سَبَدُ
وابتزّ مني ضِياعي بعد منعتها ظلماً وفُرّق مني الأهلُ والولدُ

فأطرقَ المأمونُ حيناً ثم رفع رأسهُ إليها وهو يقولُ

في دون ما قلتِ زال الصبرُ والجَلَدُ عني وأُقرِحَ مني القلبُ والكبدُ
هذا أذانُ صلاة العصر فانصرفي وأحضري الخصمَ في اليوم الذي أعِدُ

والمجلسُ السبت إن نقص الجلوسُ لنا نُصيِّك منه وإلا المجلسُ الأحدُ

فلما كان اليومُ الأحدُ جلس فكان أول من تقدّم إليه تلك المرأةُ فقالت السّلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمه الله وبركاته فقال وعليكِ السلامُ أين الخصمُ فقالت الواقفُ على رأسك يا أمير المؤمنين وأومأت إلى العباس ابنه فقال يا أحمدُ بن أبي خالدٍ خُذ بيدهِ فاجلسه معها مجلسَ الخُصوم فجعل كلامُها يعلو كلامَ العباس فقال لها أحمدُ بن أبي خالدٍ يا أمة الله إنّكِ بين يدي أمير المؤمنين وإنّكِ تكلمين الأمير فاخفضي من صوتك فقال المأمونُ دعها يا أحمدُ فإن الحقّ أنطقها وأخرسه ثم قضى لها بردّ ضيعتها إليها وظلّم العباس بظلمه لها وأمر بالكتاب لها إلى العامل ببلدها أن يُوغر لها ضيعتها ويُحسن مُعاونتها وأمر لها بنفقة (لابن عبد ربه)

المرأة الكريمة

٣١٥ حُكي أن عبد الله بن عبّاس كان من أكابر الأجواد الكرام فنزل منزلاً . وكان منصرفاً من الشام إلى الحجاز فطلب من غلمانه طعاماً فلم يجدوا فقال لوكيله اذهب في هذه البرية فلعلك تجد راعياً أو حيّاً فيه لبنٌ أو طعامٌ فمضى بالغلمان فوقفوا على عجوزٍ في حيّ فقالوا لها عندكِ طعامٌ نبتاعُهُ قالت أما طعامُ البيعِ فلا ولكن عندي ما بهِ حاجةٌ لي ولا بأبي قالوا فأين بنوكِ قالت في رعيٍ لهم وهذا أوانُ أوبتهم قالوا فما أعددتِ لك ولهم قالت خبزةٌ تحت

مثلها قالوا وما هو عن ذلك قال لا شيء قالوا فجودي لنا
بشطرها قال اما الشطر فلا أجود به وأما الكل فجدوه فقالوا
لها تمنعين النصف وتجودين بالكل فقال نعم لأن إعطا
الشطر نقيصة واعطاء الكل كمال وفضيلة فأنا امنع ما ينقصني
وأمنح ما يرفعني فأخذوها ولم تسألهم من هم ولا من اين جاءوا فلما
جاءوا الى عبد الله وأخبروه بخبرها عجب من ذلك ثم قال لهم
احملوها إلى الساعة فرجعوا اليها وقالوا لها انطلقي معنا إلى صاحبنا
فإنه يريدك فقالت ومن صاحبكم قالوا عبد الله بن عباس قالت
وانكم هذا هو الشرف العالي ودونه الرفعة وماذا يريد مني
قالوا مكافأتك وبرك فقالت أواه والله لو كان ما فعلت معروفا
ما أخذت له بدلا فكيف وهو شيء يجب على الخلق ان يشارك فيه
بعضهم بعضا فلم يزالوا بها إلى ان أخذوها إليه فلما وصلت إليه
سلمت عليه فرد عليها السلام وقرب مجلسها ثم قال لها ممن أنت
قالت من بني كلب قال فكيف حالك قالت أسهر الليل
وأهجع أكثر الليل وأرى قرة العين في شيء فلم يبق من الدنيا شيء
الا وقد وجدته قال فما ادخرت لبنيك إذا حضروا قالت
أدخر لهم ما قاله حاتم طي حيث قال

وإني لأبيت على الطوى وأظله حتى انال به كريم المأكل

فازداد عبد الله منها عجبا ثم قال لها لو جاءتك بنوك وهم جياع ما

كنت تصبحين قال يا هذا لقد عظمت عندك هذه الحيرة حتى أكثرت فيها مقالك واشتغلت بها بالك اله عن هذا فانه يفسد النفس ويورث في الجسد فقال عبد الله احضروا لي اولادها فأحضروهم فلما دنوا منه رآوا أنهم وسلموا فادناهم إليه وقال إني لم اطلبكم وأمكم لمكروه وإنما أحببت أن أصلح من شأنكم والم شعثكم فقالوا ان هذا قل أن يكون الا عن سؤال أو مكافأة لفعل قديم قال ليس شيء من ذلك ولكن جاورتكم في هذه الليلة فأحببت أن أضع بعض مالي فيكم قالوا يا هذا نحن في خفض عيش وكفاف من الرزق فوجهه نحو من يستحقه وإن اردت النوال مبتدأ من غير سؤال فتقدم فمعروفك مشكور وبرك مقبول فقال نعم هو ذاك وامر لهم بعشرة آلاف درهم وعشرين ناقة فقالت العجوز لاولادها ليقل كل واحد منكم شيئاً من الشعر وأنا أتبعكم في شيء منه فقال الاكبر

سهدت علك بطيب الكلام وطيب الفعال وطيب الخبر

وقال الأوسط

تبرعت بالجود قبل السؤال فعال عظيم كريم الخطر

وقال الاصغر

وحق لمن كان ذا فعله بأن يسترق رقاب البشر

وقالت العجوز

فعمرك الله من ماجد ووقت كل الردى والحذر

الاعرابى ومالك بن طوق

٣١٦ وفد أعرابى على مالك بن طوق وكان رزى الحال رث الهيئة فمنع من الدخول إليه فاقام بالرحبة أياما فخرج مالك ذات يوم يريد النزهة حول الرحبة فعارضه الاعرابى فمنعه الشرطة اردراء به فلم ينثن عنه حتى أخذ بعنان فرسه ثم قال أيها الأمير أنا عائذ بك من شرطتك فنهاهم عنه وأبعدهم منه ثم قال له هل من حاجة قال نعم اصلح الله الامير قال وما هى قال ان تصغى إلى بسمعك وتنظر إلى بطرفك وتقبل على بوجهك ثم انشد

ببابك دون الناس انزلت حاجتى واقبلت اسعى نحوه واطوف
ويمنعنى الحجاب والليل مسبل وانت بعيد والرجال صفوف
يطوفون حولى بالقلوب كأنهم ذئاب جياع بينهن خروف
فأما وقد ابصرت وجهك مقبلا واصرف عنه إننى لضعيف
وما لى من الدنيا سواك وما لمن تركت ورائى مربع ومصيف
وقد علم الحيان قيس وخندف ومن هو فيها نازل وحليف
تخطيت اعناق الملوك ورحلتى إليك وقد حنت على صروف
فجئتك ابغى اليسر منك فمرنى ببابك من ضرب العبيد صنوف
فلا تجعلن لى نحو بابك عودة فقلبى من ضرب العبيد مخوف

فاستضحك مالك حتى كاد يسقط عن فرسه ثم قال لمن

حوله من يعطيه درهما بدرهمين وثوبا بثوبين فضرب الدراهم ووقف الناس عليه من كل جانب حتى تحير الاعرابى واحاط عقله لكثرة ما أعطى فقال له مالك هل بقيت لك حاجة يا اخا العرب قال أما إليك فلا قال فإلى من قال إلى الله أن يمتك للعرب فإنها لا تزال بخير ما بقيت لها (للملوى)

للخارجى والمعتصم

٣١٧ اخبر بعضهم قال ما رأيت رجلا عرض عليه الموت فلم يكترث به إلا تميم بن جميل الخارجى كان قد خرج على المعتصم ورأيته قد جئ به اسيرا فدخل عليه فى يوم موكب وقد جلس المعتصم للناس مجلسا عاما ودعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر اليه المعتصم فأعجبه شكله وقده ومشيته الى الموت غير مكترث به فأطال الفكرة فيه ثم استنطقه لينظر فى عقله وبلاغته فقال يا تميم إن كان لك عذر فأت به فقال اما إذا اذن امير المؤمنين (جبر الله به صدع الدين ولم شعث المسلمين واخمد بهاب الباطل وانار سبل الحق) فالذنوب يا امير المؤمنين تخرس الالسنة وتصدع الافئدة وايم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق إلا العفو او الانتقام وأمير المومنين أقرب إلى العفو وهو الليق بشيمه الطاهرة ثم أنشد

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا يلاحظنى من حيث لا اتلفت

واكثرُ ظني انك اليومَ قاتلي … وأيُّ امرئ مما قضى اللهُ يفلتُ
ومن ذا الذي يأتي بعذرٍ وحجةٍ … وسيفُ المنايا بين عينيه مصلتُ
وما جزعي من أن اموتَ وإنني … لأعلمُ ان الموتَ شيءٌ موقتُ
ولكنَّ خلفي صبيةً قد تركتهم … وأكبادُهم من حسرةٍ تتفتتُ
كأني اراهم حين أُنعى إليهم … وقد لطموا تلك الخدودَ وصوّتوا
فإن عشتُ عاشوا سالمين بغبطةٍ … اذودُ الردى عنهم وان متُّ موّتوا

قال فبكى المعتصمُ وقال ان من البيانِ لسحرا ثم قال كاد والله يا تميم ان يسبقَ السيفُ العذل وقد وهبتك للهِ ولصبيتك واعطاه خمسين الف درهمٍ (ثمرات الاوراق للحموي)

قصة رجل اجار رجلا استغاث به وكان حانقاً على دمه فجوزي على احسانه

٣١٨ حكى العباسُ حاجبُ المنصورِ قال لما ملكَ العباسُ السفّاحُ البلادَ من بني أُمية واستولى على الخلافةِ وطمَ آثارَ بني امية من جميع البلادِ فبعد مدّةٍ فلللهِ راجع المنصورُ لبني أُمية وآثاروا فتنةً عظيمةً في الشام وكان ذلك بعد موتِ امير المؤمنين العباس السفاح وتوليه الخلافه لأخيهِ ابي جعفرٍ المنصورِ فقام الأمويون على العباسيين وقتلوا جميع من وقع منهم في أيديهم وتلقى الخبرَ وأنا مارٌّ في شارعٍ وما ضلَّ لأ تاعٍ شيئاً انهم طلبوني وادركوني فهربتُ ودخلت دارًا وجدتُ بابها مفتوحًا فلمستُ في ساحتها شيخًا جالسًا فقال من الرجلُ فقلتُ خائفٌ على دمِه وقد أدركَهُ الطلبُ فقال

مرحبا لا بأس عليك ادخل هذه المقصورة وأشار لي إلى باب فدخلته ومضى مسرعا وأوصل الباب ودخل حرمه وأتاني من ثيابهن وقال لي قم اشلح ما عليك والبس هذه الثياب لأني رأيت الطلب عليك شديدا فلبست ثياب النساء ثم أدخلني الى مقصورة حرمه وجعلني بينهن فما لبث قليلا الا أن طرق باب الدار وقد حضرت الرجال في طلبي فدخل الرجل عندي وقال لي لا تخف بل كن مستترا في حرمي ثم نزل وفتح الباب للناس فطلبوني منه فأنكرني وقال إنه لم يرني فقالوا له نفتش بيتك فقال لهم دونكم فلكم ذلك فدخل القوم وفتشوا جميع دار الرجل الا المقصورة التي فيها حرمه فلم يجدوا شيئا فذهبوا وأقفل الرجل باب داره ودخل علي وقال الحمد لله على سلامتك وجعل لا يبرح من تأنيسي ومجالستي واكرامي مدة ثلاثة أيام فقلت له يوما يا مولاي لقد طال مقامي وأنا أريد اللحاق بولي نعمتي فقال أما إذا شئت فامض معافى ثم إنه أحضر لي زادا كبيرا وركوبة وأعطاني صرة فيها خمسمائة دينار وقال لي كل ما أحتاج سفرك معد إلا أني أخاف عليك أن تمضي وتخرج من المدينة نهارا فتعرف فامهل الى بعد الغروب فلم قفل أبواب المدينة فقلت له إن الرأي رأيك فصبرت إلى أن أظلم ثم قمت وقام معي وأخرجني من باب الشام وسار معي مسافة طويلة فأقسمت عليه أن لا يزيد على ذلك فودعني ورجع وسرت شاكرا للرجل

ومُنجِحًا مِن غَزارة إحسانِه إلى أن بَلَغتُ بغداد ولحقتُ بأبي جعفر المنصور فذات يوم لما قُمتُ صباحًا على عادتي ألحقُ العمل وخرجتُ من داري قاصدًا دارَ أميرِ المؤمنين المنصور وجدتُ رسولَه في الطريق وهُوَ آتٍ مِن عِندِه يدعوني لهُ فانطلقتُ مُسرِعًا إلى أن دخلتُ عليه فنظرَ إليَّ وقال لي يا عباسُ فقلتُ لبيكَ يا أميرَ المؤمنين قال خذ هذا الرجل واحفظ به وعدًا أُنبي بهِ واعلم أنه إن فُقِدَ مِنكَ فلا أرضى إلا بعُنُقِكَ فقلتُ سمعًا وطاعةً يا أميرَ المؤمنين فنظرتُ فوجدتُ أمامَهُ في ناحيةِ المكانِ شيخًا مُقيدًا في عُنقِه ويديه ورجليه فأخذتُهُ وخرجتُ بهِ فأركبتُهُ وأتيتُ بهِ إلى بيتي ولكثرة حرصي عليهِ مِن أجلِ وصيةِ المنصور لي دعوتُ غلماني وأمرتُهم ففرشوا لنا مقصورةً وأجلستُ الرجلَ فيها وجلستُ إلى جانبِهِ ووضعتُ طرفَ قيدِهِ في رِجلي وطبقتُ عليها . كلُّ ذلك حرصًا على الرجلِ لِئلّا يهربَ فيروح عُنقي فلما مضى النهارُ وجاءَ المغربُ أمرتُ غلماني فجاءوا بالمائدةِ وعليها الطعامُ والشرابُ فجلستُ أنا والرجلُ فأكلنا ثُمَّ غسلنا أيدينا وجلسنا وقد ضجرتُ من السكوتِ لأنَّ الرجلَ مهمومٌ ومُفكرٌ في شأنِه فسألتُهُ مِن أينَ هُوَ فقال مِن الشام قلتُ أتعرفُ فلانَ الفلاني في الشامِ فقالَ ما أحدٌ أعرفَ بهِ مني لماذا تسألُ عنهُ فقلتُ لهُ لأني أسيرُ معروفِهِ وعبدُ إحسانِهِ وأخبرتُهُ بما عمله معي في زمانٍ فيهِ الشام فتبسمَ الرجلُ فلما تبسمَ تفرستُ فيهِ فإذا هُوَ هُوَ فطارَ عقلي من

رأسي فرجأته فجعلت أسأله إلى أن نحمه فقمت جئت بشيء وكسرت
أقفال صندوقه وهو يمنع من ذلك ثم أمرت الغلمان فاحضروا اله
ثيابا فأبى لبسها فاقسمت عليه ولبسها ثم قال لي ما مرادك ان تعمل بي
قلت والله أبعدك حتى تصير بعدا عن بغداد بمراحل وتذهب في
حال سبيلك فقال اسمع هذا ليس هو الرأي الصائب لأنك إذا
مضيت الى امير المؤمنين من غيري بعث عليك فمثلك وأنا معاذ
الله ان اشتري سلامتي بمن يعوقك فهذا لا يمكن فقلت له وما ذنبك
انت عند امير المؤمنين فقال اتهموني زورا بأني انا الذي حرك
الفتن في الشام وان ليس امة عندي ودابع فقلت حيث إن هذا
فقط جرمك والله إني أهربك وانا لا أبالي من امير المؤمنين ان
قتلني وان عاقبني فان إحسانك السالف على عظيم جدا فقال لي
لا تظن اني اطاوعك على ذلك ولكن عندي رأي اصوب وهو
دعني محفوظا في مكاني وامض قل لامير المؤمنين ما سبب من هربي
فان عاقبك فقد الى وأطلعني فاهرب وان امر بقتلك فقد ذلك
اكون انا في امرك فيحضرني وبفديني بنفسك وغدا هذا لا أرضي
معك بشيء (قال) فلما رأيت الرجل أبى إلا هذا وضعته في مقصورة
حصينة في داري واصبحت وأنا بكرت إلى دار الخلافة فدخلت فوجدت
المنصور جالسا ينتظرني فلما رآني وحدي قام عرق الغضب بين
عينيه ورأيت عينه قد صارتا مثل النار غيظا علي وقال لي هيه

يا عباسُ أين الرجلُ . فقلتُ له مهلاً يا أميرَ المؤمنين فإنَّ العفوَ أقربُ للتقوى وهذا رجلٌ جرى لي معه كيتَ وكيتَ وفعلَ معي كذا وكذا من الإحسانِ العظيمِ فالتزمتُ لحقِّ إحسانِه أن أطلقَه أملاً بحلمكَ واتكالاً على كرمِكَ قالَ فرأيتُ وجهَ المنصورِ قد تهلَّلَ وقالَ لي لحاكَ اللهُ يا عباسُ . أيعملُ هذا الرجلُ معكَ هذا الإحسانَ العظيمَ في زمنِ الفتنةِ وتطلقُه من غيرِ أن تخبرَنا بإحسانِه . لنقومَ بإكرامِه ومجازاتِه عمّا فعلَه معكَ من الخيرِ وجعلَ المنصورُ يتأسَّفُ ويفركُ يديهِ تحسّراً ويقولُ أيذهبُ منّا إنسانٌ له علينا إحسانٌ فلا نوفيه بعضَ ما استوجبَ عندَنا من عظيمِ معروفِه واللهِ إنها الكبرى فقلتُ له يا أميرَ المؤمنين بأبي وأمي إن الرجلَ موجودٌ عندي وقد أبى أن يهربَ لجودِه على عفوٍ منكَ فقالَ لي إن أحملَه محفوظاً في مكانٍ وآتيكَ فأخبرُكَ أنه هربَ فإن عفوتَ وإلا رجعتُ فأحضرتُه فاستبشرَ وجهُ المنصورِ وضربَ برجلِه الأرضَ وقالَ هذا واللهِ يساوي مقدارَ سالفِ معروفِ الرجلِ إليكَ فامضِ مسرعاً وائتني به مكرّماً موقّراً فمضيتُ وأتيتُ داري ودخلتُ على الرجلِ فقبّلَ الأرضَ شكراً للهِ تعالى وقامَ وجاءَ معي حتى دخلنا على أميرِ المؤمنينَ المنصورِ فحين رآه رحّبَ به وأجلسَه بجانبِه وأكرمَه وخلعَ عليه خلعاً نفيسةً وقالَ له هذا جزاءُ إحسانِكَ وسألَه إن شاءَ أن نولّيه الشامَ فأبى وشكرَه وأطلقَه المنصورُ موقّراً وأرسلَ معه الكتبَ لولاتِه يأمرُهم بإكرامِه والقيامِ بحوائجِه (للاتليدي)

ألبابُ الخامسَ عشرَ
في المُضحِكاتِ

٣١٩ أرسَلَ ابنُ حَرُوفٍ الشاعِرُ إلى ابنِ سَدَادٍ بحلَبَ يطلُبُ منهُ فَروَةً

بَهاءَ الدِّينِ وَالدُّنيَا ونُورَ المجدِ وَالحَسَبِ
طَلَبْتُ فَخافَةَ الأنوَا ءِ مِن جَدواكَ جِلدَ أبي
وفَضلُكَ عالِمٌ أنّي حَرُوفٌ بارِعُ الأدَبِ
حَلَبتُ الدهرَ أشطُرَهُ وَفي حَلَبٍ صفا حَلَبي

٣٢٠ دخلَ أبو دُلامَه على المنصورِ فأنشدَهُ

رأيتُكَ في المَنامِ كَسَوتَ جلدي ثِيابًا جَمّةً وقضيتَ دَيني
فكانَ بَنَفسَجيُّ الخزِّ فيها وَساجٌ ناعِمٌ فأتَمَّ زَيني
فَصَدِّقْ يا فَدَيتُكَ الناسُ رُؤيَا رَأَيتُها في المَنامِ كذاكَ عَيني
فأمرَ لَهُ بذلِكَ وقالَ لا تعُدْ فتحلُمَ فأجعلَ حِلمَكَ أضغاثًا (للازدي)

سيد العرب

٣٢١ قالَ الأصمَعِيُّ رأيتُ بالبادِيَةِ أعرابيّةً تبكي على قبرٍ وتقولُ

فمَن للسُّؤالِ ومَن للنَّوالِ ومَن للمَعالي ومَن للخُطَبْ
ومَن للحُماةِ ومَن للكُماةِ إذا ما الكُماةُ جَثَوا للرُّكَبْ
إذا قيلَ ماتَ أبو مالِكٍ فتى المكرُماتِ فريدُ العرَبْ
فقُلتُ لها مَن هذا الذي ماتَ هؤلاءِ كُلُّهم بموتِهِ فبكَت

وقال هذا ابو مالك الحجام حتى أبي منصور الحائك . فقلت لا جازاك الله خيرا . والله ما طلبت إلا أنه سيد من سادات العرب

ابن المغازلي عند المعتضد

٣٢٢ كان ابن المغازلي رجلا يتكلم ببغداد على الطرق بأخبار ونوادر مضحكة . وكان بهاية في الجد لا يستطيع من يسمعه أن لا يضحك قال وقفت يوما على باب الخاصة أضحك الناس وأنادر بحضرة جماعة بعض خدام المعتضد فأخذت في نوادر الخدم فأعجب بذلك وانصرف ثم عاد فأخذ بيدي وقال دخلت فوقفت بين يدي سيدي فذكرت حكاياتك فضحك فأنكر علي وقال ما لك ويلك فقلت على الباب رجل يعرف بابن المغازلي يتكلم بحكايات ونوادر تضحك الثكول فأمر بإحضارك ولي نصف جائزتك فطمعت في الجائزة وقلت يا سيدي أنا ضعيف وعلي عيلة فلو أخذت سدسها أو ربعها فأبى وأدخلني فسلمت فرد السلام وهو ينظر في كتاب فنظر في أكثره وأنا واقف ثم أطبقه ورفع رأسه إلي وقال أنت ابن المغازلي قلت نعم يا مولاي قال بلغني أنك تحكي وتضحك بنوادر عجيبة قلت يا أمير المؤمنين الحاجة تفتق الحيلة أجمع للناس حكايات أتقرب بها إلى قلوبهم فألتمس برهم فقال هات ما عندك فإن أضحكتني أجزتك بخمسمائة درهم وإن أنا لم أضحك أصفعك بذلك الجراب عشر صفعات فقلت في

نفسي مثلك لا تصفع إلا بشيء لين خفيف. والتفت فإذا بجراب من أدم معلق في زاوية البيت فقلت ما أخطأ ظني عسى فيه ريح إن أضحكته ربحت وأخذت الجائزة وإلا فقصر صفعات بجراب منفوخ بشيء هين ثم أخذت في النوادر والحكايات والمضاحك والمبادرة فلم أدع حكاية أعرابي ولا نحوي ولا مخنث ولا قاض ولا نبطي ولا سندي ولا زنجي ولا خادم ولا تركي ولا شاطر ولا عيار ولا نادرة ولا حكاية إلا وأحضرتها حتى نفد كل ما عندي وتصدع رأسي وفترت وبردت ولم يبق ورائي خادم ولا غلام إلا وقد ماتوا من الضحك وهو مقطب لا يبتسم فقلت قد نفد ما عندي ووالله ما رأيت مثلك قط فقال لي هيه ما عندك فقلت ما بقي لي سوى نادرة واحدة قال هاتها قلت وعدتني أن تجعل جائزتي عشر صفعات وأسألك أن تضعفها لي وتضيف إليها عشر صفعات أخرى فأراد أن يضحك ثم تماسك وقال نفعل يا غلام خذ بيده ثم مددت ظهري فصفعت بالجراب صفعة فكأنما سقطت علي قطعة من جبل وإذا هو مملوء حصى مدورًا فصفعت عشرًا فكادت أن تنفصل رقبتي وطنت أذناي وانقدح الشعاع من عيني فصحت يا سيدي نصيحة. فرفع الصفع بعد أن عزم على العشرين فقال قل نصيحتك فقلت يا سيدي إنه ليس في الديانة أحسن من الأمانة وأقبح من الخيانة. وقد ضمنت للخادم الذي أدخلني نصف الجائزة على قلها وكثرها

وَأمير المُؤمنينَ بفضله وَكَرمه قد أضعها وَقدِ استوفيتُ نصفي وَبَقي نصفهُ فضحك حتى استلقى وَاستفزه ما كانَ سمع فتحامل له فما زال يضربُ بيدَيه الارضَ وَيفحصُ برجلَيه وَيُمسكُ بمراقِ بَطنِهِ حتّى إذا سكنَ قالَ عَلَيَّ بِهِ فأُتيَ بِهِ وَامَرَ بِصفعِه وَكانَ طويلا فقالَ وما جنايتي فقلتُ له هذه جارِيتي وانتَ شريكي فيها وقدِ استوفيتُ نصيبي منها وَبَقيَ نصيبُكَ فلمّا أخذهُ الصفعُ وطرق قفاه الوقعُ اقبلتُ ألومهُ واقولُ له قلتُ لكَ إني ضعيفٌ مُعيلٌ وشكوتُ إليكَ الحاجةَ والمسكنَةَ واقولُ لكَ خذ رُبعها أو سُدسها وانتَ تقولُ لا آخذُ إلا نصفها ولو علمتُ أن امير المؤمنين اطال اللهُ بقاءهُ جائزتهُ الصفعُ وهبتها لكَ كُلها فعاد الى الضحكِ من عتابي للخادمِ فلمّا استوفى نصيبَهُ اخرجَ صُرّةً فيها خمسُمائة درهمٍ وقالَ هذه كنتُ أعددتُها لكَ فلم يدعكَ فضولُكَ حتى احضرتَ شريكًا لكَ فقلتُ وايَنَ الامانةُ فقسمتُها بيننا وانصرفتُ (للشريشي)

ابرهيم الموصلي وابرهيم المهدي عند الرشيد

٢٢٣ قالَ الرشيدُ لإبرهيمَ بن المهدي وإبرهيمَ المَوصِلي وابن جامعٍ باكروني غدًا وَليكن كُلُّ واحدٍ قد قالَ شعرًا إن كانَ يقدرُ ان يقولَهُ وغنّى فيهِ لحنًا وَإن لم يكن شاعرًا غنّى في شعرِ غيرهِ قال ابرهيمُ بنُ المَهدي قمتُ في السحرِ وَجهدتُ أن اقدرَ عَلى شيءٍ اصنعهُ فلم يتفق لي فلمّا خفتُ طُلوعَ الفجرِ دعوتُ بِغلماني وَقلتُ لهم

إني أريد أن أمضي إلى موضع لا يشعر بي أحد حتى أصير إليه
وكانوا في رسدناب لي يبيتون فيها على باب داري فقمت فركبت
في إحداها وقصدت دار إبرهيم الموصلي وكان قد حدثني أنه إذا
أراد الصنعة لم ينم حتى يدبر ما يحتاج إليه واعتمد على خشبة له فلم
يزل يقرع عليها حتى يفرغ من الصوت ويرسخ في قلبه فجئت حتى
وقفت تحت داره فإذا هو يردد صوتاً أعده فما زلت واقفاً أسمع منه
الصوت حتى أخذته ثم غدونا إلى الرشيد فلما جلسنا للشرب خرج
الخادم إلي فقال يقول لك أمير المؤمنين يا ابن أم عبي فاندفعت
فغنيت هذا الصوت والموصلي في الموت حتى فرغت منه فشرب عليه
وأمر لي بثلاثمائة ألف درهم ووثب إبرهيم الموصلي فحلف
بالطلاق وحباء الرشيد أن الشعر له قاله البارحة وغنى فيه ما سبقه
إليه أحد فقال ابن المهدي يا سيدي فمن أين هو لي أنا لولا كذبه
وبهته وإبرهيم يضطرب ويصيح فلما قضيت أربي من العبث به قلت
للرشيد الحق أحق أن يتبع وصدقته فقال للموصلي أما أخي
فقد أخذ المال ولا سبيل إلى رده وقد أمرت لك بمائة ألف درهم
عوضاً مما جرى عليه فأمر له بها فحملت إليه (الأغاني)
٣٢٤ ذكر المبرد أن المهلب بن أبي صفرة قال يوماً وقد اشتدت
الحرب بينه وبين الخوارج لأبي علقمة اليحمدي أمددنا بخيل
اليحمد وقال لهم أعيرونا جماجمكم ساعة فقال أيها الأمير إن

حماحمهم لبس بحمار فحمار وأعمامهم ليس بكراث فقلت وقال

يقول لي الأمير بغير جرم تقدم حين جد بنا المراس

فما لي إن أطعتك من حياة وما لي غير هذا الراس راس

ثقل وطرب

٣٢٥ أهدى رجل من الثقلاء إلى رجل من الظرفاء جملا ثم نزل عليه حتى أبرمه فقال فيه

يا مبرما أهدى جمل خذ وانصرف ألفي جمل

قال وما أوقارها قلت زبيب وعسل

قال ومن يقودها قلت له ألفا رجل

قال ومن يسوقها قلت له ألفا بطل

قال وما لباسهم قلت حلي وحلل

قال وما سلاحهم قلت سيوف وأسل

قال عبيد لي إذا قلت نعم ثم خول

قال بهذا فاكتبوا إذن عليكم لي سجل

قلت له ألفي سجل فاضمن لنا أن ترتحل

قال وقد أضجرتكم قلت أجل ثم أجل

قال وقد أبرمتكم قلت له الأمر جلل

قال وقد أثقلتكم قلت له فوق الثقل

قال فإني راحل قلت العجل ثم العجل

يَا كَوكَبَ الشُؤْمِ وَمَن أَرْبَى عَلَى نَحسِ زُحَل
يَا حَنَّلاً مِن حَنَلٍ فِي حَنَلٍ فوقَ حَنَل
(لابن عبد ربه)

سنان بن ثابت والطبيب القروي

٣٢٦ مِن طَرِيفِ مَا جَرَى لِسِنَانِ بنِ ثَابِتٍ فى ٱلطِّبِّ فِي امتحانِ الأَطِبَّاءِ عِندَ تقدُّمِ الخَلِيفَةِ إِلَيهِ بِذٰلِكَ أَنَّهُ أُحضِرَ إِلَيهِ رَجُلٌ مَلِيحُ البِزَّةِ وَالهَيئَةِ ذُو هَيبَةٍ وَوَقَارٍ فَأَكرَمَهُ سِنَانٌ عَلَى مُوجَبِ مَنظَرِهِ ورفعَهِ ثُمَّ التَفَتَ إِلَيهِ سِنَانٌ فَقَالَ قَد اشتَهَيتُ أَن أَسمَعَ مِنَ الشَّيخِ شَيئًا أَحفَظُهُ وَأَن يَذكُرَ شَيخَهُ فِي الصِّنَاعَةِ فَأَخرَجَ الشَّيخُ مِن كُمِّهِ قِرطَاسًا فِيهِ دَنَانِيرُ صَالِحَةٌ وَوَضَعَهَا بَينَ يَدَي سِنَانٍ وَقَالَ وَٱللّٰهِ مَا أُحسِنُ أَن أَكتُبَ وَلَا أَقرَأَ شَيئًا جُملَةً وَلِي عِيَالٌ وَمَعَاشِي دَارٌ دَارُهُ وَأَسأَلُكَ أَن لَا تَقطَعَهُ عَنِّي فَضَحِكَ سِنَانٌ وَقَالَ عَلَى شَرِيطَةِ أَنَّكَ لَا تَهجُمُ عَلَى مَرِيضٍ بِمَا لَا تَعلَمُ وَلَا تُشِيرُ بِفَصدٍ وَلَا بِدَوَاءٍ مُسهِلٍ إِلَّا بِمَا قَرُبَ مِنَ الأَمرَاضِ قَالَ الشَّيخُ هٰذَا مَذهَبِي مُذ كُنتُ مَا تَعَدَّيتُ السَّكَنجَبِينَ وَالجُلَّابَ وَانصَرَفَ وَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ حَضَرَ إِلَيهِ غُلَامٌ شَابٌّ حَسَنُ البِزَّةِ مَلِيحُ الوَجهِ ذَكِيٌّ فَنَظَرَ إِلَيهِ سِنَانٌ فَقَالَ لَهُ عَلَى مَن قَرَأتَ قَالَ عَلَى أَبِي قَالَ وَمَن يَكُونُ أَبُوكَ قَالَ الشَّيخُ الَّذِي كَانَ عِندَكَ بِالأَمسِ قَالَ نِعمَ الشَّيخُ وَأَنتَ عَلَى مَذهَبِهِ قَالَ نَعَم قَالَ لَا تَتَجَاوَزهُ وَانصَرَفَ مُصَاحِبًا (لابي الفرج)

حذاء أبي القاسم الطنبوري

٣٢٧ حُكِيَ أنَّهُ كَانَ فِي بغدادَ رَجُلٌ اسمُهُ أبو القَاسِمِ الطُّنبُورِيُّ وَكَانَ لَهُ مَدَاسٌ صار لَهُ وَهُوَ يلبسُهُ سَبعَ سِنِينَ وَكَانَ كُلَّمَا يَنقَطِعُ مِنهُ موضِعٌ جَعَلَ مَكَانَهُ رُقعَةً إلى أن صَارَ إلى غَايَةِ الثِّقَلِ وَصَارَ النَّاسُ يَضرِبُونَ بِهِ المَثَلَ فَاتَّفَقَ أَنَّهُ دَخَلَ يَومًا سُوقَ الزُّجَاجِ فَقَالَ لَهُ سِمسارٌ يَا أَبَا القَاسِمِ قَد قَدِمَ إلينا اليَومَ تَاجِرٌ مِن حَلَبَ وَمَعَهُ حِمْلُ زُجَاجٍ مُذَهَّبٍ قد كَسَدَ فاشتَرِهِ مِنهُ وأنا أَبِيعُهُ لكَ بَعدَ هذهِ المُدَّةِ فَتَكسِبُ بِهِ المِثلَ مِثلَين فَمَضَى وَاشتَرَاهُ بِستِّينَ دِينَارًا ثُمَّ إنَّهُ دَخَلَ إلَى سُوقِ العَطَّارِينَ فَصَادَفَهُ سِمسَارٌ آخَرُ وَقَالَ لَهُ يَا أَبَا القَاسِمِ قَد قَدِمَ إلَينا اليَومَ مِن نَصِيبِينَ تَاجِرٌ وَمَعَهُ مَاءُ وَردٍ فِي غَايَةِ الطِّيبَةِ وَمُرادُهُ أَن يُسَافِرَ فَلِعجَلَةِ سَفَرِهِ يُمكِنُ أَن تَشتَرِيَهُ مِنهُ رَخِيصًا وأَنا أَبِيعُهُ لَكَ فِيمَا بَعدُ بِأَقرَبِ مُدَّةٍ فَتَكسِبُ بِهِ المِثلَ مِثلَينِ فَمَضَى أبُو القَاسِمِ وَاشتَرَاهُ أيضًا بِستِّينَ دِينَارًا أُخرَى وَملأَهُ فِي الزُّجَاجِ المُذَهَّبِ وَحَمَلَهُ وَجَاءَ بِهِ فَوَضَعَهُ عَلَى رَفٍّ مِن رُفُوفِ بَيتِهِ فِي الصَّدرِ ثُمَّ إنَّ أبا القَاسِمِ دَخَلَ الحَمَّامَ يَغتَسِلُ فَقَالَ لَهُ بَعضُ أَصدِقَائِهِ يَا أَبَا القَاسِمِ اشتَهِي أن تُغَيِّرَ مَدَاسَكَ هَذَا فَإنَّهُ فِي غَايَةِ الشَّنَاعَةِ وَأَنتَ ذُو مَالٍ مِن بِحَمدِ اللهِ فَقَالَ لَهُ أَبُو القَاسِمِ الحَقُّ مَعَكَ فَالسَّمعُ والطَّاعَةُ ثُمَّ إنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الحَمَّامِ وَلَبِسَ ثِيَابَهُ رَأَى بِجَانِبِ مَدَاسِهِ مَدَاسًا جَدِيدًا فَظَنَّ أَنَّ الرَّجُلَ مِن كَرَمِهِ اشتَرَاهُ لَهُ فَلَبِسَهُ

ومضى إلى بيته وكان ذلك المداس الجديد مداس القاضي جاء في ذلك اليوم إلى الحمام ووضع مداسه هناك ودخل استحم فلما خرج فتش على مداسه فلم يجده فقال أما إخواننا أترون أن الذي لبس مداسي لم يترك عوضه شيئا ففتشوا فلم يجدوا سوى مداس أبي القاسم الطنبوري فعرفوه لأنه كان تضرب به المثل فأرسل القاضي خدمه فكبسوا بيته فوجدوا مداس القاضي عنده فأحضره القاضي وأخذ منه المداس وضربه تأديبا له وحبسه مدة وغرمه بعض المال وأطلقه فخرج أبو القاسم من الحبس وأخذ مداسه وهو غضبان عليه ومضى إلى الدجلة فألقاه فيها فغاص في الماء فأتى بعض الصيادين ورمى شبكته فطلع فيها المداس فلما رآه الصياد عرفه وقال هذا مداس أبي القاسم الطنبوري فالظاهر أنه وقع منه في الدجلة فحمله وأتى به بيت أبي القاسم فلم يجده فنظر فرأى طاقة نافذة إلى صدر البيت فرماه منها إلى البيت فسقط على الرف الذي فيه الزجاج وماء الورد فوقع الزجاج وتكسر وتبدد ماء الورد فجاء أبو القاسم ونظر ذلك فعرف الأمر فلطم على وجهه وصاح وبكى وقال وافقراه أفقرني هذا المداس الملعون ثم إنه قام ليحفر له في الليل حفرة ويدفنه فيها ويرتاح منه فسمع الجيران حس الحفر فظنوا أن أحدا ينقب عليهم فرفعوا الأمر إلى الحاكم فأرسل إليه وأحضره واعتقله وقال له كيف تستحل

أن يقف على خزائنك حافظهم وحبسه ولم تطلقه حتى غرم بعض المال ثم خرج من السجن ومضى وهو غضبان من المداس وحمله إلى كنيف الخان ورماه فيه فسد قصبة الكنيف فغاص وضجر الناس من الرائحة الكريهة ففتشوا على السبب فوجدوا مداسا فتأملوه وإذا هو مداس أبي القاسم فحملوه إلى الوالي وأخبروه بما وقع فأحضر الوالي أبا القاسم ووبخه وحبسه وقال له عليك تصليح الكنيف فغرم جملة مال وأخذ منه الوالي مقدار ما غرم تأديبا له وأطلقه فخرج أبو القاسم والمداس معه وقال وهو مغتاظ منه والله ما عدت أفارق هذا المداس ثم إنه غسله وجعله على سطح بيته حتى يجف فرآه كلب فظنه رمة فحمله وعبر به إلى سطح آخر فسقط من الكلب على رأس رجل فآلمه وجرحه جرحا بليغا فنظروا وفتشوا لمن المداس فعرفوه أنه مداس أبي القاسم فرفعوا الأمر إلى الحاكم فألزمه بالعوض والقيام بلوازم المجروح مدة مرضه فنفد عند ذلك جميع ما كان له ولم يبق عنده شيء ثم إن أبا القاسم أخذ المداس ومضى به إلى القاضي وقال له أريد من حضرة مولانا القاضي أن يكتب بيني وبين هذا المداس مبارأة شرعية على أنه ليس مني وأني لست منه وأن كلا منا بريء من صاحبه وأنه مهما يفعله هذا المداس لا أؤخذ به أنا وأخبره بجميع ما جرى عليه منه فضحك القاضي منه ووصله ومضى (لطائف العرب)

ألبابُ السادسَ عشرَ
في النوادِرِ

ابن مقلة والواشي

٣٢٨ حُكِيَ أنَّ بعضَ الحَسَدَةِ وشى بالوزيرِ الكاتبِ ابنِ مُقلةَ الذي انفردَ في زمانِهِ بعُلوِ الخطِّ وحُسنِهِ. وادّعى أنهُ غدرَ الملكَ في بعضِ الأمورِ فأمرَ الملكُ بقطعِ يدِهِ فلمّا فعلَ بهِ هذا الامرَ لزِمَ بيتَهُ وانصرفَ عنهُ الاصدقاءُ والمحبّون ولم يأتِهِ احدٌ إلى نصفِ النهارِ فتبيّنَ للملكِ انَّ الكلامَ عليهِ باطلٌ فأمرَ بقتلِ الذي وشى بابنِ مُقلةَ وردّهُ إلى ما كانَ فلما رأى إخوانُهُ ان نعمتهُ عادت إليهِ عادوا لهُ بهُوَيْنةٍ واقبلوا إليهِ يعتذرون فانشدَ

تحالفَ الناسُ والزمانُ فحيثُ كانَ الزمانُ كانوا
عاداني الدهرُ نصفَ يومٍ فانكشفَ الناسُ لي وبانوا

ومكث يكتبُ بيدِهِ اليسرى بقيةَ عمرِهِ ولم يعثر خطُّهُ حتى ماتَ

معجزة ظهرت في حصار مدينة وبذ

٣٢٩ خرجَ أميرُ المؤمنينَ أبو يعقوبَ مِن إسبيليةَ قاصدًا بلادَ الأدفنس فنزلَ على مدينةٍ لهُ عظيمةٍ تسمى وبذ وذلكَ انهُ بلغهُ ان اعيانَ دولةِ الادفنسِ ووجوهَ اجنادِهِ في تلكَ المدينةِ فأقامَ محاصرًا لها اشهرًا إلى ان اشتدَّ الحِصارُ وبرّحَ بهم العطشُ فارسلوا إلى أمير

المؤمنين يطلبون الأمان على أنفسهم على أن يخرجوا له من المدينة فأبى ذلك عليهم وأطمعه فيهم ما نعل إليه من شدة عطشهم وكثرة من يموت منهم فلما يئسوا مما عنده بعث لهم بعض الليالي لغط عظيم وجلبة أصوات وذلك أنهم أخرجوا أباحلهم واجتمع فيسوهم ورهبانهم يدعون ويؤمن تابعهم فجاء مطر عظيم كأنه القرب ملأ ما كان عندهم من الصهاريج فشربوا وارتووا وتقووا على المسلمين فانصرف عنهم الخليفة راجعا إلى إشبيلية بعد أن هادن الأدفنس (للمراكشي)

مشهد الحسين

٣٣٠ ومن عجائب مساجد مصر المشهد العظيم الشأن الذي بالقاهرة حيث رأس الحسين وهو في تابوت من فضة مدفون قد بني عليه بنيان يقصر الوصف عنه مجلل بأنواع الديباج محفوف بأمثال العمد الكبار شمعا أبيض أكثرها موضوع في أتوار الفضة وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهبا في مصنع شبه الروضة يبهر الأبصار حسنا وجمالا وفيه أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع ما لا يتخيله المتخيلون والمدخل إليها من مسجد على مثالها في التأنق حيطانه كلها رخام وأغرب ما فيه حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل شديد السواد والبصيص يصف الأشخاص كلها كأنه المرآة الهندية ولتراحم الناس على القبر وانكبابهم عليه وتمسحهم به وبالكسوة التي عليه رأي هائل (السريشي)

٢٣٣١ نسخة مبايعة ملك كتبها الشيخ عمر بن الوردي نظماً

باسم إله الخلق هذا ما اشترى محمد بن يونس بن شقرا
من أحمد بن مالك بن الأزرق كلاهما قد عرفا من خلق
فباعه قطعة أرض واقعه بغوطة الكورة وهي جامعه
لشجر مختلف الأجناس والأرض في البيع مع الغراس
وذرع هذي الأرض بالذراع عشرون في الطول بلا نزاع
وذرعها في العرض منها عشره وهو ذراع باليد المعتبره
وحدها من قبلة ملك النبي وحائز الرومي حد المشرق
ومن شمال ملك أولاد علي والغرب ملك عامر بن حنبل
بيعاً صحيحاً لازماً شرعاً ثم شراء قاطعاً مرعيا
لا شرط فيه فاسد نبطله ولا خيار لهما يداخله
بثمن مبلغه من فضه دراهم جملة مقبضه
قبضها البائع منه وافيه وعادت الذمة منها خاليه
وسلم الأرض إلى من اشترى قبض الصفقة منه وجرى
بينهما بالبدن التفرق وما بقي لأحد تعلق
وأشهدا عليهما بذاك في سابع عشر رمضان الأشرف
من عام سبعمائة للهجره من بعد خمسة تلي وعشره

مروة اسماعيل المرزحي

٢٣٣٢ نادرة الخليفة عبد المؤمن في أمره قوماً من قرابة ابن تومرت وأنهوا

فِي ذٰلِكَ إِلَى أَن أَجْمَعَ رَأْيُهُم وَرَأْيُ مَن وَافَقَهُم عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِم عَلَى
أَن يَدخُلُوا عَلَى عَبدِ المُؤمِنِ جِبَاءَهُ لَيلًا فَيَقتُلُوهُ وَظَنُّوا أَنَّ ذٰلِكَ يُنجِي
مِن أَمرِهِم وَأَنَّ عَبدَ المُؤمِنِ إِذَا فُقِدَ وَلَم يُعلَم مَن قَتَلَهُ صَارَ الأَمرُ
إِلَيهِم لِأَنَّهُم أَحَقُّ بِهِ إِذ كَانُوا أَهلَ الإِمَامِ وَقَرَابَتَهُ وَأَولَى النَّاسِ بِهِ
فَأُعلِمَ بِمَا أَرَادُوهُ مِن ذٰلِكَ رَجُلٌ مِن أَصحَابِ ابنِ تُومَرتَ مِن جِيرَانِهِم
اسمُهُ إِسمَاعِيلُ بنُ يَحيَى الهَرزَجِيُّ فَأَتَى عَبدَ المُؤمِنِ فَقَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ
المُؤمِنِينَ لِي إِلَيكَ حَاجَةٌ قَالَ وَمَا هِيَ يَا أَبَا إِبرٰهِيمَ فَجَمِيعُ حَوَائِجِكَ
عِندَنَا مَقضِيَّةٌ قَالَ أَن تَخرُجَ عَن هٰذَا الجِبَاءِ وَتَدَعَنِي أَبِيتُ فِيهِ وَلَم
يُعلِمهُ بِمُرَادِ القَومِ فَظَنَّ عَبدُ المُؤمِنِ أَنَّهُ إِنَّمَا تَستَوهِبُهُ الجِبَاءَ لِأَنَّهُ
أَعجَبَهُ فَخَرَجَ عَنهُ وَتَرَكَهُ لَهُ فَبَاتَ فِيهِ إِسمَاعِيلُ المَذكُورُ فَدَخَلَ عَلَيهِ
أُولٰئِكَ القَومُ فَتَوَلَّوهُ بِالحَدِيدِ حَتَّى بَرَدَ فَلَمَّا أَصبَحُوا وَرَأَوا أَنَّهُم لَم
يُصِيبُوا عَبدَ المُؤمِنِ فَرُّوا بِأَنفُسِهِم حَتَّى أَتَوا مَرَّاكُشَ وَرَامُوا القِيَامَ
بِهَا فَأَتَوا البَوَّابِينَ الَّذِينَ عَلَى القُصُورِ فَطَلَبُوا مِنهُمُ المَفَاتِيحَ فَأَبَوا عَلَيهِم.
فَضَرَبُوا عُنُقَ أَحَدِهِم وَفَرَّ بَاقِيهِم وَكَادُوا يَملِكُونَ عَلَى تِلكَ القُصُورِ.
ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اجتَمَعُوا عَلَيهِم مِنَ الجُندِ وَخَاصَّةِ العَبِيدِ فَقَاتَلُوهُم قِتَالًا
شَدِيدًا مِن لَدُن طُلُوعِ الفَجرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمسِ ثُمَّ إِنَّ العَبِيدَ غَلَبُوهُم
عَلَى أَمرِهِم وَلَم يَزَلِ النَّاسُ يَتَكَاثَرُونَ عَلَيهِم إِلَى أَن أُخِذُوا قَبضًا بِاليَدِ
فَقُيِّدُوا وَجُعِلُوا فِي السِّجنِ إِلَى أَن وَصَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبدُ المُؤمِنِ إِلَى
مَرَّاكُشَ فَقَتَلَهُم صَبرًا وَقَتَلَ مَعَهُم جَمَاعَةً مِن أَعيَانِ هَرغَةَ بَلَغَهُ أَنَّهُم

فَادِحُونَ فِي مُلْكِهِ مُتَرَبِّصُونَ بِهِ وَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ الْمُقَدَّمُ الذِّكْرِ فِي الْحَيَاةِ مَقْتُولًا عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا أَعْظَمَ ذَلِكَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ وَوَجَدَ عَلَيْهِ وَجْدًا مُفْرِطًا أَخْرَجَهُ عَنْ حَدِّ التَّمَاسُكِ إِلَى حَيِّزِ الْجَزَعِ، فَأَمَرَ بِغَسْلِهِ وَتَكْفِينِهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ وَدَفَنَ (لعبد الواحد المراكشي)

جود حاتم الطائي

٣٣٣ قَالَتْ نَوَارُ امْرَأَةُ حَاتِمٍ أَصَابَتْنَا سَنَةٌ اقْشَعَرَّتْ لَهَا الْأَرْضُ واغْبَرَّ أُفُقُ السَّمَاءِ وَرَاحَتِ الْإِبِلُ حَدْبَاءَ حَدَابِيرَ وَضَبَّتِ الْمَرَاضِعُ إِلَى أَوْلَادِهَا فَمَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ وَأَيْقَنَّا بِالْهَلَاكِ فَوَاللهِ إِنَّا لَفِي لَيْلَةٍ صِنَّبْرٍ بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ إِذْ تَضَاغَى صِبْيَتُنَا جُوعًا عَبْدُ اللهِ وَعَدِيٌّ وَسَفَّانَةُ فَقَامَ حَاتِمٌ إِلَى الصَّبِيَّيْنِ وَقُمْتُ أَنَا إِلَى الصَّبِيَّةِ فَوَاللهِ مَا سَكَنُوا إِلَّا بَعْدَ هَدْأَةٍ مِنَ اللَّيْلِ وَأَقْبَلَ يُعَلِّلُنِي بِالْحَدِيثِ فَعَرَفْتُ مَا يُرِيدُ فَتَنَاوَمْتُ فَلَمَّا تَهَوَّرَتِ النُّجُومُ إِذَا شَيْءٌ قَدْ رَفَعَ كِسْرَ الْبَيْتِ ثُمَّ عَادَ فَقَالَ مَنْ هَذَا قَالَتْ جَارَتُكَ فُلَانَةُ أَتَيْتُكَ مِنْ عِنْدِ صِبْيَةٍ يَتَعَاوَوْنَ عُوَاءَ الذِّئَابِ فَمَا وَجَدْتُ مُعَوَّلًا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَبَا عَدِيٍّ فَقَالَ أَعْجِلِيهِمْ فَقَدْ أَشْبَعَكِ اللهُ وَإِيَّاهُمْ فَأَقْبَلَتِ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ وَيَمْشِي جَانِبَيْهَا أَرْبَعَةٌ كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ حَوْلَهَا رِئَالُهَا فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ فَوَجَأَ لَبَّتَهُ بِمُدْيَةٍ فَخَرَّ ثُمَّ كَشَطَهُ عَنْ جِلْدِهِ وَدَفَعَ الْمُدْيَةَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَ لَهَا شَأْنَكِ فَاجْتَمَعْنَا عَلَى اللَّحْمِ نَشْوِي وَنَأْكُلُ ثُمَّ جَعَلَ يَمْشِي فِي الْحَيِّ يَأْتِيهِمْ بَيْتًا بَيْتًا فَيَقُولُ هُبُّوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ بِالنَّارِ فَاجْتَمَعُوا وَالْتَفَعَ فِي ثَوْبِهِ

باحِثةً تنظُرُ إلينا فَلا وَاللهِ إن دَاوَيتهُ مُرعةً وإنّهُ لأحوجُ إليهِ منا وأصحابنا وما على الأرضِ من الفَرَس إلّا أعظمُ وحافِرُهُ فأنشأ حاتمٌ يقولُ

مَهلاً نَوارُ أقِلّي اللَّومَ والعَذَلا ولا تقُولِي لِشيءٍ فاتَ ما فَعَلا
ولا تقُولِي لِمالٍ كُنتُ مُهلِكَهُ مهلاً وإن كُنتُ أعطِي الإنسَ والخَبَلا
يَرَى البخيلُ سبيلَ المالِ واحدةً إنّ الجوادَ يرَى في مالِهِ سُبُلا

إيثار ابن مامة الإيادي

٣٣٤ خرجَ كعبُ بنُ مامةَ الإياديُّ في قفلٍ معهم رجلٌ من بني النمر وكانَ ذلكَ في حرِّ الصيفِ فضلُّوا وشحَّ ماؤُهم فكانوا يتصافَنُونَ الماءَ وذلكَ أن تُطرحَ في القعبِ حصاةٌ ثمّ يُصبُّ فيهِ من الماءِ بقدرِ ما يَغمُرُ الحصاةَ فيشربُ كلٌّ واحدٍ قدرَ ما يشربُ الآخرُ ولمّا نزلُوا للشربِ ودارَ القعبُ بينهم حتى انتهى إلى كعبٍ رأى الرجلَ النمريَّ يُحِدُّ نظرَهُ إليهِ فآثرَهُ بمائِهِ وقالَ للساقي اسقِ أخاكَ النمريَّ فشربَ النمريُّ نصيبَ كعبٍ من الماءِ ذلكَ اليومَ ثمّ نزلُوا من الغدِ منزلَهم الآخرَ فتصافَنُوا بقيّةَ مائِهم فنظرَ إليهِ كنظرِهِ أمسِ وقالَ كعبٌ كقولِهِ أمسِ وارتحلَ القومُ وقالُوا يا كعبُ ارتحِلْ فلم يكُن لهُ قوةٌ للنهوضِ وكانُوا قد قرُبُوا من الماءِ فقالُوا لهُ ردْ يا كعبُ إنكَ واردٌ فعجزَ عن الجوابِ ولمّا أيسُوا منهُ خيّمُوا عليهِ بثوبٍ يمنعُهُ من السبعِ أن يأكلَهُ وتركُوهُ مكانَهُ فماتَ . فذهبَ ذلكَ مثلاً في تفضيلِ الرجلِ صاحبَهُ على نفسهِ (أخبار العرب لابن قتيبة)

صنم سومنا

٢٣٥ من عجائب مدينة سومناة هيكل فيه صنم كان واقفا في وسط البيت لا بدعامة من أسفله تدعمه ولا بعلاقة من أعلاه تمسكه وكان أمر هذا الصنم عظيما عند الهند من رآه واقفا في الهواء تحير وكانت الهند يحجون إليه ويحملون إليه من الهدايا كل شيء نفيس وكان له من الوقوف ما يزيد على عشرة آلاف قرية وكان سدنته ألف رجل من البراهمة لعبادته وخدمة الوفود وأما البيت فكان مبنيا على ست وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص وكانت قبة الصنم مظلمة وضوؤها كان من قناديل الجوهر الفائق وعنده سلسلة ذهب كلما مضت طائفة من الليل حركت فتصوت الأجراس فتقوم طائفة من البراهمة للعبادة حكي أن السلطان يمين الدولة لما غزا بلاد الهند ورأى ذلك الصنم أعجبه أمره وقال لأصحابه ماذا تقولون في أمر هذا الصنم ووقوفه في الهواء بلا عماد وعلاقة فقال بعضهم إنه علق بعلاقة وأخفيت العلاقة عن النظر وقال بعض الحاضرين إني أظن أن القبة من حجر المغناطيس والصنم من الحديد والصانع بالغ في تدقيق صنعته وراعى تكافؤ قوة المغناطيس من الجوانب فوافقه قوم وخالفه آخرون فلما رفع حجرين من رأس القبة مال الصنم إلى أحد الجوانب فلم يزل يرفع الأحجار والصنم ينزل حتى وقع على الأرض (للقزويني)

الباب السابع عشر
في الأسفار

مدح السفر

٢٣٣٦ قال أبو القاسم الصاحب: ليس بينك وبين بلد نسب فخير البلاد ما حملك. السفر يسفر عن أخلاق الرجال فأوحش أهلك إذا كان في إيحاشهم أنسك. واهجر وطنك إذا نبت عنه نفسك. ربما أسفر السفر عن الظفر وتعذر في الوطن قضاء الوطر (النوافح للثعالبي)

أنشد سكر العلوي

فوض خيامك عن أرض تهان بها وجانب الذل إن الذل يجتنب
وارحل إذا كان في الأوطان منقصة فالمندل الرطب في أوطانه حطب

قال آخر

ارحل بنفسك من أرض تضام بها ولا تكن بفراق الأهل في حرق
من ذل بين أهاليه ببلدته فالاغتراب له من أحسن الخلق
الكحل نوع من الأحجار مطرحا في أرضه كالثرى يرمى على الطرق
لما تغرب نال العز أجمعه وصار يحمل بين الجفن والحدق

قال عنترة

إذا ما ضاق صدرك من بلاد ترحل طالبا أرضا سواها
عجبت لمن يقيم بدار ذل وأرض الله متسع فضاها

فذاك من الرجال قليل عقل بليد ليس يعلم ما طحاها
ونفسك فزبها إن خفت ضيما وخل الدار تنعى من بناها
فإنك واجد أرضا بأرض ونفسك لم تجد نفسا سواها

٣٣٧ كتب بعض الكتاب جزى الله الفراق خيرا فما هو إلا زفرة وعبرة ثم اعتصام وتوكل ثم تأميل وتوقع وقبح الله التلاق فإنما هو مسرة لحظة ومساءة أيام وابتهاج ساعة واكتئاب زمان وإني لا أكره الإجتماع ولا أكره الفراق لأن مع الفراق عمة تحفها توقع إسعاف بتأميل الأوبة والرجعى ومع الاجتماع محاذرة الفراق وقصر السرور قال بعض الظرفاء لو قلت إني لم أجد الرحيل ألما وللبين حرقة لقلت حقا لأني يلذ به من العناق والبث القاء ما كان معدوما أيام الاجتماع وبه مصافحة التسليم ورجاء الأوبة وعمارة القلب بالشوق والأنس بالمكاتبة (للمدبي)

قال أبو تمام

وليست فرحة الأوبات إلا لموقوف على ترح الوداع

قال ابن الطروبي

تأبى تصدع النوى وتقول كم تغترب
إن الحياة مع الصبا عنه للمقام الأطيب
فأجبتها يا هذه عذري بقولك يجلب
إن الكريم مفارق أوطانه إذ يجدب

وَالبَدرُ حين نَشيئُهُ نقصانُهُ يبعثُ

دم السفر

٣٣٨ كان يُقالُ فِراقُ الأحباب سَقامُ الألباب حق الفراق أن تطير له القلوبُ وتطيش معهُ العقولُ وتطيح عليه النفوسُ وفِراقُ الحبيب يُشيبُ الوليدَ ويُذيبُ الحديد وهول الساقِ أهونُ من الفراقِ وقال النظامُ لو كان للفراقِ صورةٌ لراعَ القلوبَ وهدّ الجبال ولجمرُ الغضا أهونُ توهّجًا من بادِهِ قال بعضهم
ومن يأمن دار الغربة لم يزل عليه رعودٌ جمّةٌ وبروقُ
قال ابنُ الهبارِيّه
قالوا اقم وما رزق وإنما بالسّيرِ يكتسبُ اللبيبُ ويُرزقُ
فأجبتهم ما كلُّ سيرٍ نافعًا الحظُّ ينفعُ لا الرحيلُ المقلقُ
كم سفرةٍ نفعت وأخرى مثلها ضرّت ويكسبُ الحريصُ ويُحمقُ
كالبدرِ يكتسبُ الكمالَ بسيرِهِ وبه إذا حُرِمَ السعادةَ يُمحقُ

سفر ابن جبير الى جزيرة صقلية (سنة ٥٨١ هجرية و١١٨٧ مسيحية)
ذكر مدينة مسينة من جزيرة صقلية

٣٣٩ هذه المدينةُ موسمُ التجارِ ومقصدُ جواري البحر من جميع الاقطارِ كثيرةُ الإرفاقِ برخاء الأسعار لا يقرّ فيها لمسلم قرارٌ مشحونةٌ بعبدة الصلبانِ تغصّ بقاطنيها وتكادُ تضيقُ ذرعًا بساكنيها أسواقها نافقةٌ حفلةٌ وأرزاقها واسعةٌ بإرغادِ العيشِ كفيلةٌ لا تزالُ

بها ليلك ونهارك فى امان وإن كنت غريب الوجه واليد واللسان مستندة إلى جبال قد انتظمت حصصها وجادها والبحر معترض امامها في الجهة الجنوبية منها ومرساها أعجب مراسي البلاد البحرية لأن المراكب الكبار تدنو فيه من البر حتى تكاد تمسكه ونصبت منها الى البر خشبة تصرف عليها والحمال تصعد بحمله اليها ولا تحتاج الى زوارق في وسقها ولا في تفريغها الا ما كان مرسيا على البعد منها يسيرا فتراها مصطفة من البر كاصطفاف الجياد في مرابطها وإصطبلاتها وذلك لإفراط عمق البحر فيها وهو زقاق معترض بينها وبين الارض الكبيرة بمقدار ثلاثة أميال وتقابلها منه بلدة تعرف بريّة وهي عمالة كبيرة وهذه المدينة مسينة رأس جزيرة صقلية وهي كثيرة المدن والعمائر والضياع وطول هذه الجزيرة صقلية سبعة ايام وعرضها مسيرة خمسة أيام وبها جبل البركان وهو يترز بالسحب لإفراط سموه ويعم بالثلج شتاء وصيفا دائما وخصب هذه الجزيرة أكثر من ان يوصف وكفى بأنها ابنة الاندلس في سعة العمارة وكثرة الخصب والرفاهة مشحونة بالأرزاق على اختلافها مملوءة بانواع الفواكه واصنافها وجبالها كلها بساتين مثمرة بالتفاح والشاه بلوط والبندق والإجاص وغيرها من الفواكه . وليس في مسينة هذه من المسلمين إلا نفر يسير من ذوي المهن ولذلك لا يستوحش بها المسلم الغريب

وَاحسن مُدُنها قاعِدَةُ مُلْكِهَا . وَالْمسلمُون يَعرِفُونَهَا بِالمَدِينَةِ والنَّصارَى يَعرِفُونَهَا بِبَلَرمَةَ وفيها سُكنى الحَضرِيين مِنَ المُسلمين

وَبَلرمَه هَذِهِ مَسكَنُ مَلِكهِم غِليَام وَهِيَ اجمل مُدُنِ صِقلِيَه وَبعدهَا مِسينَةُ وَشأنُ مَلِكهِم هَذَا عَجِيبٌ فِي حُسنِ السِيرَةِ وَهُوَ كَثِيرُ الثِقَةِ بِالمُسلمين هُم اهلُ دَولتِهِ والمُرتَسِمُون بِخَاصَّتِه وَعَلَيهِم تَلُوحُ رونقُ مملكَتِهِ لِأَنَّهُم مُتَسِمُونَ فِي المَلابسِ الفَاخِرَةِ وَالمَرَاكِبِ الفَارِهَه وَمَا مِنهُم الأمن لَهُ الحَاشِيَةُ وَالخَولُ وَالأَتبَاعُ وَلِهَذَا المَلِكِ القُصُورُ المُشيدَةُ والبَسَاتِينُ الأَنِيقَةُ وَلَاسِيَّمَا بِحَاضِرَةِ مُلكِهِ المَدِينَةِ المذكُورَه وَلَهُ بِمسِينَةَ قصرٌ أَبيَضُ كَالحَمَامَةِ مُطِلٌّ عَلَى سَاحِلِ البَحرِ وَليسَ فِي مُلُوكِ النَصارَى اترَفُ فِي المُلكِ وَلَا انعم وَلَا أرفه مِنهُ وَهُوَ يَتشَبَّهُ فِي تَرتِيبِ قَوانِينِهِ وَوَضعِ اسَالِيبه وَتقسِيمِ مَرَاتِبِ رِجَالِه وَتفخِيمِ أُبَّهَةِ المُلكِ وإِظهَارِ زِينَتِهِ بِمُلُوكِ المُسلِمِينَ . وَمُلكُهُ عَظِيمٌ جداً وَلهُ الأَطِبَّاءُ وَالمُنجِمُونَ وَهُوَ كَثِيرُ الإِعتِنَاء بِهِم شَدِيدُ الحِرصِ عَلَيهِم حَتَّى إِنَّهُ مَتَى ذُكِرَ لَهُ اَنَّ طَبِيباً أو منجماً اجتاز بِبَلَدِهِ أَمَرَ بِإِمسَاكِهِ وَادَرَّ لَهُ ارزَاقَ معيشَتِهِ وَمِن عَجِيبِ شَأنِهِ المُتَحدثِ بِهِ أَنَّهُ يَقرأُ وَيَكتُبُ بِالعَرَبِيه وَعَلَامَتُهُ عَلَى مَا أَعلَمنا بِهِ احَدُ خَدَمَتِهِ المُختَصِينَ بِهِ أَلحَمدُ لِلّهِ حَق حمده

وَمَدِينَة مِسِينَه المَذكُورَةِ دَارُ صَنعَةٍ تَحتَوِي مِنَ الأَسَاطِيلِ عَلَى مَا لَا تُحصَى عَدَدُ مَرَاكِبِهِ فَكَانَ نُزُولُنَا فِي أَحدِ الفَنَادِقِ وَاقَمنا بِهَا تِسعَه ايَّامٍ فَلَمَّا كَانَ لَيلَة الثُلَاثَاء الثَّانِي عشرَ لِرمضَانَ رَكِبنا فِي زَورَقٍ

متوجهين إلى مدينة ملوسة وسرنا قريبا من الساحل بحيث نبصره رأي العين. وأرسل الله علينا ريحا شرقية رخاء طيبة رحت الزورق أهما ترجه وسرنا نسرح اللحظ في عمائر وقرى متصلة وحصون ومعاقل في قنن الجبال مشرفة وأبصرنا عن يمينا في البحر تسع جزائر قد قامت جبالا مرتفعة على مقربة من بر الجزيرة اثنان منها تخرج منهما النار دائما. وأبصرنا الدخان صاعدا منهما وتظهر بالليل نارا حمراء ذات ألسن تصعد في الجو وهو البركان المشهور خبره وأعلمنا أن خروجها من منافس في الجبلين المذكورين تصعد منها نفس ناري بقوة شديدة تكون عنه النار وربما قذف فيها الحجر الكبير فتلقى به إلى الهواء بقوة ذلك النفس ويمنعه من الاستقرار والانتهاء الى القعر وهذا من أعجب المسموعات الصحيحة وأما الجبل الشامخ الذي بالجزيرة المعروف بجبل النار فشأنه عجيب وذلك أن نارا تخرج منه كالسيل العرم فلا تمر بشيء إلا أحرقته حتى تنتهي إلى البحر فتركب ثبجه على صفحه حتى تغوص فيه فسبحان المبدع في عجائب مخلوقاته وحللنا عشي يوم الأربعاء بمرسى مدينة شفلودي

(ومدينة شفلودي) هي مدينة ساحلية كثيرة الخصب واسعة المرافق منتظمة أشجار الأعناب وغيرها مرتبة الأسواق تسكنها طائفة من المسلمين وعليها قنة جبل واسعة مستديرة بها قلعة لم ير أمنع منها اتخذوها عدة لأسطول يفجأهم من جهة البحر من جهة

المُسلمِينَ وكَانَ إقلاعُنَا مِنهَا بِنِصفِ الليلِ فَجِئنا مَدِينةَ تَرمَةَ ضَحوةَ يوم
الخميس بِسَيرٍ رُوَيدٍ وبَين المَدِينَتَينِ خَمسةٌ وعِشرُونَ مِيلاً فانتقلنا
مِنهَا مِن ذلِكَ الزَورَقِ إلَى زَورقٍ ثَانٍ اكبَر مِنهُ لِكَونِ البحرِ بين
صَحوُنَا فِيهِ مِن اهلها وتَرمَةُ هذِهِ احسَنُ وضعاً مِنَ الَّتِي تقدَّم ذِكرُهَا
وَهِي حَصِينَة تركبُ البَحرَ وتُشرِفُ عليهِ وللمُسلمينَ فِيهَا رَبَضٌ كَبيرٌ
لَهُم فيه المَسَاجِدُ ولَهَا قلعَةٌ سامِيَةٌ منِيعةٌ وفِي اسفَلِ البلدةِ حَمَّةٌ قد
اتخذ اهلها عَلَيها حَمَّاماً وهذِهِ البَلدَةُ مِنَ الخِصبِ وسَعَةِ الرزقِ
علَى غايةٍ والجَزِيرَةُ بِأَسرِهَا مِن أعجَبِ بلادِ اللهِ فِي الخِصبِ وسَعَةِ
الارزاقِ فأقمنَا بِهَا يَومَ الخميس الرابع عشرَ للشهرِ المَذكُورِ ونحنُ قد
ارسَينا فِي وَادٍ بِاسفَلِهَا وتَطَلَّعنَا فيه المَدَّ مِنَ البحرِ ثُمَّ نحسِرُ عنهُ وبِتنَا
بِهَا ليلَةَ الجُمُعةِ ثُمَّ انقلَبَ الهَوَاءُ غربِياً فلم نجد لِلإقلاعِ سَبِيلاً
وبيننا وبينَ المَدِينَةِ المَقصُودَةِ المَعرُوفةِ بِمَدِينةِ النصارَى بِلِرمَةَ خمسةٌ
وعِشرُونَ مِيلاً فخشِينَا طُولَ المَقَامِ وحَمِدنَا اللهَ تعَالَى عَلَى مَا انعمَ بِهِ
مِن التسهيلِ فِي قطعِ المَسَافَةِ فِي يومينِ وقد تلبثُ الزَوارِقُ فِي
قطعِهَا عَلَى مَا أُعلِمنَا بِهِ العشرِينَ يوماً والثلاثين يوماً وبِنَاءً عَلَى ذلِكَ
فأصبحنا يومَ الجُمُعةِ منتصفَ الشهرِ المُبَارَكِ عَلَى نيةٍ مِنَ المسيرِ فِي البرِ
عَلَى اقدامنَا فتحمَّلنا بعضَ اسبابنا وخلفنَا بعضَ الأصحابِ عَلَى الاسبابِ
الباقيَةِ فِي الزورقِ وسِرنا فِي طريقٍ كأنهَا السُّوقُ عِمَارَةً وكثرةَ
صادرٍ ووارِدٍ وطوائِفُ النصارَى يتلقونَنَا فيبادرُونَ بِالسلامِ علَينا

ويونسونا فرأينا من سياستهم ولين مقصدهم مع المسلمين ما نوقع العجب حتى انتهينا إلى قصر سعد وهو على فرسخ من المدينة وقد اخذنا بالإعياء فلجأنا اليه وبتنا فيه وهذا القصر على ساحل البحر مشيد البناء عتيقه قديم الوضع من عهد ملكة المسلمين للجزيرة وبإزائه عين تعرف بعين المجنونة وله باب وثيق من الحديد وداخله مساكن وعلالي مشرفة وبيوت مستطيلة وهو كامل مرافق السكنى وفي أعلاه مسجد من أحسن مساجد الدنيا بهاء مستطيل ذو حنايا مفروشة بحصر نظيفة لم نر أحسن منها صنعة وقد علق فيه نحو الأربعين قنديلا من انواع الصفر والزجاج وأمامه شارع واسع مستدير بأعلى القصر وفي اسفل القصر بئر عذبة فبتنا في هذا المسجد أحسن مبيت وأطيبه وسمعنا الأذان من هذا القصر نحو الميل الى جهة المدينة قصر آخر على صفة تعرف بقصر جعفر وداخله سقاية تفور بماء عذب وأبصرنا للنصارى في هذه الطريق كنائس معدة لمرضى النصارى ولهم في مدنهم مثل ذلك في صفة مارستانات المسلمين وأبصرنا لهم بعكة وصور مثل ذلك فعجبنا من اعتنائهم بهذا القدر فلما صلينا الصبح توجهنا إلى المدينة فجئنا لندخل فمنعنا وحملنا الى الباب المتصل بقصور الملك الإفرنجي علام وأدينا إلى المستخلف ليسألنا عن مقصدنا وكذلك فعلهم بكل غريب فسرنا في كلك رحاب وأبواب وساحات ملوكية وأبصرنا من القصور المشرفة

وَالمَيادِين المُتَّسِعَة وَالبساتين وَالمَراتب المتخذة لأهل الخدمة ما رَاعَ
أبصارنا وأذهل أفكارنا وأبصرنا فيما أبصرناه مجلسًا في ساحة
فسيحة قد أحدق بها بستان وانتظمت بجوانبها بلاطات والمجلس قد
أخذ استطالة تلك الساحة كلها. فعجبنا من طوله وإشراف مناظره
فأعلمنا أنه موضع غداء الملك مع أصحابه وتلك البلاطات والمراتب
حسب تعدد حكامه وأهل الخدمة والعمالة أمامه فخرج إلينا ذلك
المستخلف تتهادى بين خديمين يحفان به ويرفعان أذياله فأبصرنا
شيخًا طويل السبلة أبيضها ذا أبهة فسألنا عن مقصدنا وعن بلدنا
بكلام عربي لين فأعلمناه فأظهر الإشفاق علينا وأمر بانصرافنا
بعد أن احتفى في السلام والثناء فعجبنا من شأنه. وكان أول سؤاله
لنا عن خبر القسطنطينية العظمى وما عندنا منه فلم يكن عندنا ما نعلمه
به وخرجنا إلى أحد الفنادق فنزلنا فيه وذلك يوم السبت الثاني
والعشرين لذي الحجة وفي خروجنا من القصر المذكور سلكنا بلاطًا
متصلًا مشينا فيه مسافة طويلة وهو مسقف حتى انتهينا إلى كنيسة
عظيمة البناء فأعلمنا أن ذلك البلاط ممشى الملك إلى هذه الكنيسة

(ذكر بلرمة) هي بهذه الجزائر أم الحضارة والجامعة بين الحسنيين
غضارة ونضارة فما شئت بها من جمال مخبر ومنظر ومراد عيش يانع
أخضر عتيقة أنيقة مشرقة مونقة تتطلع بمرأى فتان وتتخايل
بين ساحات وبسائط كلها بستان فسيحة السكك والشوارع تروق

الأبصار بحسن منظرها البارع بهجة السامرين وقرطبة البنيان مبانيها كلها تجوب البحر المعروف بالكذابين تسقيها نهر معين وتطرد في حسنها أربع عيون قد زخرف منها الملكيات دماه فاتخذها حاضرة ملكه الإفرنجي تنتظم بلبنها قصوره انتظام العقود في نحور الكواعب وتحلق من نساجها وميادينها بين نزهة وملاعب . فكم له فيها من مقاصير ومصانع ومناظر ومطالع وكم له بجانبها من ديارات قد زخرفت بنيانها ورقمت بالإقطاعات الواسعة رهبانها وكنائس قد صيغ من الذهب والفضة صلبانها . وللمسلمين في هذه المدينة أرباض قد انفردوا فيها بسكناهم عن النصارى والأسواق معمورة بهم وهم التجار فيها ويصلون الأعياد بخطبة ودعاؤهم فيها للعباسيين ولهم بها قاض يرتفعون إليه في أحكامهم ولهذه المدينة شبه بقرطبة إن لها مدينة قديمة تعرف بالقصر القديم هي في وسط المدينة الحديثة وعلى هذا المثال موضع قرطبة وبهذا القصر ديار كأنها القصور المشيدة لها مناظر في الجو مطلعة تحار الأبصار في حسنها (كنيسة بلرمة) ومن أعجب ما شاهدناه بها من أمور النصارى كنيسة تعرف بكنيسة الأنطاكي أبصرناها يوم الميلاد وهو يوم عيد لهم عظيم وقد احتفلوا لها رجالا ونساء فأبصرنا من بنيانها مرأى يعجز الوصف عنه ويقع القطع بأنه أعجب مصانع الدنيا المزخرفة جدرها الداخلة ذهب كلها وفيها من الواح الرخام الملون ما لم ير

مثله وقد رصعت كلها بفصوص الذهب وكلل بأحجار الفصوص الخضر ونظم أعلاها بالشمسات المذهبات من الزجاج فتخطف الأبصار بساطع شعاعها وتحدث في النفوس فتنة وأعلمنا أن بابها الذي ينسب إليه اتفق فيها قناطر من الذهب وكان ورثها أحد هذا الملك ولهذه الكنيسة صومعة قد قامت على أعمدة سوار من الرخام وعليها قبة على أخرى سوار كلها فتعرف بصومعة السواري وهي من أعجب ما يبصر من البناء وزي النصرانيات في هذه المدينة زي نساء المسلمين فصيحات الألسن ملتحفات منتقبات خرجن في هذا العيد المذكور وقد لبسن ثياب الحرير المذهب والتحفن اللحف الرائقة وانتقبن بالنقب الملونة وانتعلن الأخفاف المذهبة وبرزن لكنائسهن حاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلي والخضب والعطر وكان مقامنا بهذه المدينة سبعة أيام ونزلنا بها في أحد فنادقها التي يسكنها المسلمون وخرجنا منها صبيحة يوم الجمعة الثاني والعشرين لهذا الشهر المبارك والثامن والعشرين لشهر دجنبر إلى مدينة اطرابنس بسبب مركبين بها أحدهما يتوجه إلى الأندلس والثاني إلى سبتة فسلكنا على قرى متصلة وضياع متجاورة وأبصرنا محارث ومزارع لم نر مثلها طيبا وكرما واتساعا فشبهناها بقنبانية قرطبة أو هذه أطيب وأمتن وبتنا في الطريق ليلة واحدة في بلدة تعرف بعلقمة وهي كبيرة متسعة فيها السوق والمساجد وسكانها

وسكان هذه الضياع التي في هذه الطريق كلها مسلمون وقيامها تحت
قوم النصارى فاجتزنا بقرية منها على حصن يعرف بحصن الحمة وهو
بلد كبير فيه حمامات وقد فجرها الله ينابيع في الأرض وأسالها
عناصر لا تكاد البدن تحملها لإفراط حرها فأجرينا منها واحدة على
الطريق فنزلنا إليها عن الدواب وأرحنا الأبدان بالاستحمام فيها.
ووصلنا إلى أطرابنس عصر ذلك اليوم فنزلنا منها في دار اكتريناها
(مدينة اطرابنس) وهي مدينة صغيرة الساحة غير كبيرة
المساحة مسورة بيضاء كالحمامة مرساها من أحسن المراسي
وأوفقها للمراكب. ولذلك كثيرا ما تقصد الروم إليها ولاسيما
المقلعون الى بر العدوة فإن بينها وبين تونس مسيرة يوم وليلة
فالسفر منها إليها لا يتعطل شتاء ولا صيفا إلا ريثما تهب الريح
الموافقة فمجراها في ذلك مجرى المجاز القريب وبهذه المدينة السوق
والحمام وجميع ما يحتاج اليه من مرافق المدن لكنها في لهوات البحر
لإحاطته بها من ثلاث جهات واتصال البر بها من جهة واحدة
ضيقة والبحر فاغر فاه لها من سائر الجهات فأهلها يرون انه لا بد له
من الاستيلاء عليها وان تراخى مدى أيامها وهي موافقة لرخاء
السعر بها لأنها على محرث عظيم وسكانها المسلمون والنصارى
ولكلا الفريقين فيها المساجد والكنائس وبركنها من جهة الشرق
مائلا الى الشمال على مقربة منها جبل عظيم مفرط السمو متسع في

أعلاه فيه تقطع عنه وفيها معقل للروم وبينه وبين الجبل قنطرة
ويتصل به في الجبل للروم بلد كبير وبهذا الجبل الكروم والمزارع
وأعلمنا أن به نحو أربعمائة عين متفجرة وهو يعرف بجبل حامد
والصعود إليه هين من إحدى جنباته وهم يرون أن منه يكون فتح
هذه الجزيرة ولا سبيل أن يتركوا مسلماً يصعد إليه ولذلك أعدوا
فيه ذلك المعقل الحصين فلو أحسوا بحادثة حصنوا حريمهم فيه وقطعوا
القنطرة واعترض بينهم وبين الذي في أعلاه خندق كبير
وشأن هذا البلد عجيب من العجب أن يكون فيه من العيون المتفجرة
ما تقدم ذكره وأطرابنش في هذا البسيط ولا ماء لها إلا من بئر
على البعد منها وفي ديارها آبار قصيرة الأرشية ماؤها كلها شريب
لا يساغ وألفينا المركبين اللذين يرومان الإقلاع إلى المغرب بها
ونحن إن شاء الله نؤمل ركوب أحدهما وهو القاصد إلى بر الأندلس
والله بجوده ضمنه الجميل بمنه وفي غربي هذه البلدة
أطرابنش ثلاث جزائر في البحر على نحو فرسخين منها وهي صغار
متجاورة إحداها تعرف بمليطمة والأخرى بيابسة والثالثة تعرف
بالراهب نسبت إلى راهب يسكنها في بناء أعلاها كأنه الحصن وهو
مكمن للعدو والجزيرتان لا عمارة فيهما ولا يعمر الثالثة سوى
الراهب المذكور ثم اتفق كراؤنا في المركب المتوجه إلى بر الأندلس
ونظرنا في الزاد والله المكمل التيسير والتسهيل (لابن جبير)

الباب الثامن عشر
في عجائب المخلوقات

في شرح عجب الموجودات

٣٤ قال القزويني العجب حيرة تعرض للإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشيء أو عن معرفة كيفية تأثيره فيه مثاله أن الإنسان إذا رأى خلية النحل ولم يكن شاهده قبل تعتريه حيرة لعدم معرفة فاعله فلو عرف أنه من عمل النحل لتحير أيضا من حيث إن ذلك الحيوان الضعيف كيف أحدث هذه المسدسات المتساوية الأضلاع التي عجز عن مثلها المهندس الحاذق مع الفرجار والمسطرة ومن أين لها هذا الشمع الذي اتخذت منه بيوتها المتساوية التي لا يخالف بعضها بعضا كأنها أفرغت في قالب واحد ومن أين لها هذا العسل الذي أودعته فيها ذخيرة للشتاء وكيف عرفت أن الشتاء يأتيها وأنها تفقد فيه الغذاء وكيف اهتدت إلى تغطية خزانة العسل بغشاء رقيق ليكون الشمع محيطا بالعسل من جميع جوانبه فلا تنشفه الهواء ولا يصيبه الغبار وتبقى كالبرنية المضمومة الرأس بالكاغد هذا معنى العجب وكل ما في العالم بهذه المثابة إلا أن الإنسان يدركه في صباه عند عدم التجربة ثم يبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم في قضاء حوائجه وتحصيل شهواته وقد أنس بمدركاته

ومحسوساته فسقط عن نظره بطول الأنس بها . فإذا رأى نبتة حيوانا غريبا أو نباتا نادرا او فعلا خارقا للعادات انطلق لسانه بالتسبيح فقال سبحان الله وهو يرى طول عمره أشياء تتحير فيها عقول العقلاء وتدهش فيها نفوس الأذكياء.

فمن أراد صدق هذا القول فلينظر بعين البصيرة إلى هذه الاجسام الرفيعة وسعتها وصلابتها وحفظها عن التغير والفساد فإن الأرض والهواء والبحار بالإضافة اليها كحلقة ملقاة في فلاة ثم ينظر إلى دورانها مختلفا فإن بعضها يدور بالنسبة إلينا رحوية وبعضها حمائلية وبعضها دولابية وبعضها يدور سريعا وبعضها يدور بطيئا ثم الى دوام حركاتها من غير فتور ثم إلى إمساكها من غير عمد تعتمد به او علاقة تتدلى بها ثم لينظر الى كواكبها وشمسها وقمرها واختلاف مساريها ومغاربها لاختلاف الاوقات التي هي سبب نشوء الحيوانات والنبات ثم إلى كثرة كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فإن بعضها يميل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى لون الرصاص ثم إلى مسير الشمس في فلكها مدة سنة وطلوعها وغروبها كل يوم لاختلاف الليل والنهار ومعرفة الاوقات وتمييز وقت المعاش عن وقت الاستراحة ثم إلى إمالتها عن وسط السماء إلى الجنوب والى الشمال حتى وقع الصيف والشتاء والربيع والخريف ثم لينظر إلى جرم القمر وكيفية اكتسابه النور من الشمس لينوب

عنها بالليل ثم إلى امتلائه وانمحاقه ثم إلى كسوف الشمس وخسوف القمر وإلى المجرة وهو الناس الذي يقال له شرج السماء وهو على فلك يدور بالنسبة إلينا رحوية وعجائب السماوات لا مطمع في إحصاء عشر عشرها وفيما ذكرناه تبصرة لكل عبد منيب

ثم لينظر إلى ما بين السماء والأرض من انقضاض الشهب والغيوم والرعود والبروق والصواعق والأمطار والثلوج والرياح المختلفة المهاب وليتأمل السحاب الثقال الكثيف المظلم كيف اجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف حمل الماء وتسخير الرياح فإنها تلاعب به وتسوقه إلى المواضع التي أرادها الله سبحانه فترش بالماء وجه الأرض وترسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة لتصيب وجه الأرض برفق فلو صبه صبا لأفسد الزرع بخدشه وجه الأرض ويرسلها مقدارا كافيا لا كثيرا زائدا عن الحاجة فيعفن النبات ولا ناقصا فلا يتم به النمو ثم إلى اختلاف الرياح فإن منها ما تسوق السحب ومنها ما تنشرها ومنها ما تجمعها ومنها ما تعصرها ومنها ما تلقح الأشجار ومنها ما تربي الزرع والثمار ومنها ما تجففها

ثم لينظر إلى الأرض وجعلها وقورا لتكون فراشا ومهادا ثم إلى سعة أكنافها وبعد أقطارها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها . ثم إلى جعل ظهرها محلا للأحياء وبطنها مقرا للأموات فتراها وهي ميتة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأظهرت

أجناس المعادن وأنبتت أنواع النبات وأخرجت أصناف الحيوان
ثم إلى إحكام أطرافها بالجبال الشامخة كالأوتاد لها لمنعها من أن تميد
ثم إلى إيداع الماء في أوساطها كالخزانات ليخرج منها قليلا قليلا فتتفجر
منها العيون وتجري منها الأنهار فتحيى بها الحيوان والنبات إلى وقت
نزول الأمطار من السنة القابلة ونصبت فاضلها إلى البحار دائما

ثم انظر إلى البحار العميقة التي هي خلجان من البحر الأعظم
المحيط بجميع الأرض حتى أن جميع المكشوف من البوادي والجبال
بالإضافة إلى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الأرض
مستورة بالماء . ثم انظر إلى ما فيها من الحيوان والجواهر ثم انظر
إلى خلق اللؤلؤ في صدفه تحت الماء ثم إلى إنبات المرجان في صميم
الصخر تحت الماء وهو نبات على هيئة شجرة ينبت من الحجر ثم إلى
ما عداه من العنبر وأصناف النفائس التي يقذفها البحر ويستخرج
منه ثم إلى السفن كيف سيرت في البحار وسرعة جريها بالرياح
وإلى اتخاذ آلاتها ومعرفة النواتي موارد الرياح ومهابها ومواقيتها
وعجائب البحار كثيرة لا مطمع في إحصائها

ثم انظر إلى أنواع المعادن المودعة تحت الجبال فمنها ما ينطبع
كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد ومنها ما لا ينطبع
كالفيروزج والياقوت والزبرجد ثم إلى كيفية استخراجها وتنقيتها
واتخاذ الحلي والآلات والأواني منها ثم إلى معادن الأرض كالنفط

وَالكبريتِ والقيرِ وغيرِها وَاجلُّها الملح فلو خلت منهُ بلدهٌ لتسارعَ الفسادُ إلى أهلِها ثُم لننظرْ إلى أنواعِ النباتِ وأصنافِ الفواكهِ المختلفةِ الأشكالِ وَالالوانِ وَالطُّعومِ وَالروائحِ تُسقى بماءٍ واحدٍ ويُفضلُ بعضُها على بعضٍ في الأكلِ مع اتحادِ الأرض والهواءِ والماء فيخرجُ من نواةِ نخلةٍ مطوقةٌ بعناقيدِ الرُّطبِ وَمن حبةٍ سبعُ سنابلَ في كلِ سُنبلةٍ مائةُ حبةٍ ثُم لننظرْ إلى أرضِ الوادي وَيبسِها أحيانها فإنها إذا نزلَ المطرُ عليها اهتزتْ وربتْ وأنبتتْ من كُلِ زوجٍ بهيجٍ. ثُم الى أشكالِها وألوانِها وطُعومِها وروائحِها واختلافِ طبائعِها وكثرةِ منافعِها فلم تنبتْ مِنَ الأرضِ ورقةٌ إلا وفيها منفعةٌ او منافعُ يقفُ فهمُ البشرِ دُونَ إدراكِها ثُم لننظرْ إلى أصنافِ الحيوانِ وانقسامِها إلى ما يطيرُ ويسبحُ ويمشي وإلى اشكالِها وصورِها واخلاقِها لنرى عجائبَ تدهشُ منها العقولُ بل في البقةِ اوِ النملِ اوِ العنكبوتِ أوِ النحلِ فإنها مِن اصنافِ الحيواناتِ لنرى ما نتحيرُ منهُ مِن بنائِها البيتَ وجمعِها الغذاءَ وادخارِها لوقتِ الشتاءِ وحذقِها في هندستِها ونصبِها الشبكةَ للصيدِ وما مِن حيوانٍ إلا وفيهِ مِنَ العجائبِ ما لا يحصى وإنما سقطَ التعجبُ منها للأنسِ بها بكثرةِ المشاهدةِ

في حجم الشمس ووصفها

٣٤١ وأما الشمسُ فاعظمُ الكواكبِ حجماً وأشدُّها ضوءاً ومكانُها

الطبيعي الكرة الرابعة (*) زعم المنجمون أن الشمس بين الكواكب كالملك وسائر الكواكب كالأعوان والجنود والقمر كالوزير وولي العهد وعطارد كالكاتب والمريخ كصاحب الشرطة والمشتري كالقاضي وزحل كصاحب الخزائن والزهرة كالخدم والجواري. والأفلاك كالأقاليم والبروج كالبلدان والدرجات كالعساكر والدقائق كالمحال والثواني كالمنازل. وهذا تشبيه جيد

ومن عجائب لطف الله تعالى جعل الشمس في وسط الكواكب السبعة لتبقى الطبائع والمطبوعات في نظم العالم بحركاتها على حدها الاعتدالي إذ لو كانت في فلك الثوابت لفسدت الطبائع بشدة البرد ولو أنها انحدرت الى فلك القمر لاحترق هذا العالم بالكلية. ولطف آخر من الله تعالى أن خلقها سائرة غير موافقة والا لاشتدت السخونة في موضع واشتد البرد في غيره فلا يخفى فسادهما. لكن تطلع كل يوم من المشرق (*) ولا تزال تغشى موضعاً بعد موضع حتى تنتهي إلى المغرب فلا يبقى موضع مكشوف موازٍ لها إلا ويأخذ حظاً من شعاعها وتميل في كل سنة مرة إلى الجنوب ومرة إلى الشمال لتعم فائدتها أما إلى الجهة

( ) ذلك زعم الأقدمين اما المتأخرون فعلى ان الشمس في جوف الفلك ومن حولها تدور سائر الأفلاك واقربها الى الشمس عطارد ثم الزهرة ثم الأرض ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل

( ) وهذا من آراء الأوائل فقد ثبت الآن عند العلماء ان الأفلاك تدور حول الشمس وأبطل ما اعتقده القدماء من ان الشمس تدور من حول الافلاك

الجنوبية فتميل حتى تنتهي الى قريب من مطلع قلب العقرب . وهو مطلع أقصر يوم في السنة وأما الى الجهة الشمالية فتميل حتى تنتهي الى قريب من مطلع السماك الرامح وهو مطلع أطول يوم في السنة ثم ترجع تميل الى الجنوب

في كسوف الشمس وبعض خواصها

٣٤٢ وسببه كون القمر حائلاً بين الشمس وبين ابصارنا لأن جرم القمر كمدٌ فيحجب ما وراءه عن الأبصار فإذا قارن الشمس وكان في احدى نقطتي الرأس والذنب أو قريباً منه فإنه يمر تحت الشمس فيصير حائلاً بينها وبين الابصار ثم الشمس اذا انكسفت لا يكون لكسوفها مكث لأن قاعدة مخروط الشعاع اذا انطبق على صفحة القمر انحرف عنه في الحال فتبتدئ الشمس بالانجلاء لكن يختلف قدر الكسوف باختلاف أوضاع المساكن بسبب اختلاف المطالع وقد لا ينكسف في بعض البلاد اصلاً

وأما تأثيرات الشمس في العلويات والسفليات فكثيرة أما في العلويات فإعطاؤها جميع الكواكب بكمال شعاعها وإعطاؤها للقمر النور وأما في السفليات فمنها تأثيرها في البخار فإنها اذا اشرقت على الماء اصعدت منه الحرارة بسبب السخونة فإذا بلغ البخار الى الهواء البارد تكاثف من البرد وانعقد سحاباً ثم تذهب به الرياح الى الأماكن البعيدة عن البحار فينزل الله قطراً تحيى به الأرض بعد

نموها وتظهر منه الازهار والثمار فتصير سببا لبقاء الحيوان وخروج النبات ومنها امر النبات فان الزروع والاشجار والنبات لا تنبت تنمو إلا في المواضع التي تطلع عليها الشمس. ولذلك لا تنبت تحت النخل والأشجار العظام التي لها ظلال واسعة شيء من الزروع لأنها تمنع شعاع الشمس عما تحتها وحسبك ما ترى من تأثير الشمس بحسب الحركة اليومية في النيلوفر والاذريون وورق الخروع فإنها تنمو وتزداد عند أخذ الشمس في الارتفاع والصعود فإذا زالت الشمس أخذت في الذبول حتى اذا غابت الشمس ضعفت وذبلت ثم عادت اليوم الثاني إلى حالها ومنها تأثيرها في الحيوانات فإنا نرى الحيوان اذا طلع نور الصبح خلق الله تعالى في ابدانها قوة فظهر فيها قواه وانتعاش قوته. وكلما كان طلوع نور الشمس اكثر كان ظهور قوة الحيوان في أبدانها اكثر إلى ان وصلت الى وسط سمائها فإذا مالت عن وسط سمائهم أخذت حركاتهم وقواهم في الضعف ولا تزال تزداد ضعفا إلى زمان غروبها فإذا غابت الشمس رجعت الحيوانات إلى اماكنها ولزمتها كالموتى فإذا طلعت عليها الشمس في اليوم الثاني عادوا إلى الحالة الأولى (للعروسي)

فصل في القمر وحسوفه وتأثيراته

٣٤٣ وأما القمر فهو كوكب مكانه الطبيعي الفلك الاسفل وهو جرم كثيف مظلم قابل للضياء الا القليل منه على ما نرى في ظاهره

فالنصف الذي يواجه الشمس مضيء أبداً فإذا قارنت الشمس كان النصف المظلم مواجهاً للأرض فإذا تباعد عن الشمس إلى المشرق ومال النصف المظلم من الجانب الذي يلي المغرب إلى الأرض فيظهر من النصف المضيء قطعة هي الهلال ثم تتزايد الانحراف وتزداد تزايده القطعة من النصف المضيء حتى إذا كان في مقابلة الشمس كان النصف المواجه للشمس هو النصف المواجه لنا فنراه ثم تقرب من الشمس فينقص الضياء من الجانب الذي بدا به على الترتيب الأول حتى إذا صار في مقارنة الشمس محق نوره وعود إلى الموضع الأول وسبب خسوفه توسط الأرض بينه وبين الشمس فإذا كان القمر في احدى نقطتي الرأس والذنب أو قريباً منه عند الاستقبال توسط الارض بينه وبين الشمس فيقع في ظل الارض ويبقى على سواده الاصلي فيرى منخسفاً وتأثيراته عجيبة زعموا أن تأثيراته كلها بواسطة الرطوبة كما ان تأثيرات الشمس بواسطة الحرارة ويدل عليها اعتبار اهل التجارب منها أمر البحار فإن القمر إذا صار في أفق من آفاق البحر أخذ ماؤه في المد مقبلاً مع القمر ولا يزال كذلك الى أن يصير القمر في وسط سماء ذلك الموضع فإذا صار هناك انتهى المد منتهاه فإذا انحط القمر من وسط سمائه جزر الماء ولا يزال كذلك راجعاً الى أن يبلغ القمر مغربه فعند ذلك ينتهي الجزر منتهاه ومن كان في لجة البحر وقت ابتداء المد

أحسَ للماء حركةً مِن أسفلِه إلى أعلاهُ ويرَى لهُ انتفاخًا وتهيجُ فيها رياحٌ عواصفُ وأمواجٌ وإذا كانَ وقتُ الجزرِ نقصَ جميعُ ذلكَ ومَن كانَ في الشطوطِ والسواحلِ فإنهُ يرى للماءِ زيادةً وانتفاخًا وجريانًا وعلوًّا ولا يزالُ كذلكَ إلى أن يجزرَ ويرجعَ الماءُ إلى البحرِ. وابتداءُ قوةِ المدِ في البحارِ إنما تكونُ في كلِ موضعٍ عميقٍ واسعٍ كثيرِ الماءِ

في المجرة والكواكب الثوابت

٣٤٤ وهيَ البَياضُ الذي يُرى في السما تقالُ لهُ شرجُ السماءِ إلى زمانا هذا لم نسمع في حقيقتها قولٌ شافٍ زعموا أنها كواكبُ صغارٌ متقاربة بعضُها من بعضٍ والعربُ تسميها أمّ النجوم لاجتماع النجوم فيها وزعموا أنَ النجومَ تقاربت من المجرةِ فطمس بعضُها بعضًا وصارت كأنها سحابٌ وهيَ تُرى في السماءِ أول الليلِ في ناحيةٍ من السماء وفي النصف اول الليل في وسطِ السماءِ ممتدةً من الشمالِ إلى الجنوب وبالجملةِ إنها تدورُ دورًا رحويًا فتراها نصفَ الليلِ ممتدةً مِن المشرقِ إلى المغربِ وفي آخرِ الليل من الجنوبِ إلى الشمال

واما الكواكبُ الثوابتُ فإن عددها مما تقصرُ ذهنُ الإنسانِ عن ضبطها لكن الأولين قد ضبطوا منها ألفًا واثنين وعشرين كوكبًا ثم وجدوا من هذا المجموع إلى تسعمائة وتسعة عشر كوكبًا تنتظمُ منها ثمانٍ وأربعونَ صورةً كلُ صورة منها تشتملُ على كوكبها وهي الصورةُ التي اثبتها بطليموسُ في كتاب المجسطي بعضُها في النصف

الشمالي من الكرة وبعضها على منطقة فلك البروج التي هي طريقة السيارات وبعضها في النصف الجنوبي فسمي كل صورة باسم الشيء المشبه بها فوجد بعضها على صورة الإنسان كالجوزاء وبعضها على صورة الحيوانات البحرية كالسرطان وبعضها على صورة الحيوانات البرية كالحمل وبعضها على صورة الطير كالعقاب وبعضها خارجا عن سنة الحيوانات كالميزان والسفينة ووجد من هذه الصور ما لم يكن تام الخلقة مثل الفرس ومنها ما بعضه من صورة حيوان والبعض الآخر من صورة حيوان آخر كالرامي وإنما القوا هذه الصور وسموها بهذه الاسما ليكون لكل كوكب اسم يعرف به متى اشاروا اليه وذكروا موقعه من الصورة وموقعه من فلك البروج وبعده من الشمال او الجنوب عن الدائرة التي تمر باوساط البروج لمعرفة اوقات الليل والطالع في كل وقت

فصل في ارباع السنة

٣٤٥ من جملة لطف الله بعباده ان اعطى لكل فصل طبعا مغايرا لما قبله في كمية أخرى ليكون ورود الفصول على الابدان بالتدريج فلو انتقل من الصيف الى الشتاء دفعة لأدى ذلك إلى تغيير عظيم في الابدان فحسبك ما ترى من تغير الهواء في يوم واحد من الحر الى البرد كيف يظهر مقتضاه في الابدان فكيف اذا كان مثل هذا التغيير في الفصول فسبحانه ما اعظم شانه واكثر امتنانه

أما الربيع فهو وقت نزول الشمس اول برج الحمل فعند ذلك استوى الليل والنهار في الاقاليم واعتدل الزمان وطاب الهواء وهب النسيم وذاب الثلوج وسالت الاودية ومدت الانهار ونبعت العيون وارتفعت الرطوبات الى اعلى فروع الاشجار ونبت العشب وطال الزرع وتلألأ الزهر واورق الشجر وانفتح النور واخضر وجه الارض وطاب عيش اهل الزمان وتكونت الحيوانات ودبت الدبيب ونتجت البهائم ودرت الضروع وانتشر الحيوان في البلاد عن اوطانه وصارت الدنيا كأنها جارية شابة تحلت وتزينت للناظرين ولا يزال كذلك دأبها ودأب اهلها الى ان تبلغ الشمس آخر الجوزاء فحينئذ انتهى الربيع واقبل الصيف

وأما الصيف فهو وقت نزول الشمس أول السرطان فعند ذلك تناهى طول النهار ثم اخذ الليل في الزيادة ودخل الصيف . واشتد الحر وسخن الهواء وتقوى اكثر النبات والحيوان ، وأدركت الثمار وجفت الحبوب وقلت الانداء وأصابت الدنيا ويبست البهائم واشتدت قوة الابدان وكثر الرهب وانتشرت الحيوانات على وجه الارض لعموم الحر وكثرت الدبيب وطاب عيش أهل الزمان وكثرت السموم ونقصت الانهار ونضبت المياه ويبس العشب وادرك الحصاد ودرت الاخلاف واتسع للناس القوت وللطير الحب وللبهائم العلف وتكامل زخرف الارض وصارت

الدنيا كأنها عروس منعمة بالغة كاملة ذات جمال ورونق فلا يزال الامر كذلك أن يبلغ الشمس آخر السنبلة فحينئذ أقبل الخريف وأما الخريف فهو وقت نزول الشمس الميزان فبعد ذلك استوى الليل والنهار مرة أخرى ثم ابتدأ الليل بالزيادة وكما ذكرنا أن الربيع زمن نشوء الاشجار وبدء النبات وظهور الازهار فالخريف زمان ذبول النبات وتغير الاشجار وسقوط أوراقها فحينئذ برد الماء وهب الشمال وتغير الزمان ونقص المياه وجف الأنهار وغارت العيون ويبس انواع النبات وقبض الثمار. واحرز الناس الحب والتمر وعرى وجه الأرض من زينتها وماتت الهوام وانجحرت الحشرات وانصرف الطير وطلب الوحش البلدان الدافئة وأحرز الناس قوت الشتاء ودخلوا البيوت ولبسوا الجلود الغليظة من الثياب وتغير الهواء وصارت الدنيا كأنها كهلة قد ولت ايام شبابها الى أن يبلغ الشمس آخر القوس وقد انتهى الخريف واقبل الشتاء وأما الشتاء فهو وقت نزول الشمس اول الجدي فبعد ذلك تناهى طول الليل وقصر النهار ثم اخذ النهار فى الزيادة واشتد البرد وخشن الهواء وتعرى الاشجار عن الأوراق وقبيت بطونها وفات اكثر النبات وانجحرت الحيوانات في اطراف الأرض وكهوف الجبال من شدة البرد وكثرة الانداء وتراكب الغيوم واظلم الجو وكلح وجه الزمان وهزلت البهائم وضعف قوى الابدان. ومنع

البردُ الناس عن التصرفِ وتعسر أكثر الحيوان وطال الليلُ الذي جعلهُ اللهُ سكنا ولباساً وبرد الماء الذي هو مادة الحياة وانقطع الذبابُ والبعوضُ وعدم دوابُ السموم من الهوام وتطيبُ فيه الأكلُ والشربُ وهو زمانُ الراحة والإستمتاع كما ان الصيف زمانُ الكد والتعب حتى قيل من لم تغل دماغهُ صايفا لم تغلْ قدرهُ شاتياً. وصارت الدنيا كانها عجوزٌ هرمةٌ دنا منها الموتُ فلا يزالُ كذلك الى ان تبلغ الشمسُ آخر الحوت وقدا نتهى الشتاءُ واقبل الربيع مرة اخرى

فصلٌ في تولد الانهار

٣٤٦ إذا وقعت الامطارُ والثلوج على الجبل تنصبُّ الامطارُ إلى المغارات وتذوب الثلوج وتغيضُ الى الاهوية التي في الجبالِ فتبقى محزونة فيها وتمتلي الأوشالُ منها في الشتا فإذا كان في اسافل الجبال منافذ ضيقة تخرجُ المياه من الاوشال في تلك المنافذ فتحصلُ منها جداول وتجتمعُ بعضها إلى البعض فتحصلُ منها اودية وانهارٌ فان كانت الخزانات في اعالي الجبال تستمر جريانها أبدا لان مياهها تنصبُّ الى سفح الجبالِ ولا تنقطع مادتها لوصولِ مددها من الامطارِ وإن كانت الخزانات في أسافل الجبالِ فتجري منها الانهارُ عند وصولِ مددها وتنقطعُ عند انقطاع المددِ وتبقى المياهُ فيها واقفة كما ترى في الأودية التي تجري في بعض الايام ثم

تنقطع عند انقطاع مادتها وكل هذه الأنهار تبتدئ من الجبال وتنتهي إلى البحار او البطائح وفي ممرها تسقي المدن والقرى وما فضل تنصب الى البحار ثم ترق وتلطف وتتصاعد في الهواء بخارًا ويتراكم منه الغيوم وتسوقه الرياح إلى الجبال والبراري وتمطر هناك وتجري في الأودية والأنهار وتسقي البلاد ويرجع فاضله إلى البحر ولا يزال هذا دأبه وتدور كالرحا في الصيف والشتاء

حجم الارض ودورانها وهيئتها

٣٤٧ ألارض جسم تقتضي طباعه أن يكون باردًا يابسًا وإنما خلقت باردة يابسة لأجل الغلظ والتماسك إذ لولاهما لما أمكن قرار الحيوان على ظهرها والهواء والماء محيطان بها من جميع جهاتها الا المقدار البارز الذي جعله الله تعالى مقرًا للحيوان ثم إن الإنسان في اي موضع وقف على سطح الارض يكون رأسه ابدًا مما يلي السماء ورجله مما يلي الارض وهو يرى من السماء نصفها وإذا انتقل إلى موضع آخر ظهر له من السماء مقدار ما خفي له من الجانب الآخر ثم إن البحر المحيط الأعظم محاط بأكثر وجه الارض والمكشوف منها قليل نأتي على المثال على مثال بيضة غائصة في الماء تخرج من الماء بعضها وليست هي مستديرة ملساء ولا مصمتة بل كثيرة الارتفاع والانخفاض من الجبال والتلال والاودية والاهوية والكهوف والمغارات ولها منافذ وخلجان . وكلها

مملئة مياهًا وبخارات ورطوبات دهنية وما في الأرض موضع شبر إلا وهناك معدن أو نبات أو حيوان باختلاف أجناسها وأنواعها وصورها ومزاجها وألوانها لا يعلم تفصيلها غير الله تعالى وهو صانعها ومدبرها ما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا يابس إلا في كتاب مبين

وأما هيئة الأرض فقد اختلف آراء القدماء فيها قال بعضهم إنها مبسوطة في السطح وقال بعضهم هي على شكل الترس ولولا ذلك لما ثبت عليها بناء ولا مشى عليها حيوان والذي يعتمد عليه جماهيرهم أن الأرض مدورة كالكرة ومن القدماء من أصحاب فثاغورس من قال إن الأرض متحركة دائمًا على الاستدارة والذي يرى من دوران الكواكب إنما هو دور الأرض لا دور الكواكب

في السحاب والمطر وما يتعلق بهما

٣٤٨ زعموا أن الشمس إذا أشرقت على الماء حللت من الماء أجزاء لطيفة مائية تسمى بخارًا ومن الأرض أجزاء لطيفة أرضية تسمى دخانًا فإذا ارتفع البخار والدخان في الهواء وتدافعهما الهواء إلى الجهات ويكون من قدامهما جبال شامخة مانعة ومن فوقها برد الزمهرير ومن أسفلها مادة البخار متصلة فلا يزال البخار والدخان يكثران ويتلطأن في الهوا وتتداخل أجزاء بعضها في بعض حتى تثخن فتتكون منهما سحاب مؤلف متراكم ثم أن السحاب كلما ارتفع انضمت أجزاء البخار

ثُمَّ تلتئمُ تلك الأجزاءُ المائية بعضُها إلى بعضٍ فتصير قطرًا فتثقلت وأخذت راجعةً إلى أسفلُ فإن كانَ صعودُ ذلكَ البخار بالليلِ والهواءُ شديدُ البردِ منعهُ من الصعود وأجمدهُ أولًا فصارَ سحابًا رقيقًا وإن كانَ البردُ مفرطًا أجمدَ البخارَ في الغيمِ وكان ذلكَ ثلجًا لأنَّ البردَ يجمدُ الأجزاءَ المائيةَ ويخلطُ بالأجزاءِ الهوائيه ويُنزلُ بالرفقِ فلذلكَ لا يكونُ لهُ في الأرضِ وقعٌ شديدٌ كما للمطرِ والبردِ وإن كانَ الهواءُ دافئًا ارتفعَ البخارُ في العُلوِّ وتراكمَ السُّحُبُ طبقاتٍ بعضُها فوق بعضٍ كما ترى في أيامِ الربيعِ والخريفِ كأنَّها جبالٌ من قطنٍ مندوفٍ فإذا عرضَ لها بردُ الزمهريرِ من فوقِ غلظِ البخارِ وصارَ ماءً وانضمَّت أجزاؤها فصارَ قطرًا وعرض لها الثقلُ فأخذت تهوي من سمكِ السحابِ ومن تراكيبها تلتئمُ تلكَ القطراتُ الصغارُ بعضُها إلى بعضٍ حتى إذا خرجت من أسفلها صارت قطرًا كبيرًا فإن عرضَ لها بردٌ مفرطٌ في طريقها جمدت وصارت بردًا قبلَ أن تبلغَ الأرضَ وإن لم تبلغ الأبخرةُ إلى الهواءِ الباردِ فإن كانت كثيرةً صارت ضبابًا وإن كانت قليلةً وتكاثفت فإن لم تجمد نزلَ طلًا وإن انجمدَ نزلَ صقيعًا

في الرعد والبرق وما يعلق بذلك

٣٤٩ زعموا أن الشمسَ إذا أشرقت على الأرضِ حللت منها أجزاءً ناريةً تخالطها أجزاءٌ أرضيةٌ ويُسمى ذلكَ المجموعُ دخانًا ثم الدخانُ يمازجهُ البخارُ ويرتفعانِ معًا إلى الطبقةِ الباردةِ من الهواءِ فينعقدُ

البخار سحابا ويحبس الدخان فيه فإن بقي على حرارته قصد الصعود وإن صار باردا قصد النزول وأما ما كان يخرق السحاب خرقا عنيفا فيحدث منه الرعد وربما تشتعل نارا لشدة المحاكة فيحدث منه البرق إن كان لطيفا والصاعقة إن كان غليظا كثيرا (*) فيحرق كل شيء أصابه وربما تذوب الحديد على الباب ولا تضر الخشبة وربما تذوب الذهب في الخرقة ولا تضر الخرقة وقد تقع على الجبل فتشقه وقد تقع على الماء فيحرق فيه حيوانه واعلم أن الرعد والبرق كلاهما يحدثان معا لكن نرى البرق قبل أن نسمع الرعد وذلك لأن الرؤية تحصل لمحاذاة الناظر وأما السمع فيتوقف على وصول الصوت إلى الصماخ وذلك يتوقف على تموج الهواء وذهاب النظر أسرع من وصول الصوت ألا ترى أن القصار إذا ضرب الثوب على الحجر فإن الناظر يرى ضرب الثوب على الحجر ثم السمع يسمع صوته بعد ذلك بزمان والرعد والبرق لا يكونان في الشتاء لقلة البخار الدخاني ولهذا لا يوجدان في البلاد الباردة ولا عند نزول الثلج لأن البرد يطفئ البخار الدخاني والبرق الكثير يقع عنده مطر كثير لتكاثف أجزاء الغمام فإنها إذا تكاثفت انحصر الماء فإذا زال زال بشدة كما إذا احتبس الماء ثم انطلق فإنه يجري جريا شديدا (كله من عجائب المخلوقات للقزويني)

(*) قد أصبح الآن للطبيعيين المحدثين أن البروق والرعود منشأه من الكهربائية وقد أتوا على شرح ذلك في كتبهم

الباب التاسع عشر
في المراسلات

فصل في المراسلات بين الملوك والامرا

كتاب المحقق الطوسي الى صاحب حلب بعد فتح بغداد

٣٥٠ أما بعد فقد نزلنا بغداد سنة خمس وخمسين وستمائة فساء صباح المنذرين فدعونا مالكها إلى طاعتنا فإن أبيت فروح وريحان وجنة نعيم وإن أبيت فلا سلطان منك عليك فلا تكن كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن أنفه بكفه والسلام

ذكر مراسلة تيمور سلطان عراق العجم ابا الفوارس شاه شجاع

٣٥١ إن الله تعالى سلطني عليكم وعلى ظلمة الحكام والجائرين من ملوك الانام ورفعني على من ناوأني ونصرني على من خالفني وقد رأيت وسمعت فإن أجبت وأطعت فبها ونعمت وإلا فاعلم ان قدام قدمي ثلاثة أشياء الخراب والقحط والوباء وإثم كل ذلك عائد عليك ومنسوب اليك (اجاب تيمور لاس عرشاه)

كتاب الحسن بن ذكرويه الى بعض عماله

٣٥٢ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد المهدي المنصور الناصر لدين الله القائم بأمر الله الداعي جعفر بن حميد الكردي سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو اما بعد فقد انهي إلينا ما حدث قبلك من اخبار أعداء الله الكفرة وما فعلوه بناحيتك من

الظلم والعسف والفساد في الأرض فأعطانا ذلك ورأينا أن نبعد إلى ما هنالك من جيوشنا من تتم لنا الله به من أعدائنا الظالمين الذين يسعون في الأرض فسادًا فابعدنا جماعة من المؤمنين إلى مدينة حمص ونحن في إثرهم وقد أوعزنا إليهم في المسير إلى ناحيتك لطلب أعداء الله حيث كانوا ونحن نرجو أن يجري الله فيهم على أحسن عوايده عندنا في أمثالهم فينبغي أن تكون قلبك وقلوب من اتبعك من أوليائنا وثقًا بالله وبنصرة الذي لم يزل يعودنا في كل من مرق من الطاعة وانحرف عن الإيمان وبادر إلينا بأخبار الناحية وما يحدث فيها ولا تخف عنا شيئا من أمرها سبحانك اللهم والحمد لله رب العالمين (تاريخ حلب لكمال الدين)

كتاب سلطان مراكش الى سلطان فرنسه لويس الرابع عشر

٣٥٣ صدر هذا المكتوب العلي الإمامي عن الأمر العلوي الذي دانت لطاعته الكريمة ممالكه الإسلامية وانقادت لدعوته الشريفة الأقطار المغربية وخضعت لأوامره العلية جبابرة الملوك السودانية وأقطارها القاصية والدانية إلى الملك الذي له بين ملوك النصرانية والملل المسيحية الرتبة العالية والمنزلة الرفيعة السامية سلطان فرانصة لويز ابن السلاطين الذين لهم المكانة السامية المنار

أما بعد حمد الله مولى الحمد ومستحقه فكتابنا هذا إليكم من حاضرتنا العلية مدينة مراكش ولا زائد إلا ما سرّه لأنا بالنا الشريفة من عوايد

النصر والإقبال وصنايع الله الجميلة المعمة السجال المساله في الكر والآصال لله المنة والشكر هذا موجبه الكتم الشريف أنه لما ورد خديمكم المرعي الملحوظ الوديلي على مرسى ثغر أسفي المحروس بالله وأسلم كتابكم المصحوب معه لخديمنا الذين بالثغر بادروا بوصوله إلينا في الفور فوقفنا منه على جميع ما أودعتم فيه من تعريف المحبة وتأسيس الهدنة بين الجانبين الى ما أشرتم إليه في شأن الاسارى الفرانصيين الذين رغبتم من مقامنا العلي تسريحهم فأخذنا في ذلك أتم الأخذ وأكملة الى ان نستوفي ذلك على أحسن وجه وأجمله وأجبناكم عن فصول كتابكم كلها فوجهنا به وبالنصارى المذكورين صحبة خديمنا الوجيه الأثير السيل النبيه القايد يحيى بن محمد الحاتي قصد أن يلتقي مع خديمكم المذكور إن تأتى له الاجتماع معه في البر وإن تعذر عليه ذلك بعث لخديمنا من يقوم مقامه ممن هو مثله ويتكلم معه في أغراضكم ليسلم له النصارى المذكورين ويتكلم معه في أغراض الجانبين ثم إن خديمنا المذكور لما بلغ ثغر اسفي فقد خديمكم من المرسى فسأل عنه فقيل له قد أقلع منذ أربعة أيام فاقتص بعض الخدام أثره في البحر فلم يجد له أثرا هذا وقد كان خديمكم على علم ويقين ان خديمنا المذكور قادم إليه وفي أثناء الطريق فهلا قبل وصوله والخديم الذي يكون بصدد أغراض صنعه لا تسفره شي عن قضائها ولا ينبغي له الارتحال قبل انفصالها فعرفناكم بالواقع

إ رفوا أننا لم نقصر في اغراضكم الملقاة لدينا بالقبول وبه وجب الكتب إليكم في ٢٦ من ربيع النبوي سنة ٤٠ ١(١٦٣٠م)

كتاب سلطان مراكش الى لويس السادس عشر سلطان فرنسه

٣٥٤ بسم الله الرحمان الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله عن أمر السلطان الاعظم سلطان مراكش وفاس وكافة الاقاليم المغربية خلد الله نصره وأعز أمره وأدام سموه ومجده وأشرق في فلك السعادة شمسه وبدره إلى عظيم جنس الإفرنسيس المولى امرهم الري لويز السادس عشر من اسمه سلام على من اتبع الهدى

أما بعد فقد ورد علي حضرتنا العلية بالله كتابك الذي بأرخته بثاني عشر من مايه عام أربعة وسبعين وسبعمائة وألف المتضمن الاخبار بموت جدك الري لويز الخامس عشر على يد باب فوصوكم بطلبي دنطير وبقي في خاطرنا جدك لويز كثيرا حيث كانت له محبة في جانبنا العلي وكان من يحسن السياسة في قومه وله حمايه في رعيته وحفظ عهده مع اصحابه وفرحنا حيث كان ناب من ذريته من يخلفه في المملكه والجلوس على سرير الملك من بعده وما زال نسعد بك رعيتك اكثر مما كانت في حياة جدك ونحن معك على المهادنه والصلح كما كان مع جدك ثم فاعلم ان سفنا من سفن الفرنسيس حرثوا بأقصى أنالينا المباركة في الصحراء وبعوق جميع من سلم من الغرق من النصارى في ايدي العرب وحيث بلغنا ذلك سرنا بعض

خذامِا للصحراء لِوجههم اليكم بعد الإيعام عليهم دعماً للمهادنه والصلح الذى بيننا وبينكم وبصلك سته من الخيل من عتاق خيلنا صلة منا إليكم وخدعنا المذكور لا تطووه عندكم ووجهوه إلينا عزما بعد قضاء الغرض الذى وجهناه إليه ونحن معكم على المهادنه والصلح انتهى صدر الامر بكتبه من حاضره مكناسه الزيتون فى عاشر جمادى الثانيه عام ١١٨٨ للهجره (١٧٧٥ للمسيح)

فى الاشواق وحسن التواصل

فصل لسعيد بن عبد الملك

٣٥٥ انا صب الىك سامى الطرف نحوك وذكرك ملصق بلسانى وانسمك حلو على لهواتى وشخصك ماثل بين عينى وانت اقرب الناس من قلبى واخذهم بمجامع هواى صادف منك جوهر نفسى فانا غير محمود على الانقياد لك بغير زمام لأن النفس يقود بعضها بعضا وقال ابو العتاهيه

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه
وللناس من الناس مقاييس واشباه

كتاب الحسن بن سهل الى صديق له يدعوه الى مأدبه

٣٥٦ نحن فى مأدبه لنا تشرف على روضه تضاحك الشمس حسنا قد باكرت السماء بقلها فهى مشرقة بمائها حاليه بنوارها فرأيك فى ان تكون على سواء من استمتاع بعضنا ببعض

(وكتب إليه) هذه صفة لو كان في أقاصي الأطراف لوجب انتجاعها وحث المطي في ابتغائها، فكيف في موضع أن يسكنه ويجمع إلى أنس مطرفه حسن وجهك وطيب شمائلك وأما الجواب

٣٥٧ كتب إبرهيم بن العباس إلى بعض أصحابه المودة تجمعنا محبتها والصناعة تؤلفنا أسبابها وما بين ذلك من تراخ في لقاء أو تخلف في مكاتبة موضوع بيننا يوجب العذر فيه

كتاب اسحاق بن ابرهيم الموصلي الى احمد بن يوسف

٣٥٨ الشوق إليك وإلى عهد أيامنا التي حسنت كأنها أعياد وقصرت كأنها ساعات لفوت الصفاء وبما نجدده ونكثر دواعيه تصاقب الديار وقرب الجوار تمم الله لنا النعمة المجددة فيك بالنظر إلى الغرة المباركة التي لا وحشة معها ولا أنس بعدها (لابن عبد ربه)

٣٥٩ (كتب بعض الكتاب إلى أخ له) أما بعد فإنه من عانى الظمأ بفرقتك استوجب الري من رؤيتك، وإن رأيت أن تجرد لي ميعادًا بزيارتك اتوق به الى وقت رؤيتك وتؤنسني الى حين لقائك فعلت (فأجابه) اخاف ان اعدك وعدًا يعترض دون الوفا به ما لا أقدر على دفعه فيكون الحسرة أعظم من الفرقة

٢٦ (وكتب في بابه) يومًا طاب أوله وحسن مستهله واتت السماء بقطارها فحلت الأرض بأنوارها وبك تطيب الشمول وتسقى العلل فإن بأخرت فرقت شملنا وان تعجلت إلينا نظمت أ ربنا

٣٦١ كَتَبَ بعضهم إلى أميرٍ صبيٍّ أكرمكَ اللهُ من نفسك حسبُ وصفُ نفسي من رجائك أصابَ اللهُ بمعروفك مواضعهُ وبسطَ بكلِّ خيرٍ يدك (للمروانى)

كتاب زبيدة الى المأمون بعد قتله ابنها الأمين

٣٦٢ كلُّ ذنبٍ يا أميرَ المؤمنين وإن عظُم صغيرٌ في جنبِ عفوك . وكلُّ زللٍ وإن جلَّ حقيرٌ عند صفحك . وذلك الذي عوَّدك اللهُ فأطالَ مدتك وتمَّم نعمتك . وأدامَ بك الخيرَ ودفعَ بك الشرَّ هذه رقعةُ الوالهِ التي ترجوك في الحياة لنوائبِ الدهرِ وفي المماتِ لجميلِ الذكرِ فإن رأيتَ أن ترحمَ ضعفي واستكانتي وقلةَ حيلتي وأن تصلَ رحمي وتحتسبَ فيما جعلكَ اللهُ له طالبًا وفيه راغبًا فافعل وتذكّر من لو كان حيًّا لكان شفيعي إليك

(ولما وقف المأمون عليها بكى على اخيه الامين ورق لها وكتب اليها الجواب)

٣٦٣ وصلت رقعتكِ يا أُمّاه (حاطكِ اللهُ وتولّاكِ بالرعاية) ووقفتُ عليها ساءني شهدَ اللهُ جميعُ ما أوضحتِه فيها لكنِ الأقدارُ نافذةٌ والأحكامُ جاريةٌ والأمورُ متصرفةٌ والمخلوقون في قبضتها لا يقدرون على دفاعها والدنيا كلُّها إلى شتاتٍ وكلُّ حيٍّ إلى مماتٍ والغدرُ والبغيُ حتفُ الإنسانِ والمكرُ راجعٌ إلى صاحبه وقد أمرتُ بردِّ جميع ما أُخذَ لكِ ولم تفقدي ممن مضى إلى رحمة الله إلّا وجهَهُ وأنا بعد ذلك لكِ على أكثر مما تختارين والسلامُ

ثم أمر برد ضياعها وجميع ما أخذ منها وأقطعها ما كان في يدها وأعادها إلى حالها الأولى في الكرامة والحسنة (حدثنا الأفراح للسمى)

فصول في الهدايا

كتب رجل إلى المتوكل وقد أهدى إليه قارورة من دهن الأترج

٣٦٤ إنّ الهديّة إذا كانت من الصغير إلى الكبير كلّما لطفت ودقّت كانت أبهى وأحسن وكلما كانت من الكبير إلى الصغير كلّما عظمت وجلّت كانت أنفع وأوقع وأرجو أن لا تكون قصّرت بي همّة أصارتني إليك ولا أخرى إرشاد دلّني عليك وأقول

ما قصّرت همّة بلغتها بابك يا ذا السداد والكرم
حسبي بودّك أن ظفرت به ذخرا وعزّا يا واحد الأمم

٣٦٥ كتب أحمد بن أبي طاهر مع هدية

من سنة الأملاك فيما مضى من سالف الدهر وإقباله
هديّة العبد إلى ربّه في جدّة الدهر وإخلاله
فقلّ ما أهدي إلى سيّدي حالي وما حولت من حاله
إن أهد نفسي فهي من نفسه أو أهد مالي فهو من ماله
فليس إلّا الحمد والشكر والمدح الذي يبقى لأمثاله

أهدت جارية من جواري المأمون تفاحة له وكتبت إليه

٣٦٦ إني يا أمير المؤمنين لمّا رأيت تنافس الرعيّة في الهدايا إليك وتواتر الطافهم عليك فكرت في هديّة تخفّ مؤنتها وتهون كلفتها وتعظم خطرها ويجلّ موقعها فلم أجد ما يجمع فيه هذا النعت

وَيكمُلُ فيه هٰذَا الوَصفُ إلَّا التفَّاحَ فَأهدَيتُ إلَيكَ مِنهَا واحِدَةً فِي العَدَدِ كَثيرَةً فِي التَّقرُّبِ . وَأحببتُ يَا أمِيرَ المُؤمِنِين أن أُعرِبَ لَكَ عن فَضلِهَا وَأكشِفَ لكَ عن مَحَاسِنِهَا وَأشرَحَ لَكَ لَطِيفَ مَعَانِيهَا وَمَا قَالَ الأطبَّاءُ فيهَا وَتفنّنَ الشُّعرَاءُ فِي أوصَافِهَا حَتى يَرمُقَهَا بِعَينِ الجَلالَةِ وَيلحظهَا بِمُقلَةِ الصِّيانَةِ فَقَد قَالَ أبُوكَ الرشِيدُ أحسنُ الفَاكِهَةِ التُّفَّاحُ اجتمعَ فِيهِ بَيَاضُ الفضّةِ ولَونُ التبرِ يلذُّ بِهَا مِنَ الحَوَاسِ العَينُ بِحُسنهَا والأنفُ بِرِيحِهَا وَالفَمُ بِطَعمِهَا

فصول في التهنئة

كتب بعض الشعرا الى بعض اهل السلطان في المهرجان

٣٦٧ هٰذِهِ أيَّامٌ جَرَت فِيهَا العَادَةُ بِالطافِ العَبيد للسادَةِ وإن كَانَت الصِّناعَة تقصرُ عمَّا تبلغُهُ الهمَّةُ فكرِهتُ ان أهدِي فلا أبلغَ مِقدَارَ الوَاجِبِ فجعلتُ هَدِيَتِي هٰذهِ الابيات وهيَ

وَلمَّا أن رَأيتُ ذوِي التَّصَافِي ... تَبَارَوا فِي هَدَايَا المَهرجَانِ
جَعَلتُ هدِيَتِي وِدًّا مُقِيمًا ... عَلَى مَرِّ الحَوَادِثِ وَالزمَانِ
وَعِدًّا حِينَ تُكرِمُهُ ذَلِيلًا ... وَلٰكِن لَا يَعِزُّ عَلَى الهَوَانِ
يَزِيدُكَ حِينَ تَعطِفهِ خُضُوعًا ... وَيَرضَى مِن نَوَالِكَ بِالأمَانِي

كتاب السلطان العزيز الى ابن مفسر الطبيب النصراني بهنئة بالبرء من مرضه

٣٦٨ بسم اللهِ الرحمٰنِ الرَحِيم الَى طَبِيبٍ سلَّمَهُ اللهُ سلامُ اللهِ الطَّيبِ وأتمُّ النعمةِ عَلَيهِ وَصَلَت البُشرَى السَارة بمَا وَهَبهُ اللهُ من عَافِيَة الطَّبِيب

وثُوبه واللهِ العظيم لقد عدلَ عِندنا ما رُزِقناهُ نحنُ مِنَ الصحّةِ في جسمِنا أعاذكَ اللهُ العثرة. وأعادكَ إلى أفضلِ ما عوّدكَ من صحّةِ الجسمِ وطيبةِ النفسِ وخفضِ العيشِ بحولِهِ وقوّتِهِ (لابي الفرج)

في الوصية

كتاب ابي بكر الى يزيد ابن ابي سفيان

٣٦٩ إذا سِرتَ فلا تُعنّف على أصحابكَ في السّيرِ ولا تُغضب قومَكَ وشاورهم في الأمرِ واستعملِ العدلَ وباعِد عنكَ الظّلمَ والجَوْرَ فإنّهُ ما افلحَ قومٌ ظلموا ولا نُصِروا على عدوّهم وإذا لقيتُمُ الّذين كفرُوا زحفًا فلا تولّوهم الأدبار ومن يُولّهِم يومئِذٍ دُبُرَهُ إلاّ مُتحرِّفًا لِقِتالٍ او مُتحيّزًا إلى فِئةٍ فقد باءَ بغضبٍ مِنَ اللهِ وإذا نُصِرتُم على عدوّكم فلا تقتُلوا وليدًا ولا شيخًا ولا امراة ولا طِفلاً ولا تعقِروا نخلاً ولا تُحرِقوا زرعًا ولا تقطعُوا شجرًا مُثمرًا ولا تعقِروا بهيمةً إلّا بهيمةَ المأكول ولا تغدِرُوا اذا عاهدتُم ولا تنقُضوا اذا صالحتُم وستمرّون على اقوامٍ في الصوامِعِ رُهبانٍ ترهّبُوا للهِ فدَعُوهم وما انفردُوا إليه وارتضوهُ لِأنفسِهِم فلا تهدِمُوا صوامِعَهم ولا تقتُلوهُم والسلامُ (تاريخ الشام للواقدي)

كتاب عمر بن الخطاب لابنه عبد الله

٣٧ امّا بعدُ فإنّهُ مَن اتّقى اللهَ وقاهُ ومن توكّلَ عليهِ كفاهُ ومن شكرَ لَهُ زادهُ ومن أقرضهُ جزاهُ. فاجعلِ التّقوى عمادَ قلبِكَ وجلاءَ

نَصرِكَ فإنه لا عمل لمن لا نية له ولا اجر لمن لا حسبة له ولا جديد لمن لا خلق له (القيرواني)

كتاب عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان عامله على البصرة

٣٧١ أمّا بعدُ فقد أصبحت أميرًا تقول فيُسمع لكَ وتأمُرُ فينفذُ أمرُكَ. فيالها نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك وتُطغِكَ على من دونك فاحترس من النعمة أشدّ من احتراسك من المصيبة وإياكَ أن تسقط سقطةً لا سوى لها وتعثر عثرةً لا لعالها (أي لا إقالة) والسلامُ

كتاب عمر الى سعد بن ابي وقاص ومن معهُ من الاجناد

٣٧٢ أمّا بعدُ فاني آمُرُكَ ومن معكَ من الأجنادِ بتقوى الله على كلِ حالٍ فإن تقوى الله أفضلُ العُدّة على العدوِ وأقوى المكيدة في الحرب وآمُرُكَ ومن معكَ أن تكونوا أشدّ احتراسًا من المعاصي منكم من عدوكم فإنّ ذنوب الجيش أخوفُ عليهم من عدوِهم. ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأنّ عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضلُ علينا في القوة وإلّا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظةً من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم. اسألُ الله ذلك لنا ولكم وترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجشمهم مسيرًا يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزلٍ يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص

فوبهم فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامي الأنفس والكراع وأمر من معك في كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ونح مسارهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ولكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه ولكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم ثم أذك أحراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك والله ولي أمرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم . والله المستعان

فصول في الذم

فصل لأحمد بن يوسف

٣٧٣ أما بعد فإني لا أعرف للمعروف طريقا أوعر من طريقه إليك فالمعروف لديك ضائع والشكر عندك مهجور وإنما غايتك في المعروف أن تحجره وفي وليه أن تكفره

كتاب أبي العاهية إلى الفضل بن معن بن زائدة

٣٧٤ أما بعد فإني توسلت إليك في طلب نائلك بأسباب الأمل وذرائع الحمد فرارا من الفقر ورجاء للغنى وازددت بهما بعدا مما فيه تقربت وقربا مما فيه تبعدت وقد قسمت اللائمة بيني وبينك لأني أخطأت في سؤالك وأخطأت في منعي أمرت باليأس من

أهل النحل فسالتهم وبهت عن منع اهل الرغبة فمنعهم

فصل لابرهيم بن المهدى

٣٧٥ إن مودة الاشرار متصلة بالذلة والصغار تقل منعهما وتصرف في آثارهما وقد كنت أحل مودتك بالمحل النفيس وأنزلها بالمنزل الرفيع حتى رأيت دلتك عند الضيعة وضرعتك عند الحاجة وتنكرك عند الاستغناء واطراحك لإخوان الصفاء فكان ذلك اقوى أسباب عذرى في قطيعتك عند من تصفح أمري وأمرك بعين عدل لا يميل الى هوى ولا يرى القبيح حسنا

فصل في العتاب لعبد الله بن معاوية ذي الجناحين

٣٧٦ أما بعد فقد عاقني الشك في امرك عن عزيمة الرأي فيك ابتدأتني بلطف عن غير خبرة وأعقبته جفاء من غير ذنب فأطمعني أولك في إخائك وآيسني آخرك من وفائك فسبحان من لو شاء أكشف من امرك عن عزيمة الرأي فيك فأقمنا على ائتلاف وافترقنا على اختلاف

وله ايضاً في هذا الباب

٣٧٧ لو كانت الشكوك تختلجني في صحة مودتك وكريم اخائك ودوام عهدك لطال عتبي عليك في تواتر كتبي واحتباس جواباتها عني ولكن الثقة بما تقدم عندي تعذرك وتحسن ما تقبحه جفاؤك والله يديم نعمته لك ولنا بك

فصل لابن المدبر

٣٧٨ وصل كتابك المفصح بالعتاب الجميل والتقريع اللطيف فلولا ما غلب عليّ من السرور بسلامتك لتقطّعت غمًّا بعتابك الذي لطف حتى كاد يخفى عن أهل الرقّة والفطنة وغلظ حتى كاد يفهمه أهل الجهل والبلَه فلا أعدمني الله رضاك مجازيًا به على ما استحقّه عندك فأنت ظالم فيه وعتابك لي الخروج منه (لابن عبد ربه)

كتب صاحب البريد بخراسان الى الرشيد ويحيى جالس بين يديه

٣٧٩ إنّ الفضل بن يحيى متشاغل بالصيد وإدمان اللّذات عن النظر في أمور الرعيّة

فلما قرأ الرشيد رمى به الى يحيى وقال له يا أبي إقرأ هذا الكتاب واكتب اليه بما يردعه عن هذا فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد

حفظك الله يا بنيّ وأمتع بك قد انتهى إلى أمير المؤمنين مما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرعيّة ما أنكره فعاود ما هو أزين بك فإنّه من عاد إلى ما يزينه أو يشينه لم يعرفه أهل دهره إلّا به والسلام (لابن خلكان)

كتاب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد الى ابرهيم بن المهدي

٣٨٠ أمّا بعد فإنّه عزيز عليّ أن أكتب إلى أحد من بيت الخلافة بغير كلام الإمرة وسلامها غير أنّه بلغني عنك أنّك مائل الهوى والرأي للناكث المخلوع فإن كان كما بلغني فقليل ما كتبت به لك وإن يكن غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله

وبركاته وقد كتبت في أسفل كتابي أبياتاً قد برّها

وكونك القول ما لم تبل فرصته   جهل رمى بك بالإقحام تغرير
أهون بدنيا يصيب المخطئون بها   حظ المصيب والمغرور مغرور
فازرع صواباً وخذ بالحزم حيطته   فلن يذم لأهل الحزم تدبير
فإن ظفرت مصيباً او هلكت به   فأنت عند ذوي الألباب معذور
وإن ظفرت على جهل ففزت به   قالوا جهول أعانته المقادير

فصول في المدح والشكر

فصل لمحمد بن الجهم

٣٨١ إنك لزمت من الوفاء طريقة محمودة وعرفت مناقبها وشهرت بمحاسنها فتنافس الإخوان فيك يبتدرون ودك ويتمسكون بحبلك فمن أثبت له عندك وداً وضع خلته موضع جدها

كتب ابن مكرم الى احمد بن المدبر

٣٨٢ إن جميع أكفائك ونظرائك يتنازعون الفضل فإذا انتهوا إليك أقروا لك . ويتنافسون المنازل فإذا بلغوك وقفوا دونك فزادك الله وزادنا بك وفيك وجعلنا ممن يقبله رأيك ويقدمه اختيارك وينفع من الأمور غوامض غواصك ويجري فيها على سبيل طاعتك (وله) إن مما يطمعني في بقاء النعمة عندك ويزيدني بصيرة في العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها واستوجبتها بما فيك من أسبابها ومن شأن الأجناس أن تتألف وشأن الأشكال

أن سماوم . وكلُّ شيء يململ إلى معدنه ويحنُّ إلى عنصره فإذا صادف منبتهُ ونزل في مغرسه ضرب بعرقه وبسق بفرعه وتمكّن تمكُّن الإقامة وتمكّك تمكُّك الطبيعة

فصل لابن مكرم

٣٨٣ ألسيفُ العتيقُ إذا أصابهُ الصدأ استغنى بالقليل من الجلاء حتى تعود جدّتهُ ويظهر فرندهُ للين طبيعته وكرم جوهره ولم أصف نفسي لك عُجبًا بل شكرًا (وله) زاد معروفك عندي عظمًا أنه عندك مستورٌ حقيرٌ وعند الناس مشهورٌ كبيرٌ (أخذهُ الشاعرُ) فقال

زاد معروفك عندي عظمًا ... أنهُ عندك مستورٌ حقيرُ
تتناساهُ كأن لم تأته ... وهو عند الناس مشهورٌ كبيرُ

فصل للعتابي

٣٨٤ إن أيها الأمير وارثُ سلفك وبقيةُ أعلام أهل بيتك المسدود بهم ثلمهم المجدد به قديمُ شرفهم والمحيا به أيامُ سعيهم وانهُ لم تخمل من كنت وارثهُ ولا درست آثار من كنت سالك سبيله ولا امّحت أعلامُ من خلفتهُ في رتبته

فصول في التعازي

فصل لعمرو بن بحر الجاحظ

٣٨٥ أما بعدُ فإنَّ الماضي قبلك الباقي لك والباقي بعدك المأجور فيك وإنما يُوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب (وله) اما بعدُ فإن

فِي الله العزاءُ مِن كُلِّ هَالِكٍ والخَلَفَ مِن كُلِّ مُصَابٍ وَإِنَّهُ من لَم يَعزِ بعزاءِ اللهِ يقطع نفسهُ عن الدنيا حسرةً (وله) اما بعدُ فإنَّ الصبر نعمةُ الأحرِ والجزعَ نعمةُ الهلع فمسك بحظك مِن الصبر تنل بهِ الذي تطلبُ وَتُدرك بهِ الذي تأملُ (لابن عبد ربه)

كتب ابن السماك الى هارون الرشيد يعزيه بولد

٣٨٦ اَمَا بعدُ فان استطعتَ أن يكونَ للهِ شكرُكَ حين وهبهُ لك فافعل فإنهُ حين قبضهُ منك احرزَ لكَ هبتهُ ولو بقي لَم تسلم مِن فتنتهِ أرأيتَ جزعَكَ على ذهابهِ وتلهفكَ على فراقهِ أرضيتَ الدارَ لنفسكَ فترضاها لابنك اما هُو فقد خلص مِن الكَدَر وبقيتَ انتَ معلقًا بالخطرِ وَالسَّلامُ (الكنز المدفون للسيوطي)

عزى شبيب بن شبه المنصور على اخيه ابي العباس فقال

٣٨٧ جعل اللهُ ثوابَ ما رُزِئتَ بهِ لكَ أجرًا وأعقبكَ عليهِ صبرًا. وختمَ ذلكَ لك بعافيةٍ تامةٍ ونعمةٍ عامةٍ فثوابُ اللهِ خيرٌ لكَ منهُ وما عِند اللهِ خيرٌ لهُ منكَ وأحقُّ ما صُبر عليهِ ما ليس إلى تغييرهِ سبيلٌ

رسائل الى عليل

٣٨٨ ليسَ حالي أكرمكَ اللهُ في الاغتمام بعلّتكَ حالَ المشاركِ فيها بأن تنالني حصةٌ منها وأسلمَ من أكثرها بل اجتمع عليَّ منها أني مخصوصٌ بها دونكَ مؤلَمٌ منها بما يؤلمُكَ فأنا عليلٌ مصروفُ العنايةِ إلى عليلٍ كأني سليمٌ فأنا أسألُ اللهَ الذي جعل عافيتي في عافيتكَ

أن يحصي مساويك فإنها سائلة لي ولك . (وفي هذا الباب) ان الذي تعلم حاجتي إلى بقائك قادر على المدافعة عن حوبائك فلو قلت ان الحق قد سقط عني في عيادتك لاني عليل بعلتك لقام بذلك شاهد عدل في ضميرك وان بارد في حالي لعينك واصدق الخبر ما حققه الاثر وافضل القول ما كان عليه دليل

فصول في وفا

كتب الحسن بن وهب الى مالك بن طوق يوصي بابن ابي الشيص

٣٨٩ كتابي إليك خططته بيميني وفرغت له ذهني . فما ظنك بحاجة هذا موقعها مني اتراني اقبل العذر فيها واقصر في الشكر عليها وابن ابي الشيص قد عرفته وتسببه وصفاته ولو كان ابوه حيا لبسط بيده ما عداها الى غيرها فاكتف بهذا منا (وله) كتابي إليك كتاب معني بمن كتب له واثق بمن كتب إليه . ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله

فصل للحسن بن سهل

٣٩ فلان قد استغنى باصطناعك إياه عن تحريكي إياك في امره فان الصنيعة حرمة للمصنوع إليه ووسيلة إلى مصطنعه فبسط الله بذلك بالخيرات وجعلك من اهلها ووصل بك اسبابها (وله) موصل كتابي إليك انا فكن له انا وتأمله بعين مشاهدتي وحلني فلسانه أشكر ما انبت إليه وادم ما قصرت فيه (لابن عبد ربه)

الباب العشرون
في تاريخ العرب

طرف في امة العرب وطباعهم وسكناهم

٣٩١ إعلم أن العرب منهم الأمة الراحلة الناجعة الخيام لسكناهم والخيل لركوبهم والأنعام لكسبهم يقومون عليها ويقتاتون من ألبانها ويتخذون الدفء والأثاث من أوبارها وأشعارها ويحملون أثقالهم على ظهورها يتنازلون حللا متفرقة ويبتغون الرزق في غالب أحوالهم من القنص وتخطف الناس من السبل ويتقلبون دائما في المجالات فرارا من حمارة القيظ تارة وصبارة البرد أخرى وانتجاعا لمراعي غنمهم وارتيادا لمصالح إبلهم الكفيلة بمعاشهم وحمل أثقالهم ودفئهم ومنافعهم فاختصوا لذلك بسكنى الإقليم الثالث فعمروا اليمن والحجاز ونجدا وتهامة وما وراء ذلك لاختصاص هذه البلاد بالرمال والقفار المحيطة بالأرياف الآهلة عن سواهم من الأمم في فصل الربيع وزخرف الأرض لرعي الكلإ والعشب في منابتها والتنقل في نواحيها الى فصل الصيف لمدة الأقوات في سنيهم من حبوبها وربما لحق أهل العمران أثناء ذلك معرات من اضرارهم بإفساد السابلة ورعي الزرع مخضرا وانتهابه قائما وحصيدا الا ما حاطته الدولة وذادت عنه الحامية في الممالك التي للسلطان عليهم

فيها ثم يتحدرون في فصل الخريف الى المعاد لرعي شجرها ونتاج إبلهم في رمالها وما احاط به علمهم من مصالحها وفرارا بانفسهم وظعائنهم من أذى البرد إلى دفء مشاتيها . فلا يزالون في كل عام مترددين بين الريف والصحراء ما بين الإقليم الثالث والرابع صاعدين ومنحدرين على ممر الأيام شعارهم لبس المخيط في الغالب ولبس العمائم تيجانا على رؤسهم لقنوا من أمم العرب في حمل السلاح اعمال الرماح الخطيه وهجروا تنكب القسي (تاريخ ابن خلدون)

ذكر نسب العرب وتقاسيمهم

٣٩٢ قال المطرزي اختلف في نسبهم وقيل ان اسمهم اشتق من الإبانة لقولهم اعرب الرجل عما في ضميره اذا أبان عنه والاصح أنهم نسبوا إلى عربة وهي من تهامة ودعي جيلهم جيل الجاهلية لما كان عليه العرب من الجهل بالله وشرايع الدين والكبر والتجبر . وقد قسم المورخون العرب إلى ثلاثة أقسام عاربة ومتعربة ومستعربة . اما العاربة فهم العرب الأول الذين ذهب عنا تفاصيل أخبارهم لتقادم عهدهم وأما العرب المتعربة فهم عرب اليمن من ولد قحطان وأما العرب المستعربة فهم ولد إسماعيل (نهاية الارب للنويري)

اخبار العرب العاربة او البائدة وهم القسم الاول

٣٩٣ هم شعوب كثيرة فهم عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم الأولى وقد تسمى هذا الجيل العرب البائدة بمعنى الهالكة لانهم لم

يبق على وجه الأرض احد من نسلهم . وقد سمي أهل هذا الجيل العاربة إما بمعنى الراسخة بالعروبة كما يقال ليل أليل وصوم صائم او بمعنى الفاعلة للعروبة والمبتدعة لها بما كانت اول أجيالها

واما بنو عاد فكانت مواطنهم الأولى بأحقاف الرمل بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر وكان أبوهم عاد أول ملك من العرب وذكر المسعودي أن الذي ملك منهم من بعد عاد شداد وهو الذي سار في الممالك واستولى على كثير من بلاد الشام والهند والعراق ولما اتصل ملك عاد وعظم طغيانهم وعتوهم انتحلوا عبادة الأصنام والاوثان اباذهم الله وهلكوا عن أقصاهم

واما ثمود فكانت ديارهم بالحجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال وكانوا اهل كفر وبغي . فأنذرهم بعض الانبياء فلم يجيبوا الى دعايه فهلك جميعهم حيث كانوا من الأرض ودرجوا في الغابرين

واما جديس وطسم فكانت ديارهم اليمامة وهي اذ ذاك من أخصب البلاد واعمرها واكثرها ثمارا وحدائق وقصورا وكان ملك طسم غشوما مضارا لجديس مستذلا لهم حتى قام الاسود وقتله غيلة

واما جرهم الأولى فكانت ديارهم باليمن وكانوا يتكلمون بالعبرانية فكانوا على عهد عاد ولتقادم امر اصيهم ذهب عنا حقائق اخبارهم وانقطعت عنا اسباب العلم بآثارهم واما جرهم الثانية

فليسوا من البائدة بل هم من ولد قحطان وبهم اتصل إسماعيل بن ابرهيم

العرب المتعربة بنو قحطان وهم القسم الثاني

٣٩٤ وتسمى هذا الجيل العرب المتعربة لنزولهم بالبادية مع العرب العاربة وتخلقهم بأخلاقهم وهم بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام وقحطان هذا معرب يقطان وكان أول من ملك أرض اليمن ولبس التاج (٣ ٢ فصل المسخ) وكان بنو قحطان معاصرين لإخوانهم من العرب العاربة ومظاهرين لهم على أمورهم ولم يزالوا مجتمعين في مجالات البادية مبعدين عن رتبة الملك وترفهه الذي كان لأولئك فأصبحوا بنجاة من الهرم الذي يسوق إليه الترف والنضارة فتشعبت في أرض الفضاء فصائلهم وتعدد في جو القفر أفخاذهم وعشائرهم ونمى عددهم وكثر إخوانهم من العمالقة في آخر جيلهم وزاحموهم بمناكبهم واستحدثوا خلق الدولة بما استأنفوه من عزهم وكانت الدولة لبني قحطان متصلة فيهم (لابن خلدون)

ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان

٣٩٥ وكان يعرب بن قحطان من أعاظم ملوك العرب وتسمى بنا وبه سميت اليمن وهو أول من حياه ولده بتحية أبيت اللعن وأنعم صباحا وقيل إنه أول من نطق بالعربية قال حسان بن ثابت الأنصاري

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب أبينا فصرتم معربين ذوي نفر
وكنتم قديما ما لكم غير عجمة كلام وكنتم كالبهائم في القفر

وَمَلَكَ بَعدَ يَعرُب ابنُهُ يَشجُبُ وَكَانَ وَاهِيَ العَزِيمَةِ واستَبَدَّ أَعمَامُهُ بِمَا
فِي أَيدِيهِم مِنَ المَمَالِكِ . وَمَلَكَ مِن بَعدِهِ ابنُهُ عَبدُ الشَّمس وَأَكثَرَ
الغَزوَ فِي أَقطَارِ البِلَادِ فَسُمِّيَ سَبَا وَكَانَت قَاعِدَةُ مُلكِهِ مَدِينَةَ صَنعَاءَ
وَمِن مُدُنِهِ مَأرِبُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ مِنهَا (للنويري وابن الاثير)

سد مارب وتفرق بني سبا

٣٩٦ بَنَى سَبَأٌ فِي مَأرِبَ سُدًّا مَا بَينَ جَبَلَينِ بِالصَّخرِ وَالقَارِ فَحُبِسَ
بِهِ مَاءُ العُيُونِ وَالامطَارِ وَسَاقَ إِلَيهِ سَبعِينَ وَادِيًا وَتَرَكَ فِيهِ خُرُوقًا
عَلَى قَدرِ مَا يَحتَاجُونَ إِلَيهِ فِي سَقيِهِم وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى العَرِمَ وَمَاتَ
قَبلَ إِتمَامِهِ فَاتَمَّهُ مُلُوكُ حِميَرَ مِن بَعدِهِ فَاقَامُوا فِي جَنَّتَيهِ عَنِ اليَمِينِ
وَالشِّمَالِ وَدَولَتُهُم يَومَئِذٍ اوفَرُ مَا كَانَت وَأَترَفُوا وَبَذَخُوا وَعَلَوا بِذَا
وَأَظهَرَ فَلَمَّا طَغَوا وَأَعرَضُوا أَجحَفَهُمُ السَّيلُ وَاغرَقَ جَنَّتَيهِم وَخَرِبَت
أَرضُهُم وَتَمَزَّقَ مُلكُهُم وَصَارُوا احَادِيثَ وَكَانَ هٰؤُلَاءِ التَّبَابِعَةُ مُلُوكًا عِدَّةً
فِي عُصُورٍ مُتَعَاقِبَةٍ وَاحقَابٍ مُتَطَاوِلَةٍ لَم يَضبِطهُمُ الحَصرُ وَلَا تَقَيَّدَت
مِنهُمُ الشَّوَارِدُ وَرُبَّمَا كَانُوا يَتَجَاوَزُونَ مُلكَ اليَمَنِ الَى مَا بَعُدَ عَنهُم مِنَ
العِرَاقِ وَالهِندِ وَالمَغرِبِ فَاختَلَفَت احوَالُهُم وَوَقَعَ اللَّبسُ فِي نَقلِ أَيَّامِهِم
فَلِذَاتِ بِمَا اصبَحَ مِنهَا مُتَحَرِّيًا جَهدَ الاستِطَاعَةِ عَن طُمُوسٍ مِنَ الفِكرِ وَافتِقَادِ
القَانِيدِ المَرجُوعِ إِلَيهَا وَالأُصُولِ المُعتَمَدِ عَلَى نَقلِهَا وَعَدَمِ الوُقُوفِ عَلَى
أَخبَارِهِم مُدَوَّنَةً فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ وَكَانَ لِسَبَأٍ مِنَ الوَلَدِ كَثِيرٌ وَاشهَرُهُم
حِميَرُ وَعَمرُو وَكَهلَانُ فَتُعزَى التَّبَابِعَةُ الَى حِميَرَ وَالمَنَاذِرَةُ الَى عَمرٍو وَتُسمَّى

السَابِقَةُ إلَى كَهلانَ، وَسَيُورِدُ بِالتَّلخِيصِ أَخبَارَهُم (لابن خلدون)

١ ملك التبابعة بني حمير في اليمن

ذكر حمير وشداد وتبع الاول)

٢٩٧ قَالَ الْمَسْعُودِيُّ قِيلَ لِلْمُلُوكِ الْيَمَنِ تَبَابِعَةٌ لأنَّهُ يَتْبَعُ بَعْضُهُم بَعضًا كُلَّمَا هَلَكَ وَاحِدٌ قَامَ آخَرُ ولَم يَكُونُوا يُسَمُّونَ المَلِكَ مِنهُم بِتُبَّعٍ حَتَّى يَمْلِكَ الْيَمَنَ والشِّحرَ وحَضرَمَوتَ ومَن لَم يَكُن لَهُ شَيءٌ مِن هذا فيُسَمَّى مَلِكًا ولا يُقَالُ لَهُ تُبَّعٌ وَأَمَّا حِمْيَرُ فَقَد يُعرَفُ أَيضًا بِالعرنجج (١٤٣ ق م) وَقِيلَ هُوَ اوَّلُ مَن تَوَّجَ بالذهبِ وَاخرَجَ ثَمُودَ مِنَ اليمنِ إلَى الحِجَازِ ثم مَلَكَ بَعدَهُ ابْنُهُ وائِلٌ وَلَم يَزَل مُلْكُهُم عَلى اليَمَنِ حتى مَضَت قُرُونٌ وَصَارَ الأَمرُ إلَى شَدَّادٍ فَغزَا البِلَادَ إلَى أن بَلَغ اقصى المَغرِبِ وَبَنى المدائِنَ والمَصَانِعَ وَأَبقَى الآثَارَ العَظِيمَةَ ثُمَّ اضطَرَبَت أَحوالُ حِمْيَرَ وَصَارَ مُلْكُهُم طَوَائِفَ إلَى أَبِي اسقَرَ بنِ الحَارِثِ وَهُوَ تُبَّعٌ الاوَّلُ وَفِي بَنِيه التَّبَابِعَةِ وقد لُقِّبَ الحَارِثُ بالرَّائِشِ لِأَنَّهُ رَاشَ النَّاسَ بالعطاء مِمَّا كانَ اصَابَهُ في غَزوَاتِهِ مِنَ السلبِ والغَنَائِمِ (لحمزه الاصفهانى)

ملك ابرهة وذى الاذعار وشرحبيل

٢٩٨ ثُمَّ مَلَكَ أَبرَهَةُ ذُو المَنَارِ ثُمَّ أَفرِيقُسُ (٩٨ ق م) وذهب بِقَبَائِلِ العَرَبِ إلَى أَفرِيقِيَةَ وَبِهِ سُمِّيَت وَسَاقَ البَربَرَ إليهَا مِن أَرضِ كَنعَانَ فَأَوطَنَهُم بِها ويُقَالُ إنَّهُ الذي سَمَّى البَرابِرَةَ بِهذا الإسمِ لأنَّهُ لَمَّا افتتح المغربَ وَسَمِعَ رَطَانَتَهُم قال ما اكثرَ بَربَرَتَهُم فَسُمُّوا البَرَابِرَةَ.

ثُمَّ مَلَكَ بعد أفريقس أخوه عمرو ذو الأذعار ولم يحسن السيرة في الرعية . ولما نعاه وصاه أبوه أبرهة وكان أنشده عند وفاته

يا عمرو إنك ما حفظت وصيتي إياك فاحفظها فإنك رشدُ
يا عمرو لا والله ما ساد الورى فيما مضى إلا المعين المرفدُ
يا عمرو من يشري العلى بنواله كرما يقال له الجواد السيدُ
كل امرئ يا عمرو حاصد زرعه والزرع يومًا لا محالة يحصدُ

ولما ذعرت حمير من جوره خلعت طاعته وقلدت الملك شرحبيل . فجرى بين شرحبيل وذي الأذعار قتال شديد قتل فيه خلق كثير . واستقل شرحبيل بالملك ثم ملك بعده ابنه الهدهاد (١٦٥ ق م)

ملك بلقيس وناشر النعم وشمر مرعش ومن بعدها

٣٩٩ ثم ملكت بلقيس ابنة الهدهاد وكانت على عهد سليمان ووفدت عليه بنفيس الهدايا وبقيت في ملك اليمن عشرين سنة ثم قام بعدها بالملك مالك ناشر النعم لأنه قد أعاق رعيته أطواق الإنعام والمن وسار غازيًا إلى المغرب فبلغ وادي الرمل ولم يجد فيه مجازًا لكثرة الرمل وعبر بعض أصحابه فلم يرجعوا فأمر بصنم من نحاس نصبت على شفير الوادي وكتب في صدره بالخط المسند هذا الصنم لناشر النعم الحميري ليس وراءه مذهب فلا يتكلف أحد ذلك فيعطب ثم ملك بعد ناشر هذا ابنه شمر مرعش سمي بذلك لارتعاش كان به وهذا هو تبع الآخر وهو المشهور من ملوك التبابعة ذو المعاري

وَالآثارِ البَعيدةِ . فَكانَ مِن أَشدِّ مُلوكِ العَرَبِ نِكايةً فِي الأعداءِ وأبعدِهِم مغارًا (٨٥ قبل المسيح) ويُقالُ إنَّهُ وطئ أرضَ العِراقِ وفارسَ وخُراسانَ افتتحَ مَدائنهم وخربَ مدينةَ الصغدِ وراءَ جيحونَ فقالَتِ العجمُ شمر كنداي شمرخربَ وبنى مدينةً هنالكَ فسُمِّيَت باسمِهِ هذا وعرَّبتهُ العربُ فصارَ سمرقندَ وتخلص من اليمنِ غازيًا ومرَّ بالحيرةِ فتحيّرَ عسكرُهُ ثُمَّ رجعَ إلى اليمنِ وهابتهُ المُلوكُ وهادَنوهُ وأخذ بدينِ اليهودِ بإغراءِ بعضِ أحبارِ اليهودِ من بني قُريظة ثُم عادَ إلى غزوِ بلادِ فارسَ وطأَ المَمالكَ ودلّلها وعمد إلى الصينِ قال النويريُّ وكانَ لِمَلكِ الصينِ في ذلك الزمانِ وزيرٌ شديدُ البأسِ سامي الهمة فلمَّا بلغهُ مسيرُ مَلِكِ اليمنِ جدعَ أنفهُ ولحقَ بأبي كربٍ وسعى إليهِ بأمرِهِ وشكى من مَلِكِ الصينِ . وتظاهرَ أنهُ يدلّ أبا كربٍ على خللٍ يمكنهُ الفرصةَ لإلقاءِ بلادِهِم بالفسادِ وفيها فسُرَّ بهِ تبعٌ وبالغَ فِي اكرامِهِ وأصاخ لقولِهِ فنهضَ الوزيرُ بجيشِهِ وهو يقدمُهُم حتى انتهى بهم إلى أرضٍ سبخةٍ فتوغلوا فِي فلواتٍ سحيقةٍ لا ماءَ فيها فأجهدهُم العطشُ فهلكوا ثم قامَ بعدهُ ابنهُ أبو مالكٍ وهلكَ فِي بعضِ غزواتِهِ وتعاقبَ المُلوكُ على اليمنِ دهرًا طويلًا حتى مَلكَ عمرو بن عامرٍ الأزديُّ وقيلَ لهُ مُزيقيا لأنهُ كانَ يلبسُ كُلَّ يومٍ بدلةً فإذا أرادَ الدُّخولَ إلى مجلسِهِ رمى بها فمُزقت لئلا يجدَ أحدٌ فيها ما يلبسهُ وقيلَ أنَّهُ على عهدهِ صارَ سيلُ العرمِ (١٢ ق م)

فانحرت مياه سد مارب فاحتمل السيل انعامهم وخرب ديارهم فتفرقت القبائل المجاورة له ايدي سبا (لابن الاثير والمسعودي)

ذكر ذي نواس وشهداء النصرانية في نجران

٤٠ ولم تزل تتوالى الملوك على حمير حتى صار الملك إلى ذي نواس (٤٨ ب م) واتفق اهل الاخبار كلهم أن ذا نواس هو ابن تبان أسعد واسمه زرعة وانه لما تغلب على ملك آبائه التبابعة تسمى يوسف وتعصب لدين اليهود به وحمل عليه قبائل اليمن فاستجمعت معه حمير على ذلك واراد اهل نجران عليها وكانوا من بين العرب يدينون بالنصرانية ولهم فضل في الدين واستقامة على اهل حكم الإنجيل ولهم رأس يقال له عبد الله بن ثامر وكان هذا الدين وقع إليهم قديما من بقية اصحاب الحواريين من رجل سقط لهم من ملك النبطية يقال له فيمون وكان رجلا صالحا مجتهدا في العبادة مجاب الدعوة وظهرت على يده الكرامات في شفاء المرضى وكان يطلب الخفاء عن الناس جهده وكان لا يأكل إلا من كسب يده ويعظم يوم الاحد لا يعمل فيه شيئا فقطن لشأنه رجل من أهل الشام اسمه صالح لزمه وخرجا فارين بأنفسهما حتى وطئا بلاد العرب فاختطفهما سيارة فباعوهما بنجران واهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلة لهم طويلة ويعلقون عليها في الاعياد من حليهم وثيابهم ويعكفون عليها اياما وكان قد ابتاع فيمون رجل من اشرافهم وابتاع

صالحا آخر. فكان فيمون إذا قام في الليل في بيت له أسكنه إياه
سيده استسرج له البيت نورا وهو في غير مصباح حتى يصبح
الصباح. فأعجب سيده ما رأى منه فسأله عن دينه فأخبره به
وقال له إنما أنتم على باطل وهذه الشجرة لا تضر ولا تنفع ولو
دعوت عليها إلهي الذي أعبده لأهلكها وهو وحده لا ند له. فقال له
سيده افعل فإنك إذا فعلت هذا دخلنا في دينك وتركنا ما نحن
عليه. فدعا فيمون فأرسل الله ريحا فجعفت النخلة من أصلها. واطبق
أهل نجران على اتباع دين عيسى فمن هناك كانت النصرانية بنجران
وأما عبد الله بن تامر فكان يجلس إلى فيمون كل يوم ويتعلم منه شرائع
النصرانية حتى فقه فيها وظهرت على يده الخوارق والمعجزات ودان
الكل بدينه. فسار إليهم ذو نواس بجنوده واستدعى رأسهم عبد الله
ابن تامر فأخذه وقال له أفسدت على أهل بلدي وخالفت ديني
ودين آبائي ثم أمر به فقتل وعرض على أهل نجران القتل فلم
يزدهم إلا اجماحا فخدد لهم الأخاديد وأوقد لهم نارا ثم امتحنهم
فجعل يقول للرجل والمرأة إما أن تترك دينك وإما أن نقذفك في
النار فيقول ما أنا تارك ديني لشيء فيقذف فيها فيحترق. فجيء
امرأة ومعها صبي رضيع عمره سبعة أشهر فجزعت وهمت فقال لها
الغلام يا أماه لا تنافقي فإنك على الحق ولم يكن يتكلم من ذي قبل
فاحترقت. وقتل وحرق ذو نواس حتى أهلك منهم فيما قال ابن إسحاق

عِشرِينَ ألفا أو يزيدُونَ وَأفلتَ مِنهُم رجُلٌ مِن سَبَا يُقالُ لهُ دُوسُ ذُو ثُعلُبَانَ فَسلكَ الرَّملَ عَلَى فرسِهِ فَأعجزهُم فَقدِمَ عَلَى قيصرَ صَاحِبِ الرُّومِ يستنصِرُهُ عَلَى ذِي نُوَاسٍ (معجم البلدان لياقوت)

استيلاء الحبشة على ملك اليمن

١٤ فَبَعَثَ قيصرُ الى مَلِكِ الحَبَشَةِ يأمُرُهُ بِنصرِهِ فجاءَهُ السَّفُنُ وَأجَازَ فِيها العسَاكِرَ مِن الحَبشةِ وَأمرَ عَلَيهِم ارياطَ رجُلًا مِنهُم وَعهِدَ إليهِ بِقتلِهِم وَسبيِهِم وخرابِ بِلَادِهِم فركبُوا البَحرَ وَنزلُوا سَاحِلَ اليَمنِ فلقِيَهُم ذُو نُوَاسٍ فِيمن مَعَهُ فَانهزَمَ فلمَّا رأى ذُو نُواسٍ ما نزلَ بِهِ وبقومِهِ وجهَ بِفرسِهِ إلَى البحرِ وَخاضَ ضحضاحَهُ ثُمَّ أفضَى بِهِ إلَى غمرَةٍ فاقحمهُ فِيها فكانَ آخِرَ العهدِ بِهِ وَانقرضَ أمرُ التبابعةِ (٥٢٩ ب م) ووطئ مِن ثَمَّ ارياطُ اليمنَ بالحبشةِ وأذلَّ رجالاتِ حِميَرَ وَهدَمَ حُصُونَ المَلِكِ ثُمَّ انتقضَ عَلَى ارياطَ ابرهَةُ أحدُ رُؤساءِ حبشِهِ وحدثَ مَعَهُ رعاعُ الحبشَةِ وَعصي ارياطَ وَدعاهُ للحربِ فانحازَ الَى ارياطَ عُظَماءُ الحبشةِ وعطاريفُهُم فاقتتلُوا فحملَ أرياطُ عَلَى ابرهةَ وعَلَاوَجهَهُ بالحربةِ فشرمَ انفَهُ وَبذلِكَ لُقِّبَ بالاشرمِ . وحملَ ابرهةُ عَلَى ارياطَ بالسيفِ وَعلَا بِهِ رَأسَهُ فَاسرَعَ السيفُ فِي دِماغِهِ وسقطَ عَن جَوادِهِ فمالُوا جميعًا وصارُوا معَ ابرهةَ وأقامُوهُ مَلِكًا وَكانَ ابرهَةُ رجُلًا قصيرًا حادِرًا لحيمًا دحداحًا دائِنًا فِي النصرانِيَّةِ فبنَى بِصنعاءَ الَى جانبِ غُمدانَ كنيسةً مُحكَمةَ العملِ وَسمَّاها

أَلْقُلَيسَ(*) فَانتشر خبرُ بناء هذا البيت فى العرب. وَلَمَّا هَلَكَ أَبرهة
(٥٧١ ب م) مَلَكَ مكانَهُ ابنُهُ يكسومُ وبه كان يُكنَى واستفحل مُلْكُهُ
وَاذَلَّ حِمْيَرَ وَقبائل اليمن فقتل رجالهم وَاستخدم ابناءهم. ثُمَّ هَلَكَ
يكسومُ فملَك مكانَهُ أَخوهُ مَسروقٌ وساءت سيرتُهُ وَكَثُرَ عسفُهُ (للازرقى)

انتصار سيف بن ذى يزن

٢ ٤ وَلَمَّا طَالَ البلاء من الحبشة عَلَى أَهل اليمن خرج سيفُ ذِي يزن
الحميرىُّ مِنَ الاذواءِ بقيةُ ذلك السلف وعقبُ أُولئكَ الملوك ودِيالُ
الدَولة الموصولِ لِلخُلود وقدم عَلَى قيصرَ (يوستنس) يستنجدُهُ عَلَى
الحبشة. فأبى وقال الحبشةُ على دين النصارى فرجع إِلَى كسرى
وقدم الحِيرة عَلَى النُّعمان بن المنذر عامل فارس عَلَى الحِيرة وما يليها
مِن ارض العرب فشكا إِلَيه واستمهلَهُ النُّعمانُ إِلَى حين وَفاد به عَلَى
كسرى وأَوفدَ معهُ وَسَأَلهُ النَّصرَ عَلَى الحبشة وساورَ اهلَ دولته
فقالُوا فِي سجونك رجالٌ حبستَهُم للقتل ابعثهم معهُ فإِن هلكوا كان

(*) وكان القليس ربما مستوى التربيع وجعل طولهُ فى السماء ستين ذراعا وحولهُ سورٌ بينه وبين القليس مائتا ذراع مطيفٌ به من كل جانب وجعل بين ذلك كلّه حجارة تسميها اهل اليمن الجروب منقوشة مطابقة لا يدخل بين اطباقها الابر مطبقة به وكان المدخل منه الى بيت فى جوفه طوله ثمانون ذراعا فى اربعين ذراعا معلق العمل بالساج المنقوش ومسامير الذهب والفضة وفيه ضربوه بالفسيفساء مشجر بين اضعافها كواكب الذهب ظاهرة ثم يدخل من البيت الى قبة جُدرها بالفسيفساء وفيها صُلُبٌ منقوشة بالذهب والفضة وفيها رُخامة مما يلى مطلع الشمس من البلق مربعة تعشي عين من نظر اليها من بطن القبة تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة وكان تحت الرخامة منبر من خشب اللبخ وهو الابنوس مفصل بالعاج ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهبا وفضة (لابن اسحاق)

الذي أردت بهم وان ملكوا كان ملكا اردده إلى ملكك فأحصوا ثمانمائة وقدم عليهم أفضلهم وأعظمهم نسبا وأكرمهم نسبا وكان وهرز الديلمي فوافقوا للحرب وأمر وهرز ابنه ان يناوشهم القتال فقتلوه واحفظه ذلك وقال أروني ملكهم فأروه إياه على فيل عليه تاجه وبين عينيه ياقوتة حمراء فرماه بسهم فصك الياقوتة بين عينيه وتغلغل في دماغه ونكس عن دابته وداروا به فحمل القوم عليهم وانهزم الحبشة في كل وجه وفني ملكهم في اليمن بعد أن توارثه منهم أربعة في ثلاث وسبعين سنة (٦١) وانصرف وهرز الى كسرى بعد ان خلف سيفا على اليمن في جماعة من الفرس ضمهم اليه على فريضة يؤدونها كل عام وجعله لنظر ابن ذي يزن وانزله بصنعاء وانفرد ابن ذي يزن بسلطانه ونزل قصر الملك وهو رأس غمدان يقال ان الضحاك بناه على اسم الزهرة وهو أحد البيوت السبعة الموضوعة على اسماء الكواكب وروحانيتها خرب في خلافة عثمان ولما استوثق لذي يزن الملك حمل يعتسف الحبشة ويقتلهم حتى اذا لم يبق إلا القليل جعلهم خولا واتخذ منهم طوابير يسعون بين يديه بالحراب فخرج يوما وهم يسعون بين يديه فلما انفردوا به عن الناس رموه بالحراب فقتلوه فارسل كسرى عاملا على اليمن وانقرضت عماله الى ان كان آخرهم باذان فاسلم وصارت اليمن للإسلام (لابن خلدون)

٣ خبر الملوك المناذرة بني كهلان في العراق

ملك مالك بن فهم وجذيمة الأبرش

٤٠٣ أما أخبار العرب بالعراق في الجيل الأول فلم تصل إلينا تفاصيلها وشرح حالها . إلا أنه لما حدث سيل العرم تفرقت عرب اليمن من مدنه ومآربه إلى العراق والشام فكانت تنوخ وقضاعة وهما حيان من أحياء الأزد من بني كهلان ممن تفرق إلى العراق فقال مالك بن فهم الأزدي لمالك بن القضاعي نقيم بالبحرين ونتحالف على من نوانا فتحالفوا فسموا تنوخ وذلك في أيام ملوك الطوائف فنظروا إلى العراق وعليها طائفة من ملوكها وهي سائرة فخرجوا من البحرين وسارت الأزد إلى العراق مع مالك بن فهم الأزدي . وسارت قضاعة إلى الشام مع مالك القضاعي

٤٠٤ وأول من ملك على تنوخ في العراق مالك بن فهم (١٩٥ للمسيح) وكان منزله بالأنبار فسقي بها إلى أن رماه سليمة بن مالك رمية بالليل وهو لا يعرفه فلما علم أن سليمة راميه قال

جزائي لا جزاه الله خيرا سليمة إنه شرا جزاني

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

فلما قال هذين البيتين فاظ وهرب سليمة ثم ملك من بعد مالك جذيمة الأبرش (٢٥١ ب م) وكان ثاقب الرأي بعيد المغار شديد النكاية ظاهر الحزم وهو أول من غزا بالجيوش وشن الغارات على

قبائل العرب وكان به برص فأكرمه العرب على أن تنعته به إعظاماً
فسمته جذيمة الأبرش وجذيمة الوضاح واستولى على السواد ما بين
الحيرة والأنبار وسائر القرى المجاورة لبادية العرب وكان يجبي
أموالها ويغزو طسماً وجديساً في منازلها من اليمامة وفيه قال الشاعر

أضحى جذيمة في الأنبار منزله قد حاز ما جمعت في عصرها عاد

فطال ملكه إلى أن أدرك ملك سابور بن أشك وكان جذيمة
ملك معد وبعض اليمن وغزا في آخر عمره الشام فقتل عمرو بن حسان
ابن أذينة والد الزباء ملكة الطوائف فانطوت له الزباء على طلب الثار
حتى قتلته وكان ملك جذيمة نحو ستين سنة بالتقريب (حمزة الاصفهاني)

ملك عمرو بن عدي

٤٠٥ فورث الملك من بعده ابن أخته عمرو بن عدي (٢٦٨) وأمه
رقاش وهو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب . وأول ملك
يعده الحيريون في كتبهم من ملوك عرب العراق وملوك العراق إليه
ينسبون وهم عمرو بطلب الثار من الزباء بخاله جذيمة فلما أحست
الزباء بذلك تحصنت في معقل فصارت أمنع من عقاب فقصد عمرو إلى
قصير وزيره فخدعا بمواطأة منه على ذلك فلحق بالزباء يشكو ما
أصابه من عمرو وأنه اتهمه بمداخلة الزباء في أمر خاله جذيمة فقال
وما رأيت بعدما فعل بي أنكى له من أن أكون معك فأكرمته وقربته
حتى إذا رضي منها من الوثوق به غرها وأسلم حصنها إلى عمرو فلحقها

بالسيف وأصاب ما أصاب من المدينة وانكفأ راجعا . فبقي عمرو ملكا مدة عمره منفردا بملكه مستبدا بأمره يغزو المغازي ويصيب الغنائم وتجبى إليه الأموال وتفد عليه الوفود دهره الأطول لا يدين لملوك الطوائف بالعراق حتى قدم أردشير بن بابك في أهل فارس أرض العراق . فضبطها وقهر من كان له بها مناوئا حتى حملهم على ما أراد مما يوافقهم ومما لا يوافقهم فكره كثير من تنوخ مجاورة العراق على الصغار فخرج من كان منهم من قبائل قضاعة الذين كانوا أقبلوا مع مالك فلحقوا بالشام وانضموا إلى من هنالك من قضاعة فكان أناس من العرب يحدثون أحداثا في قومهم أو تضيق معيشتهم فيخرجون إلى ريف العراق وينزلون الحيرة فكان ذلك على أكرههم فجملة فصار أهل الحيرة ثلاثة أثلاث الثلث الأول تنوخ وهم من كان يسكن المظال وبيوت الشعر والوبر في غربي الفرات ما بين الحيرة إلى الأنبار فما فوقها . والثلث الثاني العباد وهم الذين سكنوا رقعة الحيرة فابتنوا بها . والثلث الثالث الأحلاف وعمرت الحيرة أيام ملك عمرو بن عدي باتخاذه منزلا إياها وعظم شأنها إلى أن وضعت الكوفة ونزلها عرب الإسلام (للنويري وحمزة الأصفهاني)

ملك امرئ القيس البدء والمحرق والنعمان الأعور السائح

٤٠٦ ثم ملك من بعد عمرو بن عدي امرؤ القيس البدء وهو الأول في كلامهم (٢٨٨ــ٣٣٨ ب م) وهو أول من تنصر من ملوك آل

مصر وعمال الفرس ثم ولى مكانه ابنه عمرو (٣٣٨ــ٣٦٣) ثم عقبه أوس بن قلام العمليقي خمس سنين. ثم ثار به جحجبا احد بني قاران فقتله (٣٦٨ ب م) وولى مكانه مدة ثم ولى من بعده امرؤ القيس (الثاني) (٣٦٨ــ ٣٩٠ ب م) ويعرف امرؤ القيس هذا بالمندر والمحرق لانه اول من عاقب بالنار وهو الذي ذكره الأسود ابن يعفر في قوله ماذا أؤمل بعد آل محرق ثم ملك بعده ابنه النعمان الأعور السائح وهو باني الخورنق والسدير (*) وكان النعمان هذا في ايام يزدجرد فدفع إليه ابنه بهرام ليربيه وامر ببناء الخورنق مسكنا لابنه فأسكنه اياه واحسن تربيته وتأديبه وجاءه بمن يلقنه الخلال من العلوم والآداب والفروسية حتى استمل على ذلك بما رصه وكان النعمان من أشد ملوك العرب نكاية في الأعداء واً بعدهم مغارا فقد اتى الشام مرارا كثيرة واكثر المصايب في أهلها وسبى وغنم وكان ملك فارس يمده بكتيبتين الشهباء واهلها الفرس ودوسر واهلها تنوخ فكان يغزو بهما من لا يدين له من العرب وكان صارما حازما ضابطا لملكه قد اجتمع له من الاموال والخول والرقيق ما لم يملكه احد من ملوك الحيرة والحيرة بوميذ ساحل الفرات ولما اتى على النعمان ثلاثون سنة تنصر على يد بعض وزرايه ثم زهد وترك الملك ولبس المسوح وذهب فلم يوجد له أثر (*)

(*) (راجع الوجه ٢٢١ من الجز الثاني) (*) (راجع الوجه ١٦ من هذا الجز)

ملك المنذر الاول والنعمان الثاني والاسود وامرؤ القيس الثالث

٤٠٧ وَلَمَّا تَزَهَّدَ النُّعمانُ وَلِيَ الأَمرَ ابنُهُ المُنذِرُ الأَوَّلُ (٤٢٠ ب م) وَكانَ أَهلُ فارِسَ وَلَّوا عَلَيهِم شَخصاً مِن وُلدِ أَردَشير وعَدَلُوا عَن بهرامَ لِنَشأَتِهِ بَينَ العَرَبِ وخُلُوِّهِ مِن آدابِ العَجَمِ . وَاستَنجَدَ بهرامُ بالعَرَبِ فَجَهَّزَ المُنذِرُ العَساكِرَ لِبَهرامَ لِطَلَبِ مُلكِهِ وَحاصَرَ مَدينَةَ المُلكِ فَأَذعَنَ لَهُ فارِسُ وأَطاعُوهُ وَاستَوهَبَ المُنذِرُ ذُنُوبَهُم مِن بَهرامَ فَعَفا عَنهُم واجتَمَعَ أَمرُهُ وَرَجَعَ المُنذِرُ إِلَى بِلادِهِ وشُغِلَ بِاللَّهوِ إِلَى مَوتِهِ . (٤٦٢ ب م) وَمَلَكَ مَكانَهُ النُّعمانُ الثَّاني وكانَ وزيرُهُ عَدِيَّ بنَ زَيدٍ النَّصرانيَّ فَتَزَهَّدَ ا (٤٦٩) (*) ومَلَكَ مكانَهُ أَخوهُ الأَسوَدُ وَهُوَ الذي انتَصَرَ عَلَى عَساكِرِ عَرَبِ الشَّامِ وَأَسَرَ عِدَّةً مِن مُلُوكِهِم ثُمَّ هَلَكَ (٤٩١) وَمَلَكَ أَخوهُ مُنذِرُ الثَّاني سَبعَ سِنينَ ثُمَّ ابنُ أَخيهِ (٤٩٨) نُعمانُ الثَّالِثُ ثُمَّ استُخلِفَ أَبو يَعفُرَ بنُ عَلقَمَةَ الذُّمَيليُّ (٥٠٣) وَذُمَيلٌ بَطنٌ مِن لَخمٍ . ثُمَّ مَلَكَ امرُؤُ القَيسِ الثَّالِثُ (٥٠٦) هٰذا هُوَ الَّذي غَزا بَكراً يَومَ أُوارَةَ في دارِها فَكانَ بَكرٌ قَبلَهُ يَمنَعُ أَيدي مُلُوكِ الحيرَةِ وَيَنصُرُهُم . وَهُوَ أَيضاً باني الخَوَرنَقِ وَالسَّدِيرِ وَفيهِما يَقُولُ جَميلُ بنُ مُلُوعٍ

لَيتَ شِعري مَتى تَخُبُّ بِيَ النَّا ۝ قَةُ نَحوَ العُذَيبِ وَالصَّيبُونِ

ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس

٤٠٨ وَلَمَّا هَلَكَ امرُؤُ القَيسِ الثَّالِثُ مَلَكَ المُنذِرُ الثَّالِثُ ابنُهُ وَهُوَ ذو

(*) (راجع وجه ١٧ من هذا الجزء)

القرنين لضفيرتين كانتا له من شعره وأمه ماء السماء قال الحتاني وكان هذا القب لابي عامر الازدي لانه كان يقيم ماله مقام القطر اي عطاء وجودا فلقب على بنيه لانهم خلفيه وذكر ان مرة بن كلثوم قتله لخمسين سنة من ملكه (٥٦٢ ب م) ثم ملك بعده ابنه عمرو بن هند الملقب بالمحرق وهند امه وكان شديد السلطان غزا تميما في دارها فقتل من بني دارم مائة يوم اواره الثاني باخيه أسعد بن المنذر وكان ملكه ست عشرة سنة (٥٧٨) ثم ولي بعده قابوس اربع سنين في زمن انوشروان وكان فيه لين وكان ضعيفا مهينا فقتله رجل من يشكر وسلبه. (٥٨٢) ثم ملك المنذر الرابع أخوه سنة واحدة ثم النعمان الرابع ابو قابوس (٥٨٢ـ٦٠٤) وهو صاحب النابغة الذبياني الذي بنى الغريين وتنصر (للنويري والمسعودي)

حال تنصر النعمان

٩٤ كان النعمان بن ماء السماء الملقب بأبي قابوس قد نادمه رجلان من بني أسد احدهما خالد بن المضلل والآخر عمرو بن مسعود فأغضباه في بعض المنطق فأمر بأن يحفر لكل واحد حفيرة بظهر الحيرة ثم يجعلا في تابوتين ويدفنا في الحفرتين. ففعل ذلك بهما حتى إذا اصبح سأل عنهما فأخبر بهلاكهما. فندم على ذلك وغمه وفي عمرو بن مسعود وخالد بن المضلل يقول شاعر بني اسد

يا قبر بين بيوت آل محرق جادت عليك رواعد وبروق

أمَّا البكاءُ فقلَّ عنكَ كثيرُهُ ولئن بكيتُ فللبكاءُ خليقُ

ثُمَّ رَكِبَ النُّعمانُ حتَّى نظرَ إليهما فأمرَ ببناءِ الغَرِيَّينِ عليهما فبُنيا وجعلَ لنفسهِ يومينِ في السنةِ يجلسُ فيهما عندَ الغَرِيَّينِ يُسمِّي أحدَهُما يومَ نعيمٍ والآخرَ يومَ بؤسٍ . فأوَّلُ من يطلعُ عليهِ يومَ نعيمهِ يُعطيهِ مائةً من الإبلِ شُوماً أي سُوداً وأوَّلُ من يطلعُ عليهِ يومَ بؤسهِ يُعطيهِ رأسَ ظَرِبانٍ أسودَ ثُمَّ يأمرُ بهِ فيُذبحُ ويُغرَّى بدمهِ الغَرِيَّانِ . فلبثَ بذلكَ بُرهةً من دهرهِ حتَّى مرَّ بهِ رجلٌ من طيٍّ يُقالُ لهُ حنظلةُ بنُ أبي عفراءَ . كانَ آوى النُّعمانَ في خبائهِ يومَ خرجَ إلى الصَّيدِ وانفردَ عنهُ أصحابُهُ بسببِ المطرِ . فرحَّبَ بهِ حنظلةُ وهو لا يعرفُهُ وذبحَ لهُ شاةً فأطعمهُ من لحمِها وسقاهُ لبناً فلمَّا نظرَ إليهِ النُّعمانُ وافداً إليهِ ساءهُ ذلكَ وقالَ لهُ يا حنظلةُ هلَّا أتيتَ في غيرِ هذا اليومِ . فقالَ أبيتَ اللعنَ لم يكنْ لي علمٌ بما أنتَ فيهِ فقالَ لهُ أبشرْ بقتلكَ فقالَ لهُ واللهِ قد أتيتُكَ زائراً ولأهلي من خيركَ مائراً فلا تكنْ ميرتُهم قتلي فقالَ لا بُدَّ من ذلكَ فاسألْ حاجةً أقضيها لكَ فقالَ تؤجِّلُني سنةً أرجعُ فيها إلى أهلي وأحكمُ من أمرِهم ما أريدُ ثُمَّ أصيرُ إليكَ فأنفذ فيَّ حكمكَ فقالَ ومن يكفلُ بكَ حتَّى تعودَ فنظرَ في وجوهِ جلسائهِ فعرفَ منهم شريكَ بنَ عمرٍو فأنشدَ

يا شريكُ يا ابنَ عمرٍو يا أخا من لا أخا لَهْ
يا أخا شيبانَ فكَّ اليومَ رهناً قد أتى لَهْ

يا أخا كل مصابٍ وحيا من لا حياة له

إنّ شيبان قبيلٌ أكرم الله رجاله

وأبوك الخير عمرو وشراحيل الحمالة

رقياك اليوم في المجد وفي حسن المقاله

فوثب شريك وقال أبيت اللعن يدي بيده ودمي بدمه وأمر للطائي بخمسمائة ناقة وقد جعل الأجل عاماً كاملاً من ذلك اليوم إلى مثله من القابل فلما حال الحول وقد بقي من الأجل يوم واحد قال النعمان لشريك ما أراك إلا هالكاً غداً فداء لحنظلة. فقال شريك فإن يك صدر هذا اليوم ولّى فإن غداً لناظره قريب. فذهب قوله مثلاً ولما أصبح وقف النعمان بين قبري نديميه وأمر بقتل شريك فقال له وزراؤه ليس لك أن تقتله حتى يستوفي يومه فتركه النعمان وكان يشتهي أن يقتله لينجي الطائي فلما كادت الشمس تجب قام شريك مجرداً في إزار على النطع والسياف إلى جانبه وكان النعمان أمر بقتله فلم يشعر إلا براكب قد ظهر فإذا هو حنظلة الطائي قد تكفن وتحنط وجاء بنادبته فلما رآه النعمان قال ما الذي جاء بك وقد أفلت من القتل قال الوفاء قال وما دعاك إلى الوفا قال إن لي ديناً يمنعني من الغدر قال وما دينك قال النصرانية. قال فاعرضها عليّ. فعرضها فتنصر النعمان وترك تلك السنة من ذلك اليوم وعفا عن شريك والطائي

وقال ما ادري أيكما أكرم وأوفى اهذا الذي نجا من السيف فعاد إليه أم هذا الذي ضمنه وأبا الا أكون الام الثلاثة قال المدائني وتنصر مع النعمان أهل الحيرة اجمعون وبنى النعمان في حاضرة ملكه الكنائس العظيمة وقتله كسرى بن هرمز أبرويز (٤ ٦ ب م) وانقطع الملك عن لخم ولم يلبث ان ظهر الإسلام بعد زمان (الاغاني)

٣ الغساسنة ملوك الشام بنو كهلان

٤١٠ كان آل جفنة عمال القياصرة على عرب الشام كما كان المناذرة آل نصر في آخر أمرهم عمالا للأكاسرة على عرب العراق وأصلهم من اليمن من الأزد بني كهلان لأن الازد لما أحسّ بخراب سد مأرب انقاض العرم وخشوا السيل تفرقت فنشأم قوم فنزلوا على ماء يقال له غسان فصيّروه شربهم فسموا غسان ثم انزلهم ثعلبة ابن عمرو الغساني ببادية الشام والملوك بها من قبل القياصرة وكانوا يدينون بالنصرانية ولما نزل غسان في ارض الشام كان بها قوم من سليح قصروا على الغساسنة الإتاوة وكان الذي يلي جبايتها سبطا منهم فاستبطأهم فقصد سبط ثعلبة رأسهم وقال لتعجلنّ لي الإتاوة أو لآخذن اهلك وكان ثعلبة حليما فقال هل لك في من يربح عليك بالإتاوة قال نعم قال عليك بأخي جذع بن عمرو وكان جذع فاتكا فأتاه سبط وخاطبه بما كان خاطب به ثعلبة فخرج عليه ومعه سيف مذهب وقال فيه عوض من حقك إلى ان اجمع لك الإتاوة قال

نعم قال خذه فتناول بنطحص السيف واسل جذع تصله وضربه به فقيل خذ من جذع ما اعطاك فذهبت مثلا فوقعت الحرب بين سليح وغسان فأخرجت غسان سليحا من الشام وصاروا ملوكا واستمر ملك الغساسنة ٤ سنين ينف (*) (لحمزة الاصفهاني)

ملوك كندة

* (لما كان من قصدنا استيفاء أخبار العرب اضفنا اليها اخبار كندة) هم بنو زيد بن كهلان وكانت كندة قبل أن تملك حجر عليهم تعدو ملك ياكل القوي الضعيف حتى ملك حجر وكان تبع حين أقبل سائرا الى العراق استعمله عليهم فسدد أمورهم وساسهم احسن سياسة وانتزع من اللخميين ارضهم وبقي وحده في مملكته مطاعا لحسن سيرته (٣٠٥ ب م) ثم ملك بعده ابنه المقصور لانه اقتصر على ملك أبيه ثم الحارث وعظم شأنه حتى ولي قياد ملك العجم على العراق مدة ثم طرد انوشروان وارجع المنذر الثالث فهرب الحارث من وجهه ودخل ديار بني كلب ولم يلبث ان مات عندهم وكان للحارث اربعة بنين ولاهم على قبائل كندة وكان حجر اكبرهم مولينا على بني اسد فعصوا امره وقتلوه فعلم امرؤ القيس واستنجد بكر وتغلب على بني اسد فانجدوه وهرب بنو اسد منهم وتبعهم فلم يظفر بهم ثم تخاذلت عنه بكر وطلبه المنذر بن ماء السماء فعرف خروج امرئ القيس خوفا من المنذر وخاف امرؤ القيس من المنذر وصار ينتقل على قبائل العرب ويتنقل من أناس الى أناس حتى قصد السموءل بن عادياء اليهودي فاكرمه وانزله واقام امرؤ القيس عند السموءل ما شاء الله ثم سار امرؤ القيس الى قيصر ملك الروم مستنجدا به واودع أدراعه عند السموءل بن عادياء المذكور ومر على حماة وشيزر وقال في مسيره قصيدته المشهورة

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن إنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

فمات امرؤ القيس بعد عوده من عند قيصر عند جبل يقال له عسيب ولما علم بموته هناك قال

اجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عسيب

ولما مات امرؤ القيس سار الحارث بن أبي شمر الغساني الى السموءل وطالبه بادراع امرئ القيس وما له عنده وكانت الأدراع مائة وكان الحارث قد أسر ابن السموءل فلما امتنع السموءل من تسليم ذلك الى الحارث قال الحارث إما أن تسلم الأدراع وإما قتلت ابنك فقال السموءل لست أخفر ذمتي فاصنع ما شئت فذبح ابنه والسموءل ينظر اليه

٤١١ وهم بنو عدنان بن إسماعيل ونزلوا الحجاز وتولوا سدانة الكعبة . وإنما الحجاز وتهامة كانا ديار العمالقة وكان لهم ملك هنالك وكانت جرهم من تلك الطبقة وكانت ديارهم اليمن مع إخوانهم من حضرموت وأصاب اليمن قحط فنزلوا نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى وعثروا في طريقهم بإسماعيل مع أمه هاجر فأحلوا أسفل مكة وا قتتلوا مع العمالقة فأبادوهم ونشأ إسماعيل بين جرهم وتكلم بلغتهم وتزوج منهم ودعاهم الى التوحيد وتوفي لمائة وثلاثين سنة من عمره ولم يزل امر جرهم يعظم بمكة ويستفحل حتى ولوا البيت الحرام وكانوا ولاته وحجابه وولاة الأحكام بمكة . ولما طالت ولاية جرهم استحلوا من الحرم أمورا عظاما واستخفوا بحرمة البيت العتيق فقطع الله دابرهم لانه لما خرب سد مارب سار عمرو ابن عامر وقومه من بلد إلى بلد لا يطأون بلدا إلا علوا عليه فلما قاربوا مكة أبت جرهم أن تفسح لهم واستكبروا في انفسهم وقالوا ما نحب أن تنزلوا فتضيقوا علينا مراتعنا ومواردنا فارحلوا عنا حيث

وانصرف الملك على ياس فضربت العرب به المثل في الوفا وقال السموأل

وفيت بادرع الكندي إني | إذا ما خان أقوام وفيت
بنى لي عاديا حصنا حصينا | وماء كلما شئت استقيت
رفيعا تزلق العقبان عنه | إذا ما نابني ضيم أبيت
واوصى عاديا قدما بألا | تهدم يا سموأل ما بنيت

(لابي الفدا)

أحسنتم فلا حاجة لنا بجواركم . فاقتتلوا ثلاثة أيام ولتهزم جرهم فلم
يفلت منهم إلا الشريد فهدر دمه (٧ ٢م) ثم تفرقت قبائل اليمن
وانخزعت خزاعة بمكة فولوا امر مكة وحجابة الكعبة وسال بنو
إسماعيل السكنى معهم فاذنوا لهم وغلبت عليهم لحى وهو ربيعة
ابن حارثة وكان فيهم شريفا سيدا مطاعا وبلغ بمكة من الشرف
ما لم يبلغ عربى قبله وكان قد ذهب اسمه في العرب كل مذهب
وقوله فيهم دينا متبعا وكان أول من اطعم الحاج بمكة سدايف
الإبل ولحمانها على الثريد وعم في تلك السنة جميع حاج العرب
بثلاثة أثواب من برود اليمن وهو الذى بحر البحيره ووصل الوصيلة
وحمى الحسام وسيب السايبة . ونصب الاصنام حول الكعبة فكان
قريش والعرب تستقسم عنده بالأزلام وهو أول من غير الحنيفية
دين ابرهيم . وأقامت خزاعة ثلاث مائة سنة في سدانة البيت حتى
قام قصى القرشي من بني اسماعيل . وعظم شرفه فراى أنه احق
بالكعبة وبامر مكة وكانت ولاية الكعبة لأبى غبشان الخزاعي
فباعها من قصى بزق خمر فقيل فيه اخسر من صفقة ابى غبشان .
ثم دعا قصى إليه رجالات قريش وأجمع لحرب خزاعة فتناحروا
وكثر القتل ثم صالحوه على أن يحكموه الكعبة (٥٠٧ ب م) فصار
لقصى لواء الحرب وحجابة البيت وتيمنت قريش برأيه وصرفوا
مشورتهم إليه في قليل أمورهم وكثيرها فاتخذوا دار الندوة إزاء

الْكَعْبَةِ فَكَانَ مَجْمَعَ الْمَلَإِ مِن قُرَيْشٍ فِي مُشَاوَرَاتِهِمْ وَمَعَاقِدِهِمْ . ثُمَّ تَصَدَّى لِإِطْعَامِ الْحَاجِّ وَفَرَضَ عَلَى قُرَيْشٍ خَرَاجًا يُؤَدُّونَهُ ثُمَّ هَلَكَ قُصَيٌّ وَقَامَ بِأَمْرِهِ بَنُوهُ مِن بَعْدِهِ بِالْمَادَّةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ (ملخّصٌ عن كتاب اخبار مكّة للازرقي)

(ملحق بتاريخ العرب)

١ اديان العرب

٤١٢ كان العرب في أوّل أمرها على دين ابرهيم واسماعيل حتى قدم عمرو بن لحي بصنم يقال له هُبَل وكان من أعظم اصنام قريش عندها فكان الرجل اذا قدم من سفرٍ بدأ به على اهله بعد طوافه بالبيت وحلق راسهُ عندهُ وكان هبل من خرز العقيق على صورة انسان وكانت يدهُ اليمنى مكسورة فادركتهُ قريش فجعلت له يدًا من ذهب وكانت لهُ خزانة للقربان وكانت لهُ سبعة قداح يضربون بها اذا مشكل الحاجة ويقولون إنّا اختلفنا فهب السراحا ان لم تقله فمُر القداحا

وكان بالكعبة على عينها حجر اسود وما زال هذا الحجر معظمًا في الجاهلية والاسلام يتبرك الناس به ويعزّ ونه ويقبلونهُ وكان باسفل مكّة قد نُصب صنم يُعرف بالخلصة فكانوا يُلبسونها القلائد ويُهدون اليها الشعير والحنطة ويصبون عليها اللبن ويذبحون لها ويعلقون عليها بيض النعام وكان لهم اصنام يصنعونها على اسم السيارات من الكواكب وهي المشترى وقيل ان اصل اسمه ذو سراة اي ساطع النور والزهرة وزحل والمريخ وغيرها من الثوابت وبن مسعود اخصم أنصاب المناة واللات وعزى وكانت المناة على ساحل البحر مما يلي قديد وكانت صخر يراق عليها دماء الذبائح وليستسقون بها المطر في الجدب وكانت اللات اصنا صخر صنما للشمس اذا مر عليها الحاج يلبسونها بالسويق وقيل أصلها من لا اي علا وعظُم ومنهُ اسم الجلالة وأمّا العزى فكانت شجر يعظمها قريش وكنانه ويطوفون بها بعد طوافهم بالكعبة ويعكفون عندها يوما قال الكلبيُّ وكانت اللات والعزّى ومنا في كل واحد منهن شيطان يكلمهم ويتراءى للسدنة وهم الحجبة وذلك من صنيع إبليس وأمره وكان بنو حنيفة في الجاهلية اتخذوا الها عدوهُ دهرا طويلا ثم اصابتهم مجاعة فاكلوهُ فقيل في ذلك

أكلت حنيفة ربّها زمن التقحّم والمجاعه
لم يحذروا من ربّهم سوء العقوبة والتباعه

ومن أدْيانهم المجوسية أو الصابئة وبنوا بحسب تلك الآراء الفاسدة أصنام الذهب للشمس وأصنام الفضة للقمر وقسموا المعادن والأقاليم للكواكب وزعموا أن قوى الكواكب تفيض على تلك الأصنام فتكلم تلك الأصنام وتفهم وتوحي للناس أعني الأصنام وتعلم الناس منافعهم وكذلك قالوا في الأشجار التي هي من قسمة تلك الكواكب إذا أفردت تلك الشجرة لذلك الكوكب وغرست له وفعل لها كذا فاضت روحانية ذلك الكوكب على تلك الشجرة وتوحي للناس وتكلمهم في النوم ومن أديانهم اليهودية في حمير وكنانة وبني الحارث ابن كعب وكندة وأما النصرانية فكانت انتشرت فيهم قال الفيروزابادي إن قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة وهم العباد وإن كثيرا من ملوك اليمن والحيرة تنصروا وأما ملوك غسان فكانوا كلهم نصارى وكانت النصرانية في ربيعة وقضاعة وبهراء وتنوخ وتغلب وبعض طيء وكانت قريش تصور في جملة أصنامها في الكعبة تمثال مريم مزوقا وابنها عيسى في حجرها قاعدا مزوقا وذلك في العمود الذي يلي باب الكعبة ولم تطمس صورتها بل بقيت إلى عهد ابن الزبير فهلكتا في الحريق (النويري والأزرقي)

٣ علوم العرب وآدابهم

٤١٣ فأما علم العرب الذي كانوا يتفاخرون به فعلم لسانهم وأحكام لغتهم ونظم الأشعار وتأليف الخطب وكانوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم إلى معرفة ذلك في أسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق وأما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله شيئا منه ولا هيأ طباعهم للعناية به وكان الشعر ديوان خاصة العرب وسبيل حكمها والمنظوم من كلامها والمقيد لأيامها والشاهد على حكامها به يأخذون وإليه يصيرون وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج قال الصفدي بل ما كان للعرب ما تفخر به إلا السيف والضيف والبلاغة وكانوا كل حول يتقاطرون إلى سوق عكاظ ويتناشدون ويتفاخرون ويتحاكمون ولقد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد من الشعر القديم وكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة فقيل لها مذهبات وقد يقال لها معلقات لأنها علقت في أستار الكعبة أما الكتابة فحكموا أن ثلاثة نفر من طيء كانوا على دين عيسى فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلمه قوم من الأنبار وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير بضعة عشر إنسانا ولقلة القراطيس عندهم عمدوا إلى كتف الحيوان فكتبوا عليها وكان الناس فرقتين أهل الكتاب والأميين والأمي من كان لا يعرف الكتابة فكان اليهود والنصارى بالمدينة والأميون بمكة (لابن الفرج والجوهري)

فهرس الجزء الثالث من كتاب مجاني الأدب

